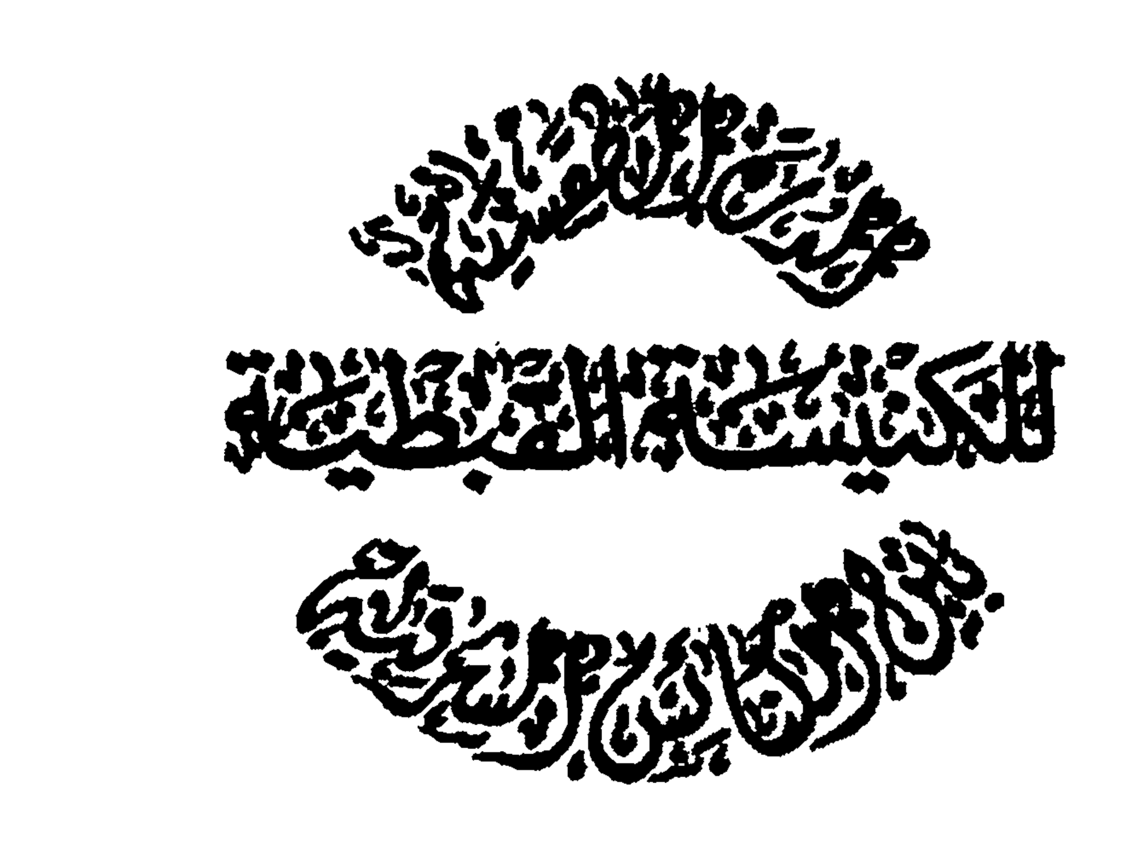


طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

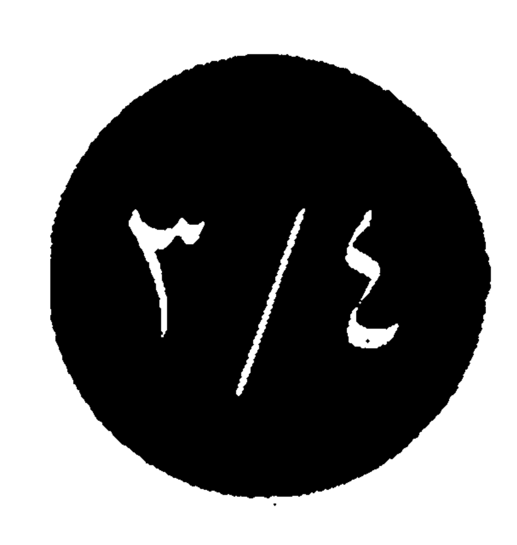
٤/٣

صلوات رفع البخور

في عشيّة وباكر



طقوس أسرار وصلوات الكنيسة



صلوات رفع البخور

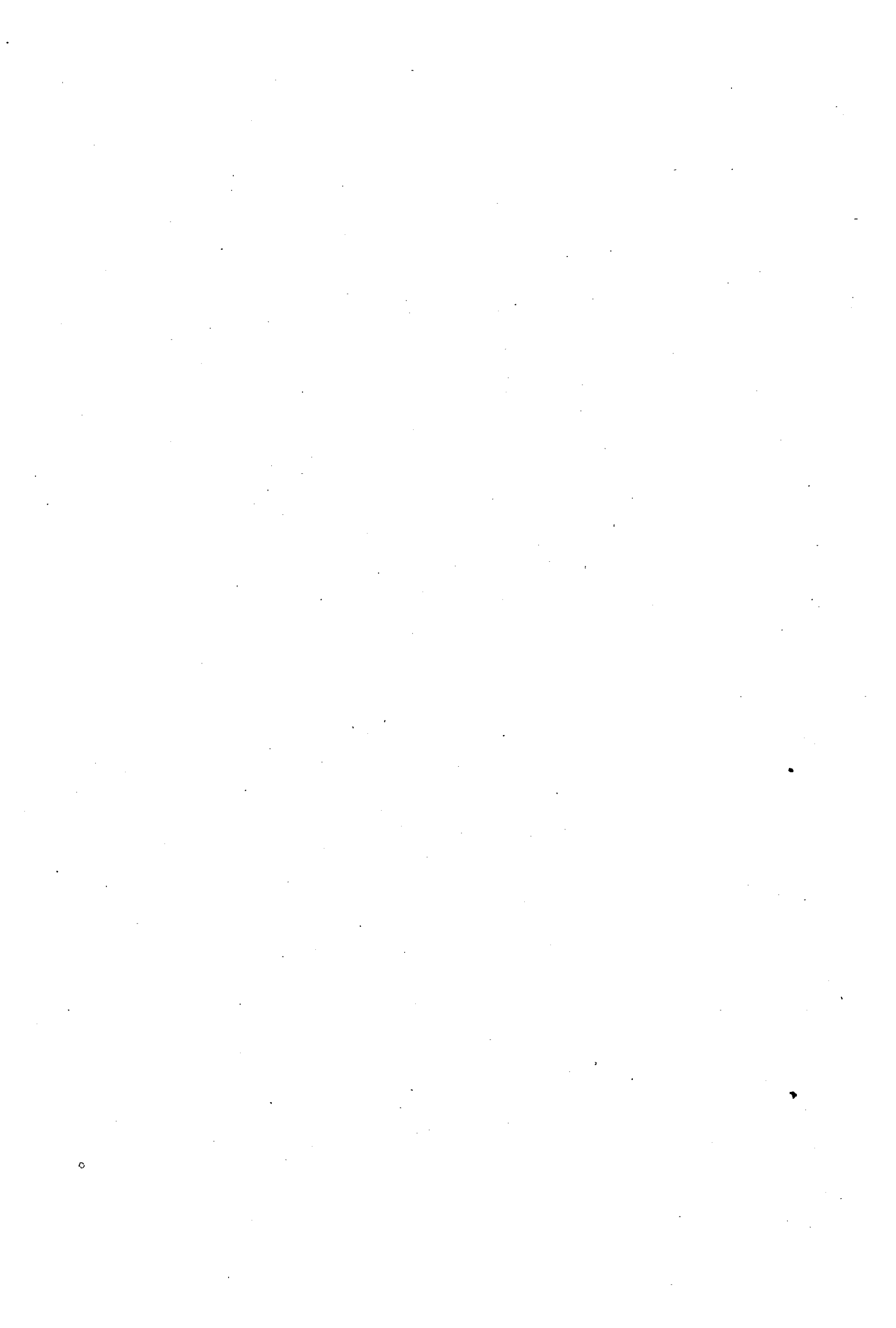
في عشيَّة وباكر

الكتـــــاب: صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر
Office of Evening and Morning Incense
الكـــــاتب: أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطيَّة)
المطبـــــعة: دار نوبار ٦أ شارع مدرسة المعلّمين، شبرا، القاهرة
الطَّبـــــعة: الأولى، يناير ٢٠٠٦م

الترقيم الدولى : 977-240-240-8
رقـم الإيـداع : ١٣٧٧٦ / ٢٠٠٥



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المحتويات

البَاب الثَّاني

الطَّقس القبطي لصلوات رفع البُخور

مقدّمة عامة

كان تقديم البُخور وحرق المواد العطريَّة أمراً شائعاً في الاحتفالات الدينيَّة عند كل الشُّعوب القديمة تقريباً (المصريين، والبابليين، والآشوريين، والفينيقيين ... الخ).

وكان لتقديم البُخور في خيمة الاجتماع، وفي هيكل سليمان، مكانٌ بارزٌ. والبُخور الذي استُخدم في خيمة الاجتماع كان يُسمى "بخوراً عَطراً" (خروج ٢٥:٦)، وكان مُركّباً بمقادير محدَّدة من مجموعة من العطور المختلفة (خروج ٣٠:٣٤)، قاصراً في استخدامه على العبادة فقط، إذ لم يكن مسموحاً لأحد أن يصنع مثله ليشمَّه، وإلاَّ تُقطع تلك النَّفس من شعبها (خروج ٣٠:٣٧، ٣٨).

ويُعد النَّشيد السَّابع عشر للقدِّيس مار أفرآم السِّرياني (٣٠٦-٣٧٣م) أوَّل وثيقة معروفة لدينا تشير إلى استخدام البُخور في اللِّيتورجيَّة المسيحيَّة، وهو النَّشيد الذي يمتدح فيه أسقف يُدعى أبرآم Abraham de Kidum قائلاً له:

[ليكن صيامك حصناً لبلادنا،
وصلواتك رجاءً لقطيعك،
وبخورك جالباً للغفران[1]].

1_ *CSCO* 92, P. 46. cf also, *Orien. Christ. Period.*, 1969, p. 371

كما وردت إشارة واحدة عن استخدام البُخور في العبادة المسيحيَّة في الكتاب الثامن من المراسيم الرسوليَّة (دُوِّن حوالي سنة ٣٨٠م)، عندما يذكر المؤلِّف أنه لا يقدَّم على المذبح سوى الخبز والخمر، وفي وقت الاحتياج تُستثنى سنابل القمح الجديدة، والعنب (ولاحظ أنهما أيضاً من أجل عمل الخبز والخمر) والزَّيت للسِّراج المقدَّس، **والبُخور لوقت التَّقدمة الإلهيَّة**[٢].

وقد ذكرت السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا - التي زارت أورشليم خلال الفترة من سنة ٣٨١م إلى سنة ٣٨٤م - أن البُخور كان يُستخدم في السَّهَر الكاتدرائي في كنيسة أورشليم تذكاراً لما فعلته النُّسوة حاملات الطِّيب عندما حملن الطِّيب وذهبن إلى قبر المخلِّص.

وتأتينا أوَّل شهادة وثائقيَّة واضحة عن استخدام البُخور في العبادة المسيحيَّة من ثيؤدوريت (٣٩٣- ٤٦٦م) أسقف قوروش[٣] Cyr وهو المؤرِّخ المشهور. ففي موضوعه الثامن والعشرين على سفر الخروج، والذي كتبه سنة ٤٥٣م أو بعدها بقليل، يعلِّق ثيؤدوريت معقِّباً على الآية: «فيوقد عليه هرون بخوراً عطراً كل صباح، حين يصلح السُّرُج الموقدة» (خروج ٣٠:٧- ٨) فيقول:

"نحن نخدم الليتورجيَّة المخصَّصة لخيمة الاجتماع أو للهيكل من الدَّاخل، (أي تقديم البُخور الذي كان يُرفع من داخل القُدس في كليهما) لأننا نقدِّم لله البُخور وإيقاد السُّرُج كما نخدم أسرار المائدة المقدَّسة (المذبح)[٤]".

---

٢ - انظر: المراسيم الرسولية (٣:٤٧:٨).

٣- هي مدينة صغيرة تقع إلى الشرق من أنطاكية.

4- *PG* 80, 284 B

وهذه الإشارة السَّابق ذكرها عن استخدام البُخــور في اجتمــاعي الصَّباح والمساء في الكنيسة المسيحيَّة، إشارة بالغة الأهميَّة تشير للتطــوُّر الطَّقسي في المراسيم الكنسيَّة في هاتين الخدمتين، لأنه ليست لدينا وثائق حتى اليوم تشير إلى استخدام القدِّيس يوحنا ذهبي الفــم (٣٤٧_٤٠٧م) للبُّخور في الخدمات الكاتدرائيَّة في كنيسة أنطاكية في ذلك الوقت.

وحرق البُخور في الكنيسة هو تعبير عن كل مضمون الخدمة المقدَّسة التي نقدِّمها لله فيها، أي رفع الصَّلاة إليه لمسرَّته، أو لمسرَّة إرادتــه. وفي ذلك يقول الكاهن في صلاة الاستعداد ليتهيأ لصلاة القــدَّاس الإلهــي: "أرسل لي قوَّة من العلاء، لكي أبتدئ وأهيئ وأكمِّل خدمتك المقدَّســة كما يرضيك كمسرَّة إرادتك رائحة بخور". فرفع البُخور هو تعبير عــن الصَّلاة نفسها، وفي ذلك يقول الكاهن: "لتستقم أمامك صلاتنا مثــل بخور" (سر بخور عشيَّة). فالبُخور هو رائحة الحياة الجديدة التي أدخلتنا في شركة السَّماويات والسَّماويين.

إن البُخور في العبادة المسيحيَّة هو رمز الصَّلاة الصَّاعدة أمــام الله، وهو يصاحب صلوات القدِّيسين[٥]، بل ذُكر صراحة أن البُخــور هــو "صلوات القدِّيسين"[٦]. لذلك ففي كل صلوات الكنيســة التشــفعيَّة والتَّوسليَّة يرفع الكاهن البُخور عوضاً عن نفسه وعن الشَّعب، رائحــة مقبولة لدى الآب، لأنها رائحة ابنه الوحيد الذي أصعد ذاته على الصَّليب عن خلاصنا فاشتَّمه أبوه الصَّالح وقت المساء حين مات على الجلجثة.

بل إن كل التَّقدمات والعطايا والنُّذور والبُكور والعُشور التي تقدَّم لله في كنيسته المقدَّسة مع الشُّكر، هي رائحة بخور يشتَّمها الله بالرِّضــى

٥- رؤيا ٨:٣

٦- رؤيا ٨:٥

والسُّرور. وهذا ما تقوله أوشيَّة القرابين: "اذكر يارب صعائد وقرابين وشكر الذين يقرِّبون كرامة ومجداً لاسمك القدُّوس. اقبلها إليك على مذبحك المقدَّس النَّاطق السَّمائي رائحة بخور".

والكنيسة لا تفرِّق بين العطايا الكبيرة التي تساوي في قدرها ذبيحة إبراهيم، وبين العطايا البسيطة التي تساوي في عمقها فلسي الأرملة. فهي تطلب من أجل الذين قدَّموا الكثير والذّين قدَّموا القليل سواء بسواء، وفي طلبة مؤثّرة تختص بذلك الأمر لا تنسى الكنيسة أمرين:

الأوَّل؛ أولئك الذين قدَّموا في خفية.

والثّاني؛ أولئك الذين يريدون أن يقدِّموا وليس لهم.

ثم تطلب لهؤلاء وأولئك مكافأة هي أعظم في قدرها بما لا يُقاس من كل ما قدَّموا؛ السَّمائيات عوض الأرضيَّات، والبَاقيات عوض الفَانيات، والأبديَّات عوض الزَّمنيَّات. وهنا أيضاً على الأرض تطلب من أجلهم: "أحطهم يارب بقوَّة ملائكتك ورؤساء ملائكتك الأطهار ....، وفي هذا الدَّهر لا تتركهم عنك". هذه الطّلبة العميقة يصلّيها الكاهن وهو يرفع البُخور على المذبح لكي يعبِّر البُخور الصَّاعد من المجمرة التي بيده عن كل هذه المعاني التي تحويها هذه الأوشيَّة.

وطقس رفع البُخور في كل عشيَّة وبُكرة، هو طقس تعود أصوله إلى البُخور الذي كان يُرفع في كل مساء وكل صباح أمام مذبح البُخور، أولاً في خيمة البريَّة - خيمة اجتماع الله مع شعبه، نواة الكنيسة - ثم في هيكل أورشليم بعد ذلك.

ولكن الفرق الشَّاسع بين كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد هو أن مذبح البُخور آنئذ كان أمام حجاب مغلق يحجب من ورائه

موضع قدسَ الأقداس، موضع حضور الرَّب واستعلانه، أما في كنيسة العهد الجديد، فلا زال الطَّقس هو بعينه الذي يُمارس في كل مساء وصباح، ولكن أمام مذبح قد انتقل إلى قدس الأقداس نفسه، فصار مذبحاً سمائياً بعد أن زال حجاب العداوة القديمة - التي حجبت الله عن النَّاس - بذبيحة المسيح وبدم نفسه. ودخل البُخور إلى قُدس الأقداس، ليُرفع من هناك بخوراً روحانياً يدخل إلى السَّماء عينها، موضع قُدس الأقداس.

ومن ثمّ لم يعد هناك مذبحان خارج الأقداس، واحد لتقديم الذّبيحة، وآخر لرفع البُخور، بل صارا كلاهما مذبحاً واحداً، تقدَّم عليه الذّبيحة، ويُحرق عليه البُخور، فاقترن البُخور بالذّبيحة على المذبح، وهكذا أصبحت كنيسة العهد الجديد تصلي وتقول: "طيب مسكوب هو اسمك القدُّوس، وفي كل مكان يقدَّم بخور لاسمك القدُّوس، وذبيحة طاهرة" (سر بخور عشيَّة). وهذه هي ذبيحة المسيح التي قدَّمها إلى الآب كإرادة أبيه ومسرَّته، فاشتمها أبوه الصَّالح رائحة سرور ورضا عن كل العالم.

وهكذا صار البُخور المرفوع على المذبح في كنيسة العهد الجديد يحمل أيضاً معنى الذّبيحة، فتقول إحدى الصَّلوات السِّريَّة التي يصليها الكاهن في القدَّاس: "يا الله الذي قبل إليه محرقة إبراهيم، وبدل اسحق أعددت له خروفاً، هكذا اقبل منا نحن أيضاً يا سيِّدنا محرقة هذا البُخور".

في القديم كانت ذبيحة حسيَّة، أما الآن فذبيحة ناطقة روحانيَّة. في ذلك الزَّمان كانت رمزاً، أمَّا الآن فحقيقة خلاص مُعاش. وهكذا صارت ذبيحة المسيح هي الذّبيحة الواحدة الدَّائمة التي يشتَّمها الله الآب على مدى كل هذه الأجيال مع كل بخور يُرفع في الكنيسة. وهذا هو الرِّباط الذي يربط بين ذبيحة القدَّاس ورفع البُخور فيه. وطقس الكنيسة مبدع في هذه الجزئيَّة حين يقول الكاهن وهو يحمل المجمرة في يده يرفع بها بخورا

إلى الله بينما هو واقف في الخوروس الثاني من الكنيسة، أي خارج المحلة حيث صُلب ربُنا: "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصَّليب عن خلاص جنسنا فاشتمَّه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجثة".

انظر ما أعجب هذه السَّحابة الواصلة بين السَّماء والأرض، وما أرهب ارتباط مذبح الكنيسة حيث يُرفع البُخور بمذبح السَّماء. فالكهنة في كنيسة العهد الجديد يرفعون بخوراً أمام الله حاملاً فيه صلوات الكنيسة مجتمعة، وصلوات قدِّيسيها كقولنا تماماً في الليتورجيَّة: "... وصلواتهم (أي صلوات جميع الأساقفة الأرثوذكسيين والقمامصة والقسوس والشَّمامسة وكل امتلاء كنيسة الله الواحدة المقدَّسة الجامعة الرسوليَّة) التي يصنعونها عنا وعن كل شعبك، وصلواتنا نحن أيضاً عليهم، اقبلها إليك على مذبحك المقدَّس النَّاطق السَّمائي رائحة بخور".

وفي موضع آخر تفسِّر الليتورجيَّة هذا الأمر بأكثر وضوح فتقول: "اقبلها إليك على مذبحك المقدَّس النَّاطق السَّمائي، رائحة بخور تدخل إلى عظمتك التي في السَّموات بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك المقدَّسين". هنا يتَّضح دور الملائكة ورؤساء الملائكة في الرَّبط بين مذبح الكنيسة ومذبح السَّماء، ولكنهم لا يقدِّمون بخوراً على المذبح لأن الأمر من اختصاص الكهنوت.

هذا البُخور الذي يحمل هذه الصَّلوات هو بعينه الذي يقدِّمه الأربعة والعشرون قسيساً الجلوس على كراسيهم، ويحملون أربعة وعشرين جاماً من ذهب في أيديهم مملوءة بخوراً الذي هو صلوات القدِّيسين، ويسجدون أمام الحي إلى أبد الآبدين.

ولا زال البُخور الذي يُرفع أمام الله في الكنيسة باعثاً على استجلاب

تحنُّناته وطلب غفرانه ورضاه، وهو ما يقوله الكاهن بعد أن يمر بالبُخور على الكنيسة كلها ويعود إلى المذبح، فيقف أمامه وهو حامل البُخور وباسطٌ يديه ويقول: "يا الله الذي قبل إليه اعتراف اللِّص اليمين على الصَّليب، اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم خطاياهم، من أجل اسمك القدُّوس الذي دُعي علينا، كرحمتك يارب وليس كخطايانا".

ولعل أوضح تعبير تستخدمه الكنيسة في هذا المجال هو قول الكاهن أيضاً في أوشية بخور الإبركسيس: "اقبل منا يا سيِّدنا محرَقة هذا البُخور، وأرسل لنا عوضه رحمتك الغنيَّة". وفي سر بخور باكر يقول الكاهن أيضاً: "اقبل إليك هذا البُخور من أيدينا رائحة بخور غفراناً لخطايانا مع بقية شعبك".

وعلى ذلك، فحرق البُخور يحمل إذاً معنى كل الخدمة المقدَّسة، وأنواع العطايا التي تقدَّم لله فيها، وذبيحة المسيح التي لا يكون غفران للخطايا إلاَّ بها، وذبيحة التَّسبيح أي الصَّلوات، واستجلاب الرَّحمة من الله.

والكتاب الذي بين يديك قارئي العزيز، يبحث في طقس صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر، وهو طقس قائم بذاته، إذ يمكن رفع البُخور في الكنيسة في كل مساء وصباح، سواء أعقبه قدَّاس إلهي أم لم يعقبه، وهذا هو ما يشير إليه ابن كبر (+ ١٣٢٤م) بقوله: "باكر وعشيَّة قد رُسم فيها رفع البُخور، وبالخاصة باكر، فإنه ينبغي رفعه في كنائس الله كل غداة، سواء أعقب الصَّلاة قدَّاس أو لم يعقبها(٧)".

وسوف تتعرَّف في هذا الكتاب على تاريخ هذا الطَّقس منذ القديم

٧ــ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الثاني (مخطوط)، الباب ١٦.

وحتى اليوم، لترى أن الكنيسة القبطيَّة لا زالت تحافظ على الطَّقس القديم سواء في شكله الدَّيري، أو شكله الكاتدرائي، بعد أن مزجت بينهما بدون خلط أيهما في الآخر، بإبداع شهد له علماء الغرب قبل الشَّرق، كما أشادوا بأصالة الطُّقوس القبطيَّة الحاليَّة، وامتدادها الموغل في القِدم.

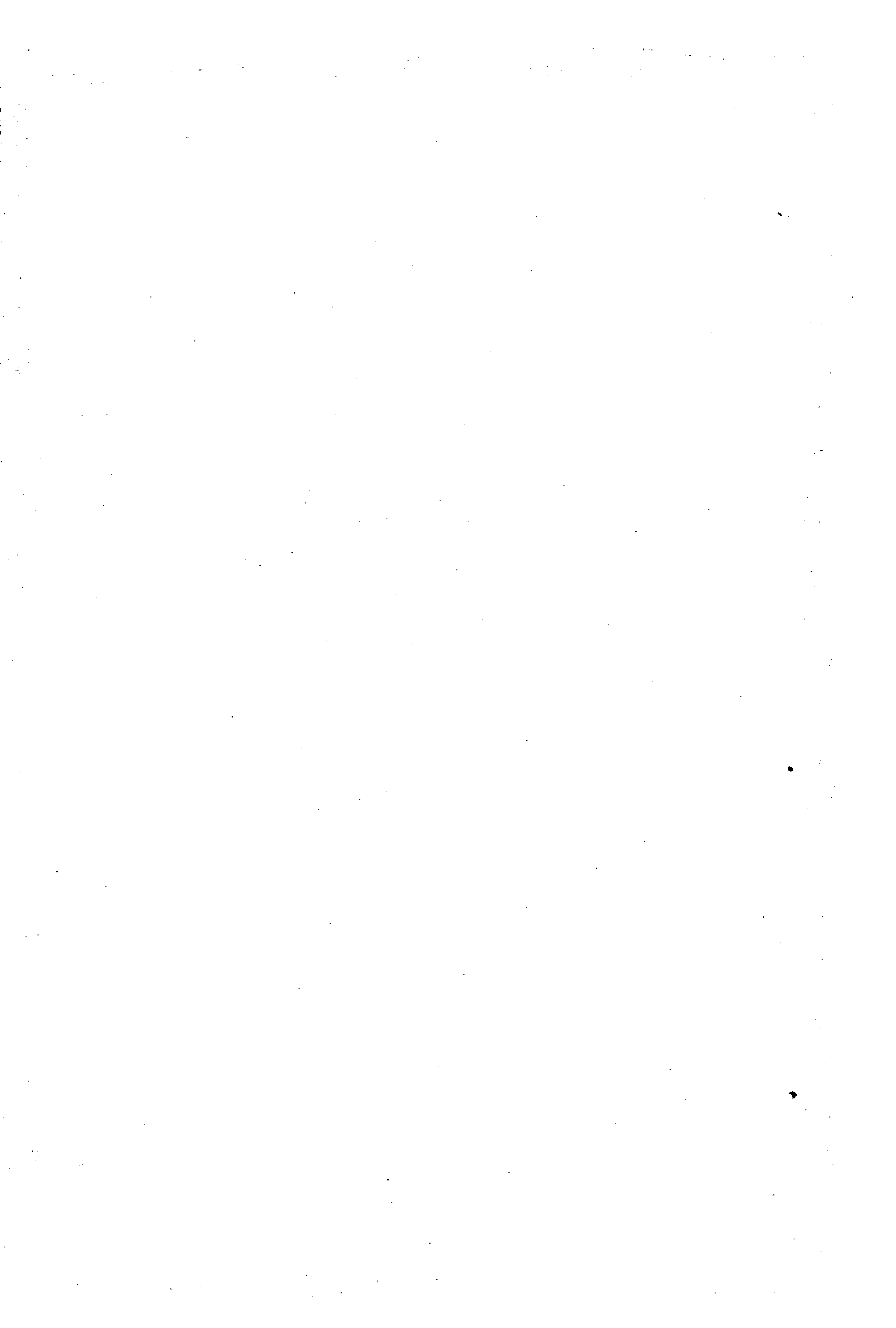
وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن ما تقرأه في هذا الكتاب أو غيره من كتب "الدُّرَّة الطَّقسيَّة" من دراسات تاريخيَّة طقسيَّة أو أبحاث ليتورجيَّة لا تبيح تغيير أو تعديل أي جزئيَّة طقسيَّة، ولا حتى كلمة واحدة من نصوص الصَّلوات الليتورجيَّة، لأن ذلك من اختصاص السُّلطة الكنسيَّة وحدها.

راجياً إلى إلهنا الصَّالح أن يبارك العمل لمجده، ويكمِّل فينا إرادته الصَّالحة، لنثمر لملكوته الأبدي الذي دعانا إليه، ببركة شفاعة العذراء كل حين والدة الإله القدِّيسة الطَّاهرة مريم، وكافة مصاف السَّمائيين والشُّهداء والقدِّيسين، وبركة صلوات أبينا الطُّوباوي المكرَّم، قداسة البابا شنوده الثالث، بابا الإسكندريَّة وبطريرك الكرازة المرقسيَّة. وصلوات سائر آبائي المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس والرُّهبان، وإخوتي الشَّمامسة، وكل طغمة العلمانيين المبارَكين.

ولله الآب والابن والرُّوح القُدُس كل المجد والإكرام والسُّجود الآن وكل أوان وإلى أبد الدُّهور، آمين.

البَاب الأوَّل

مقدِّمات عامة حول
صلوات المساء والصَّباح



الفَصل الأوَّل

نشأة صلوات المساء والصَّباح
في الطقـــوس الشَّـــرقيَّة

تمهيد

تأتينا أوَّل شهادة وثائقية عن خدمة صلاة كاتدارئيَّـــة[1] يوميَّـــة في المساء والصَّباح من المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري (٢٦٠ـ ٣٤٠م) أسقف قيصرية فلسطين منذ سنة ٣١٣م، وذلك في تعقيبه على المزمـــور (٦٤:٩ في السبعينيَّة) «تجعل مطالع الصَّباح والمساء تبتهج»، حيث يشرح أن بهجة هذا الصَّباح والمساء تكمن في ترتيل الألحان والتَّسابيح المرفوعة لله في الكنيسة المقدَّسة. ويفسر ذلك بقوله:

[إن ما يمجد قوَّة الله في كل كنائس المسكونة هو تمجيده بالألحان والتَّسابيح والبهجة الحقيقيَّة الروحيَّة في الصَّباح عند شروق الشَّمس، وفي ساعات المساء. لأن ســـرور الله هـــو

١ـ خدمة صلاة كاتدارئيَّة أي الخدمة التي تمارسها كنائس المدن، تمييزاً لهـــا عـــن كنائس الأديرة. وسُميت كذلك لأن الكنيسة الكاتدارئيَّة أي كنيسة الأسقف تُعتـــبر هي مركز الحياة الليتورجيَّة. والخدمة الكاتدارئيَّة هي خدمة صلاة شعبيَّة حيث يشترك فيها كل الشَّعب، ولها سمات تميزها ومراسيم تصاحبها مثل إيقاد المصـــابيح ورفـــع البُخور، والمواكب الاحتفاليَّة، وترتيل الأنتيفونا، والألحان الجماعيَّة، وتنـــوُّع رتـــب الإكليروس فيها وعمل كل منها، وتسبيح الأبصلموديَّة في إيجاز، حيث تُنتقى بعـــض المزامير لتصاحب هذه الخدمة الكاتدارئيَّة، فلا تُرتَّل كل المزامير بتمامها وهي السِّـــمة التي تميز خدمة الصَّلاة الديريَّة.

Cf. Robert Taft, S.J., *The Liturgy of the Hours in East and West*, U.S.A., 1986, p. 32.

بالحقيقة الألحان التي تُرفع إليه في كل مكان على الأرض في كنيسته في أوقات الصَّباح والمساء. ولهذا السَّبب قيل في موضع ما «ليكن تسبيحي مرتَّلاً بعذوبة له» (مزمور ٤٦:١). وأيضاً: «لتكن صلاتي كالبُخور أمامك» (مزمور ١٤٠:٢)].

والإشارة هنا إلى المزمور (١٤٠) هي إشارة من الأهميَّة بمكان، لأن يوسابيوس المؤرِّخ وإن كان لم يذكر شيئاً عن هذا المزمور، ولكننا نعرف من مصادر أخرى من القرن الرَّابع الميلادي أن هذا المزمور هو مزمور المساء في الخدمة الكاتدارئيَّة. فمقالة العلاَّمة أوريجانوس المصري (١٨٥-٢٥٤م) عن الصَّلاة، هي أول شاهد على استخدام المزمور (١٤٠) في صلاة المساء في كنيسة مصر، وهو المزمور الذي صار فيما بعد النَّواة الأولى لصلاة الغروب الكاتدارئيَّة في كل العالم المسيحي[٢].

بالإضافة إلى أن ما يذكره يوسابيوس من تمجيدات ὑμνολογία وتسبيحات αἰνοποιήσις ربما كانت إشارة إلى ترتيل المزامير، لأنَّ المفردات اليونانيَّة السَّابق ذكرها مباشرة قد دخلت فيما بعد تحت عنوان: " ὕμνοι " وهي نفس التَّسمية hymn التي تظهر كعنوان لبعض المزامير، فضلاً عن أن يوسابيوس نفسه استخدم الاسم hymn أو الفعل ὑμνεῖν ليشير بهما إلى المزامير وترتيلها.

وإذا كان المزمور (١٤٠) هو المزمور الرَّئيسي في صلاة المساء، فالمزمور الأساسي في خدمة الصَّباح هو المزمور (٦٢) حيث يذكر يوسابيوس في تعقيبه على المزمور (١٤٢:٨) وكذلك المزمور (٦٥:٢) أن التَّقليد السَّاري في كل كنائس الله هو الغناء والتَّسبيح له، ليس فقط بين

2_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 16.

اليونانيين، ولكن أيضاً بين البرابرة[٣].

وعلاوة على أن الخدمة الكاتدارئيَّة هي في أساسها خدمة تسبيح وحمد Praise ، فهي أيضاً خدمة تشفُّع وابتهال Intercession ، إلاَّ أنها ليست خدمة كلمة، أي أنها خدمة لا تُقرأ فيها فصول كتابيَّة للتَّعليم. ويُستثنى من ذلك الخدمة الكاتدارئيَّة في كل من مصر وكبادوكيا، حيث أن الخدمة الكاتدارئيَّة بهما تشمل قراءة فصول كتابيَّة. وإن ما نراه اليوم من قراءات لفصول كتابيَّة في بعض من هذه الخدمات عند بعض الكنائس ما هو إلاَّ نتيجة تطوُّر متأخِّر طرأ على طقوس هذه الكنائس، ولم تكن جزءاً رئيسياً من التَّكوين الأساسي للخدمات الكاتدارئيَّة الاعتياديَّة فيها[٤].

فعلى سبيل المثال، الخدمة الكاتدارئيَّة في الطَّقس الآشوري – وهي واحدة من أنقى أنواع الخدمات الكاتدارئيَّة وأكثرها بدائيَّة – لا تحوي فصولاً لقراءات كتابيَّة سوى يوم أحد القيامة فقط[٥]. وحتى فصل الإنجيل الذي يُقرأ الآن في خدمة صلاة الغروب في هذه الكنيسة في بعض أيام الصَّوم الكبير أو قبل أيام الآحاد والأعياد، ليس جزءاً أصيلاً في هذه الخدمة، ولكنه نتاج ليتورجيَّة قديمة، من بين ليتورجيَّات القُدسات السَّابق تقديسها، أو يُستعار فصل الإنجيل من قراءات قدَّاس اليوم التالي[٦].

إذاً فما يميِّز خدمة المساء والصَّباح أو بمعنى آخر صلاة عشيَّة وباكر في كنيسة مصر بالذَّات – بجانب كنيسة كبادوكيا – هو التَّسبيح والشُّكر ثم الطلبات التوسليَّة أي الأواشي، ثم قراءة فصول كتابيَّة

3_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 33.

4_ *Ibid*, p. 33.

5_ J. Mateos, *Lelya _ Sapra, Les Offices Chaldéens de La Nuit et du Matin.* dans OCP 156, Rome, 1976, p. 443.

6_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 33.

ولاسيَّما فصل الإنجيل المقدَّس.

وفي الحقيقة ليس لدينا أي نص مبكِّر يؤكِّد وجود نظام لصلاتي المساء والصَّباح فقط دون ساعات صلوات أخرى معهما. فبعض المصادر المصريَّة المبكِّرة تبين لنا أن أوقات الصَّلاة اليوميَّة كانت في الصَّباح والظهر والمساء واللّيل. ومن كنيسة شمال أفريقيا نعرف أن أوقات الصَّلاة اليوميَّة كانت في الصَّباح والثالثة والسَّادسة والتَّاسعة والأغابي، والمساء واللّيل. وهو نفس النظام الذي اتبعه كتاب التَّقليد الرَّسولي الذي دُوِّن حوالي سنة ٢١٥م، حيث يحوي هذا الكتاب نفس ساعات الصَّلاة التي عرفتها كنيسة شمال أفريقيا، ولكن مع إضافة ساعات ليلية أخرى تبدأ عند صياح الدِّيك.

وتلخيصاً لما سبق نقول: إنه باستثناء السَّهَر اللّيلي الذي ذكره ترتليان في بعض المناسبات الكنسيَّة[٧]، فإن ساعتي الصَّلاة اللّتين كان يجتمع فيهما المؤمنون بانتظام على مدار أيام الأسبوع في الكنيسة كانتا صلاة الصَّباح وما يصاحبها من تعليم من الكتب المقدَّسة، وصلاة المساء وما يصاحبها من أغابي أو عشاء محبة[٨].

ويلزم أن ينتبه القارئ إلى أن خدمتي المساء والصَّباح في الكنائس الشرقيَّة المختلفة لا تقابل بالضبط صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر، في الخدمة الكاتدارئيَّة في مصر، وهي الخدمة التي انتقلت فيما بعد إلى الأديرة القبطيَّة. إذ أن خدمة الصَّباح لها مفهوم متَّسع متشعِّب، فقد تعني في كنيسة ما صلاة السَّحَر Matins ، وفي أخرى صلاة باكر Prime ، وفي غيرها خدمة رفع البُخور التي تعقب صلاة باكر، وأحياناً سابقة عليها.

7_ To his wife, II, 4: 2
8_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 21, 28

ولكن مع ذلك تظل البنية الأساسيَّة عموماً لصلاة الصَّباح متشابهة في أي كنيسة. ونفس الشئ ينطبق أيضاً على صلاة المساء أو صلاة الغروب أو رفع بخور عشيَّة.

وتميِّز الكنيسة القبطيَّة بين رفع بخور عشيَّة كطقس كاتدرائي الأصل انتقل إلى الأديرة، وبين صلاة الغروب كترديد بسيط للمزامير كطقس ديري انتقل بدوره هو الآخر إلى كنائس المدن. ثم حدث جمع بينهما حتى أصبحا خدمة واحدة تقريباً في النظام الكاتدرائي لكن دون امتزاج أو اختلاط بينهما.

وهكذا ظلَّت صلاة الغروب الدَّيريَّة خدمة ديريَّة خالصة لا تحوي سوى الصَّلاة بالمزامير، ولكنها لمَّا انتقلت إلى كنائس المدن أُلحقت على صلوات رفع بخور عشيَّة، كمقدِّمة لها، فتشكَّلت خدمة صلاة الغروب الكاتدارئيَّة من كلا الخدمتين الدَّيريَّة والكاتدارئيَّة، فاحتفظ التَّقليد القبطي بخصائص ليتورجيَّة متميِّزة، حفظ فيه الخدمتين الدَّيريَّة والكاتدارئيَّة متجاورتين أو متقاربتين جنباً إلى جنب، ولكن غير مختلطتين.

هذه السِّمة التي تميِّز التَّقليد القبطي لا نجدها في الطقوس الأخرى، فالطَّقس الأرمني والطَّقس السِّرياني الشَّرقي (الآشوري) يحويان أفضل خصائص الخدمة الكاتدارئيَّة في شكلها الأوَّلي أو البدائي نقيَّة غير مختلطة بتأثيرات ديريَّة، في حين أن الطَّقس البيزنطي يحوي خليطاً من ممارسات كاتدارئيَّة وأخرى ديريَّة، يتداخل كل منها في الآخر، حتى أخذت شكلها الذي صارت عليه الآن.

وأسوق فيما يلي مثالاً يبيِّن كيف أن الطَّقس القبطي ظل محتفظاً بخدمتيه الدَّيريَّة والكاتدارئيَّة دون خلط أو مزج بينهما. فتسبحة

الملائكة[٩] "المجد لله في الأعالي ... الخ" تُقال في صلاة باكر كطقس ديري قائم بذاته، ثم تُقال مرَّة أخرى في رفع بخور باكر كطقس كاتدرائي قائم بذاته أيضاً، وصارت حتى اليوم تُكرَّر مرَّتين حتى بعد أن أُضيفت كلا الخدمتين الديريَّة والكاتدارئيَّة إلى بعضهما.

وكمثال آخر؛ لدينا قانون الإيمان الذي يُقال مرَّة أولى في تسبحة السَّحَر، ثم يُقال مرَّة ثانية في مزامير صلاة باكر، ثم يُقال مرَّة ثالثة في رفع بخور باكر، فصار يُردد ثلاث مرَّات في "صلاة الصَّباح" في التَّقليد القبطي. وهذا لا يعني أنه لم يحدث أي خلط على الإطلاق في الطَّقس القبطي بين ما هو ديري، وما هو كاتدرائي، ولكنه هو الطَّقس الذي حفظ كلا النِّظامين واضحين بين كافة الطقوس الشرقيَّة الأخرى.

إن خدمتي المساء والصَّباح الكاتدرائيتين في الكنائس المختلفة تحويان مجموعة من المتشابهات تُظهر لنا إما أصلاً مشتركاً بينهما في التَّقليد المبكِّر، أو استعارة متأخِّرة لواحدة من الأخرى، أو تأخيراً مختلطاً متبادلاً بين التَّقاليد.

إن تسبيح المسيح الإله مع بداية ظهور نور الشَّمس عند إشراقها في سواعي الصَّلوات الكاتدارئيَّة الصباحيَّة، أو تسبيحه مع إيقاد نور مصباح المساء في الصَّلوات المسائيَّة، يبرهن لنا أنه هو شمس البر، ونور العالم.

إذاً فخدمة الصَّباح هي خدمة شُكر وتسبيح لله على اليوم الجديد، وعلى الخلاص الذي صار لنا بيسوع المسيح، وهو أسلوب مسيحي في استقبال اليوم الجديد وتكريسه لله.

وعلى الجانب الآخر، فصلاة الغروب أو المساء هي أيضاً وسيلة

٩- وهي تُدعى في الطَّقس البيزنطي "المجدلة الصُّغرى".

مسيحيَّة لختامه، سائلين عفوه عن أخطاء اليوم، وطالبين نعمته ورحمته لليل هادئ خلاصي.

والرمز الأساسي لكلا الخدمتين هو النور، فإشراقة الشَّمس وبزوغ نور الفجر ليوم جديد، وانقشاع الظَّلام، وحلول النَّهار، تسترجع أمامنا قيامة المسيح من الموت. ومصباح المساء يذكرنا بقول القدِّيس يوحنا الإنجيلي عن السيِّد المسيح إنه «نور العالم» الذي ينير ظلمة الضَّلالة التي فينا. ويمارس المسيحيون هذه الخدمات في شركة واحدة كما يؤكِّد كل من القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، وكُتب المراسيم الرسوليَّة، على أن قوَّتهم الوحيدة في كونهم جسد المسيح، وغياب واحد منهم عن الاجتماعات العامة يضعف هذا الجسد، ويحرم الرأس من أعضائه.

فتسبيح المساء يُفتتح بطقس إيقاد السُّرُج Lucernarium عند حلول الظَّلام كرمز للمسيح الذي ينير العالم الذي أظلم بالخطيَّة. ويُصاحب إيقاد سراج المساء ترتيل لحن النور مثل اللَّحن القديم "يا نوراً بهياً ..."، حيث يتبعه مزمور المساء (١٤٠/ ١٤١)، مع رفع البُخور رمزاً لتسبيحنا المرفوع إلى السَّماء أمام عرش الله (مزمور ١٤٠:٢). وهذه الافتتاحيَّة الطَّقسيَّة لصلاة المساء هي افتتاحيَّة ثابتة تقريباً في معظم الطقوس الشرقيَّة، تعقبها طلبات Intercessions ثم طقس الختام Dismissal ، وهناك عناصر أخرى تكمل صلاة المساء مثل المزامير والتَّسابيح الكتابيَّة، أو التَّسابيح ذات المرد Responsory ، وربما أحد الفصول الكتابيَّة.

وهكذا نجد في النِّصف الثاني من القرن الرَّابع الميلادي غنىً وافراً في الخدمات الكاتدرائيَّة الصَّباحيَّة والمسائيَّة في كبادوكيا، وأنطاكية، وأورشليم، ومعلومات قيِّمة عنها في كنيسة مصر. بينما لم تكن الصُّورة واضحة في هذا الوقت المبكِّر لخدمتي الصَّباح والمساء في القسطنطينيَّة

وقبرص. ومع نهاية هذا القرن فإننا نجد خدمة كاتدارئيَّة مستقرَّة ومكتملة يحتفل بها الأسقف بمشاركة الإكليروس وكل الشَّعب.

إن خدمتي الصَّباح والمساء هما خدمتان أساسيَّتان باعتبارهما خدمة يوميَّة تحوي عناصر شعبيَّة مثل اختيار للمزامير وكلمات للتَّسبيح مناسبة للسَّاعة التي تُتلى فيها، وهي تُرتَّل بمشاركة الشَّعب الذي يرد بقرار وأنتيفونات، واستخدام الأنوار والبُخور والمواكب الاحتفاليَّة والطلبات والابتهالات التي تُرفع من أجل احتياجات الشَّعب كأمور محبَّبة لقلوبهم.

وعلى وجه العموم يمكننا تصوُّر ملخَّصاً عاماً لنظام صلوات الصَّباح والمساء في تقليدها الكاتدرائي. أو بمعنى آخر البنية الأساسيَّة لصلاة الغروب Vespers الكاتدارئيَّة وذلك على النحو التالي:

- طقس إيقاد سراج المساء.
- لحن النُّور، مع صلاة افتتاحية Collect [١٠].
- المزمور ١٤٠ (١٤١ في السبعينيَّة) مع رفع البُخور، وصلاة مختصرة.
- مزامير أخرى.
- صلوات ذات مرد Responsory .
- فصل كتابي Lesson .
- تسابيح كتابيَّة Canticle .
- طلبات Intercession ، تعقبها صلاة مختصرة Collect .
- صلاة ختاميَّة مصحوبة بإحناء الرَّأس للبركة.
- تسريح.

وفيما يلي نعرض لنشأة صلوات المساء والصَّباح في الكنائس الشرقيَّة

---

١٠ ـ Collect من اللفظة اللاتينيَّة Collecta وهي تعني صيغة مختصرة لصلاة تحوي غالباً عناصر الابتهال والتَّوبة، والتماس اسم المسيح، وتمجيد الثالوث. وأقرب مثال لها في الطَّقس القبطي هو ما يُعرف باسم "صلاة التَّحليل". Cf. ODCC., 2nd edition, p. 313.

المختلفة، كيف تشكّلت، وما هي بنيتها الأساسيَّة، وكيف تطوَّرت مراسيم طقوسها.

في كنيسة مصر

يعتبر القدِّيس يوحنا كاسيان الذي زار مصر خلال الفترة من سنة ٣٨٠م إلى سنة ٣٩٩م هو أوَّل من أخبرنا عن صلاة الصَّباح التي كانت تمارَس في كنيسة مصر، وذلك في مؤلَّفه "المعاهد - Conferances" (٢٦:٢١)، كما رواها له الأب ثيؤناس فيقول:

[وهذا النَّوع من التَّقوى يراعيه بغاية الاهتمام كثيرون من الذين يعيشون في العالم، حيث يستيقظون قبل بزوغ النور مبكِّراً جداً، ولا ينشغلون مطلقاً بأي أمور تختص بهذا العالم، ولو كانت ضروريَّة، قبل الإسراع إلى الكنيسة مجاهدين لتكريس أول ثمار أفعالهم، واهتماماتهم للرَّب].

فإذا كان النَّص السَّابق ذكره، يتحدَّث عن صلاة صباحيَّة، إلاَّ أنه توجد مصادر قبطيَّة أخرى كثيرة توضِّح لنا أن كنيسة مصر قد عرفت صلاة صباحيَّة يوميَّة وأخرى مسائيَّة.

فتؤكِّد قوانين هيبوليتس القبطيَّة[١١] في نصِّها العربي ليس فقط على

١١ـ هذه القوانين بحسب تحقيق العالم كوكان R. Coquin يعود أصلها اليوناني إلى مابين سنة ٣٣٦م، وسنة ٣٤٠م. ويرجعها العالم المدقق الأب جريجوري دكس Dix إلى القرن الخامس أو أوائل السادس. ويقرر العالم براكمان H. Brakmann أنها من أصل مصري وقد دُونت في مصر، ولكن ليس في الإسكندرية نفسها.

Cf. H. Brakmann, *Alexandreia und die Kanons des Hippolyt, Jahrbuch für Antike und Christentum, 22,* 1979, p. 139_ 149.

وجود خدمات كاتدارئيَّة صباحيَّة ومسائيَّة في مصر، ولكن أيضاً تعطينا معلومات قيِّمة عن محتوياتها.

فالقانون (٢١) من هذه القوانين والذي عنوانه: "لأجل اجتماع جميع الكهنة والشَّعب إلى الكنيسة كل يوم[١٢]"، يقول:

"١- يجتمع القسوس كل يوم في الكنيسة، وأيضاً الشَّمامسة والإيبودياكونون والأغنسطسون وكل الشَّعب عندما يصيح الدِّيك. ويصنعون الصَّلاة والمزامير وقراءة الكتب والصَّلوات كوصيَّة الرَّسول القائل: التفت إلى القراءة إلى أن أحضر.

٢- والذي يتأخَّر من الإكليروس من غير مرض، و لم يتقرَّب فليفرَّق.

٣- وأما المرضى، فالمضي إلى الكنيسة هو شفاء لهم، لينالوا من ماء الصَّلاة، وزيت الصَّلاة، إلاَّ لو كان المريض مدنَّفاً هاوياً، فيعوده الإكليروس الذين يعرفونه كل يوم".

والقانون (١:٢٦)، والمعنون بعنوان: "لأجل استماع الكلام في الكنيسة والصَّلاة فيها"، نقرأ فيه أنه يلزم على كل واحد أن يسرع إلى الكنيسة كل يوم ليصلي ويستمع إلى كلام الله. فيقول:

"إذا كانت مفاوضة في بيعة لأجل كلام الله، فليسرع كل واحد ويجتمع إليه. وليعلموا أن الأفضل لهم أن يسمعوا كلام الله أكثر من كل افتخار هذا العالم. وليحسبوا أنها خسارة عظيمة لهم إذا عاقتهم ضرورة عن أن يسمعوا كلام الله، بل ليتفرَّغوا للكنيسة مرَّات كثيرة. ليقدروا أن

١٢ـ عن دراسة مستوفاة لهذه القوانين، انظر للمؤلِّف كتاب: "قوانين هيبوليتس القبطيَّة" ضمن سلسلة "مصادر طقوس الكنيسة".

وانظر أيضاً:

R.G. Coquin, *Les Canons D 'Hippolyte*, dans Patrologia orientalis (PO), tome 31, fascicule 2, Paris, 1966.

يخرجوا الحقد الذي للعدو".

وكذلك القانون (١:٢٧) يقول:
"وفي اليوم الذي لا يصلُّون فيه في الكنيسة، فلتأخذ كتاباً وتقرأ فيه، ولتنظر الشَّمس الكتاب على رجليك في كل الغدوات".

هذه النُّصوص وخصوصاً القانون (٢١) تشير إلى خدمة كاتدارئيَّة أي خدمة كنسيَّة يجتمع فيها الشَّعب في الكنيسة الكاتدارئيَّة حول الأسقف أو في أي كنيسة أخرى من كنائس المدن، لأن كنيسة مصر لم تكن تحتفل حتى ذلك الوقت بإقامة الإفخارستيَّا كل يوم[١٣].

إن طقس القراءات الكتابيَّة في كنيسة مصر في صلاتي المساء والصَّباح فيها هو طقس سحيق في القدم تميَّزت به كنيسة مصر قبل أن تعرفه بقية الكنائس في العالم المسيحي. ففي النِّصف الثاني من القرن الرَّابع الميلادي يحكي بفنوتيوس في تاريخه عن رُهبان صحارى مصر أن اثنين من مدينة أسوان صارا فيما بعد راهبين قالا: "اعتدنا أن نذهب إلى الكنيسة سوياً كل يوم مساءً وصباحاً، لنسمع الكُتُب المقدَّسة التي تُقرأ، وفصل الإنجيل الذي يقول: «من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ...» ".

ويعتبر العالم كيك H. Queck هذه القصَّة ذات قيمة غالية جداً، لأنها تثبت وجود قراءات كتابيَّة في الخدمة المصريَّة، والتي تعتبر خاصيَّة مصريَّة تنفرد بها كنيسة مصر[١٤].

ففي كتاب "التَّقليد الرسولي" الذي دُوِّن حوالي سنة ٢١٥م[١٥]،

13_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 35.
14_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 36.
١٥ـ وضعه هيبوليتس الروماني باليونانيَّة، ولكن هذا النَّص اليوناني الأصلي فُقِد،

والذي يعتبر أهم مصدر ليتورجي في القرن الثالث الميلادي، يــذكر في الفَصل الخامس والثلاثين موضوع الصَّلاة في البيت عند الاستيقاظ مــن النَّوم، وكذلك الصَّلاة في بعض المناسبات الأخرى، وعلى الخصــوص، تعليم الموعوظين في الصَّباح الباكر في الكنيسة.

والنَّص المترجم فيما يلي لجانب من هذا الفَصل الـ (٣٥) مــأخوذ عن التَّرجمة الحديثة التي قام بها جوفري[16] Geoffrey J. Cuming :

"بمجرد أن يستيقظ المؤمنون، وقبل أن يلتفتوا إلى أي عمل، يصلُّون لله، ثم يسرعون إلى عملهم. وإن كان هناك كلمة تعليم، فليفضلها كــل أحد على أي شئ آخر، فيذهب مسرعاً إلى الكنيسة حيث يتكلَّم الرُّوح، ويسمع كلمة الله لأجل عزاء نفسه".

هذا النَّص السَّابق ذكره وُجد في أقدم مصدر لهذه الوثيقــة، وهــو مخطوطة لاتينيَّة في مكتبة فيرونا Verona تعود إلى القرن الخامس الميلادي، أما التَّرجمة اللاَّتينيَّة نفسها فيُظن أنها تعود إلى حوالي سنة ٣٧٥م.

ولا توجد له سوى ترجمة لاتينيَّة ترجع إلى القرن الرَّابع المــيلادي، محفوظــة في دار مخطوطات كاتدارئيَّة فيرونا. وإن كان هذا الكتاب قد أُهمل في الكنيسة اللاتينيَّة، إلاَّ أنه لاقى رواجاً عظيماً في كنيسة مصر، مما دفع العلماء إلى الاعتقاد بأن النَّص الأصلي للكتاب كان باللغة القبطية الصعيديَّة. وترجع ترجمته إلى هذه اللغة الأخيرة إلى القرن السادس الميلادي. وقد نُشر للمرَّة الأولى سنة ١٨٨٣م. ونشر هولر الــنَّص اللاَّتــيني للكتاب سنة ١٩٠٠م. ولما قورنت التَّرجمة اللاتينيَّة بالتَّرجمة القبطيَّة اتَّضح أن التَّرجمتين ترجعان إلى نص واحد هو النَّص اليوناني لهيبوليتس.

16 _ Hippolytus, *A Text for Students* (Grove Liturgical Study 8, Bramcote, Grove Books, 1976.

For The Critical Edition of the Reconstructed Text, See B. Botte, *La Tradition Apostolique de Saint Hippolyte*, Essai de Reconstitution, LQF 39, Münster As chendorff, 1963.

وبعد الفقرة السَّابق ذكرها مباشرة يسترسل النَّص اللاَّتيني في سرد بعض القوانين المختصَّة بالإفخارستيَّا، ورشم علامة الصَّليب، ثم يعقب ذلك ضياع لبعض ورقات من المخطوط، حيث يعود النَّص اللاَّتيني ليُستأنف من جديد بالحضّ على صلاة السَّاعة التَّاسعة. ولقد حاول علماء الليتورجيَّا إكمال النَّص المفقود من أقدم ترجمة بعد التَّرجمة اللاَّتينيَّة، وهي التَّرجمة القبطيَّة الصعيديَّة، وهي موجودة في المكتبة البريطانيَّة[١٧]. في مخطوط يعود إلى سنة ١٠٠٦م، ولكن التَّرجمة القبطيَّة الصعيديَّة نفسها أُخذت عن نص يوناني قديم مفقود يعود إلى سنة ٧٠٠ ميلاديَّة. وهكذا أمكن إعادة صياغة النَّص كما يلي[١٨]:

"١- كل مؤمن ومؤمنة حين قيامهم من النَّوم باكراً، من قبل أن يباشروا أي عمل، فليغسلوا أيديهم ويصلُّوا لله، وهكذا يمضون إلى أعمالهم.

٢- لكن إن كان هناك تعليم عن كلمة الله، فليختر كل واحد لنفسه أن يمضي إليه، حاسباً هذا في قلبه، أن الذي يسمعه هو الله يتكلَّم بفم الذي يعلِّم. لأنه بعد أن يصلِّي في الكنيسة يكون قادراً أن يبتعد عن كل شرور ذلك اليوم. ليحسب التَّقي أنها خسارة عظيمة إذا لم يمض إلى الموضع الذي يعلِّمون فيه، ولاسيَّما إن كان يعرف أن يقرأ.

٣- إذا جاء المعلِّم، فلا يتأخَّر واحد منكم عن المضيِّ إلى الكنيسة، الموضع الذي فيه التَّعليم، حينئذ سيعطىَ المتكلِّم أن يقول ما هو ربح لكل واحد، وتسمع ما لم تكن تظنه، وتربح بما يعطيه لك الرُّوح القُدُس بواسطة الذي يعلِّم. وهكذا يكون إيمانك ثابتاً بما تسمعه، ويُقال لك أيضاً هناك ما يجب عليك أن تفعله في بيتك. لأجل هذا فليسرع كل

---

17 _ *The Sahidic Version of the Alexandrine Sinodos in Codex British Library*, OR 1320

١٨ـ عن تحقيق النَّص الكامل، انظر كتاب: "التَّقليد الرَّسولي" وذلك ضمن سلسلة: "مصادر طقوس الكنيسة".

واحد في الذّهاب إلى الكنيسة، الموضع الذي يفيض فيه الرُّوح.

٤- وإن كان يوماً ليس فيه تعليم، فليأخذ كل واحد كتاباً مقدَّساً في بيته، ويقرأ فيه كفاف ما يظن أنه نافع له(١٩)".

فممَّا سبق إيضاحه من نص التَّرجمة القبطيَّة الصعيديَّة، والتي تلقي ضوءًا مبهراً على أهميَّة الذّهاب إلى الكنيسة لسماع الكتب المقدَّسة، وكلمة التَّعليم، يتَّضح أمام القارئ العزيز أصالة الطَّقس القبطي الممتد عبر كل هذه الأجيال، والذي لا زال يحفظ حتى اليوم جانباً هاماً من فصول كتابية تُقرأ في صلاة رفع بخور باكر، على مدى السَّنة الليتورجيَّة كلها، وبالأخص في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير. وهو الطَّقس الجميل الذي ظل كثير من الأقباط يحرصون على حضوره في كثير من الكنائس القبطيَّة.

مع ملاحظة أن نص التَّقليد الرَّسولي السَّابق ذكره يتحدَّث عن اجتماع تعليمي في الصَّباح وليس خدمة صلاة باكر(٢٠) Matins .

ويشهد العالم الألماني الأصل أنطون بومشتارك Anton Baumstark عن تأثير كنيسة مصر على العالم المسيحي كله فيما يختص بنظام القراءات الكتابيَّة. فيقول:

لقد كانت للقراءات الكتابيَّة التي نشأت في كنيسة مصر تأثير واسع المدى على كنائس العالم المسيحي شرقاً وغرباً. فمن أديرة القدِّيس باخوميوس في صعيد مصر عرفنا أنه كان يُقرأ في السَّهَر اللَّيلي اثنا عشر مزموراً، يتبعها فصل من العهد القديم، وآخر من "الأبوسطوليكون - Apostolicon " (ويقصد بها هنا: سفر أعمال الرُّسُل، والرَّسائل الجامعة،

19_ Cf. also, Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 22, 23.
20_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 26.

وسفر الرؤيا)، باستثناء السُّبوت والآحاد والخماسين المقدَّسة حيث كانت هاتان القراءتان تؤخذان من العهد الجديد فقط.

وهذه القراءة المزدوجة بحسب طقس القدِّيس باخوميوس، وُجدت أيضاً في طقس أسبانيا عند الغوط الغربيين Vesigothic وذلك في طقس الاحتفال اللّيلي بأيام الآحاد، وفي خدمة اللّيل في بعض المناسبات الأخرى. أما طقس الغال فقد أُضيف عليه قراءة ثالثة أُخذت من الأناجيل. أما القراءة الواحدة من الرَّسائل في خدمة نصف اللّيل في الطّقس الموزارابي فهي شكل مختصر للممارسة القديمة ذات القراءتين. كما أن هناك قراءة لفصل كتابي واحد في نهاية خدمة السَّحَر Matins لنفس هذا الطّقس الأخير، إما من العهد القديم أو من سفر الرؤيا.

أما في طقس روما، فنجد أن القراءتين المعروفتين في طقس القدِّيس باخوميوس قد اختصرت إلى قراءة واحدة من العهد القديم عموماً حيث تقسم هذه القراءة إلى ثلاثة أقسام. أما في أيام الخمسين المقدَّسة، فهناك قراءة من سفر الأعمال وأخرى من سفر الرؤيا(٢١).

في كنيسة شمال أفريقيا

ينقل لنا القدِّيس كبريانوس الشَّهيد (+ ٢٨٥م) في مقالة له عن "الصَّلاة الربانيَّة" ـ كتبها حوالي سنة ٢٥٠م ـ شهادة ذات اعتبار عن الفترة التي بدأت فيها صلوات الصَّباح والمساء تأخذ طريقها إلى الكنيسة كخدمة يوميَّة ثابتة في شمال أفريقيا. فبعد أن يتحدَّث عن صلوات السَّواعي الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة كتقليد قديم انتقل إلى الكنيسة المسيحيَّة

21_ Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, Englished Edition By F.L. Cross, London, 1958.p. 116, 117.

كساعات أساسيَّة وإلزاميَّة، يكمل الحديث في الفَصل الخامس والثلاثين والسَّادس والثلاثين من هذا المقال عن صلوات الصَّباح والمساء فيقول:

[٣٥- ... أما نحن أيها الإخوة الأحبَّاء، فبجانب ساعات الصَّلاة التي روعيت في القديم وحتى الآن، فقد زيدت لنا أوقات أخرى للصَّلاة وكذلك في خدمة الأسرار. لأن الإنسان يجب أن يصلي أيضاً في الصَّباح، لأن قيامة الرَّب ينبغي أن يُحتفل بها في الصَّباح. وهذا ما كان يعنيه الروح القدس سابقاً حينما قال في المزمور: «أيها الرَّب ملكي وإلهي، إليك أصلي في الصَّباح وتسمع صوتي، بالغداة أقف أمامك وأتطلع إليك» (مزمور ٥: ٣- ٤)[٢٢]. وأيضاً يقول الرَّب بالنبي: «في السَّحَر ينتظرونني قائلين: هلم نذهب ونرجع إلى الرَّب إلهنا» (هوشع ٥: ١٥- ٦: ١ سبعينية) .

وكذلك عندما تغيب الشَّمس ويميل النَّهار يجب أن نصلي لأنه حيث أن المسيح هو الشَّمس الحقيقية والنَّهار الحقيقي، فإننا عندما نصلي بينما تميل الشَّمس ونهار هذا العالم، فإن النُّور يحل علينا من جديد لأننا نصلي إلى المسيح الذي يمدنا بنعمة نور الحياة الأبديَّة.

والرُّوح القُدُس يعلن المسيح في المزامير أنه "اليوم" فيقول: «الحجر الذي رذله البنَّاءون هو صار رأس الزَّاوية، من قِبَل الرَّب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، هذا هو اليوم الذي

٢٢- ترجمة حرفية للنَّص. ولكن المزمور في ترجمته العبرية (مزمور ٥: ٢، ٣) هو: «استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي، لأني إليك أصلي. يارب بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أوجه صلاتي نحوك وانتظرك». وفي التَّرجمة القبطيَّة للمزمور يقول: «اصغ إلى صوت طلبتي يا ملكي وإلهي، لأني إليك أصلي، بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أقف أمامك وتراني».

صنعه الرَّب، فلنفرح ونبتهج فيه» (مزمـــور ١١٧: ٢٢- ٢٤). وكذلك يشهد ملاخي أنه يُدعى "الشَّمس" عندما يقـــول: «ولكم أيها المتقون اسم الرَّب، تشرق شمس البر والشِّـــفاء في أجنحتها» (ملاخي ٤: ٢).

فإن كان المسيح في الكتب المقدَّسة هو الشَّمس الحقيقية، واليوم (النَّهار – The Day) الحقيقي، فليست هناك إذاً ســـاعات مستثناة من عبادة الرَّب المتكرِّرة والدَّائمة. لذلك فنحن الذين في المسيح الذي هو الشَّمس الحقيقيَّة والنَّهار الحقيقي، يلزم أن نكون كل النَّهار في ابتهال وصلاة. وعندما يعود اللَّيل طبقـــاً لقوانين الطبيعة، ويدور دورته ملاحقاً أولئك المصلِّين، فـــلا يكون هناك أذى من ظلام اللَّيل لأنه لأبناء النُّور يكون هناك نهار حتى في اللَّيل. ومن ذا الذي صار المسيح شمسه ونهاره ولا يحوي فيه الشَّمس والنَّهار؟

٣٦- لذلك نحن الذين في المسيح دائماً أي في النُّـــور، لا نبطل الصَّلاة حتى في اللَّيل. هذا هو معنى ما كانت تفعله حنة النبيَّة التي كانت تصلي دائماً وتحفظ سهر اللَّيل مثابرة علـــى استحقاق نعمة الله كما هو مكتوب عنـــها في الإنجيـــل: «لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات لـــيلاً ونهـــاراً» (لوقـــا ٢: ٣٧). فلتحسبوا أيها الإخوة الأحبَّاء اللَّيل أنه نهار، لأنكـــم دائماً تحيون في نور الرَّب ...

ولنؤمن أننا نسير دائماً في النور، ولا ننغلب للظَّلام الذي قد هربنا منه، ولا ننقص صلواتنا في ساعات اللَّيل، لنحقِّق قصد الله نحن الذين بغفران الله قد خلقنا خلقـــة روحيَّـــة جديدة، وولدنا ميلاداً ثانياً، لنقتني لأنفسنا نحـــن الـــذين في

العالم، نهاراً لا يدانيه ليل، ساهرين في اللَّيل كما في نهار. فليتنا نحن الذين نصلي دائماً ونقدِّم كل حين الشُّكر لله ألاّ نتوقَّف عن الصَّلاة والشُّكر].

والأمر الذي ينبغي ملاحظته هنا هو أن القدِّيس كبريانوس لم يعتبر تقديم ذبيحتي الصَّباح والمساء في الهيكل وما يقابلهما في صلاة الصَّباح والمساء إلزاميَّة، لكنه بالأحرى اعتبر أن ساعات الصَّلاة الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة هي السَّاعات الإلزاميَّة. هذا الخطأ الذي وقع فيه كبريانوس كان قد نقله عن ترتليان (١٦٠ـ ٢٢٥م) في تعبيره عن هذه السَّواعي بقوله:

[أوقات الصَّلوات التي تأسَّست وصارت إلزاميَّة – statutis et legitimis temporibus]. ذلك لأن أوقات الصَّلاة الأصيلة في الكنيسة المسيحيَّة الناشئة كانت صلاتي الصَّباح والمساء، والتي أضيف عليها فيما بعد أوقات الصَّلاة الأخرى الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة، ولكن عند القدِّيس كبريانوس كان العكس هو الصَّحيح، إذ اعتبر أن ساعات الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة هي السَّواعي الإلزاميَّة عند اليهود، والتي أضاف عليها المسيحيون أوقات صلاة الصَّباح والمساء والليل[٢٣].

في كنيسة كبادوكيا

يخبرنا سقراط المؤرخ (٣٨٠ـ ٤٥٠م) في مؤلَّفه "تاريخ الكنيسة (٥:٢٢)" عن ظهور قراءات كتابيَّة في خدمة المساء الكاتدارئيَّة في كبادوكيا، فيقول: "وبالمثل في قيصريَّة الكبادوك، وفي قبرص، في السُّبوت والآحاد، دائماً في المساء وعند إيقاد مصابيح المساء يفسِّر

23_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 20, 21.

القسوس والأساقفة الكتب المقدَّسة".

إذاً ففي نهاية الأسبوع هناك فصول كتابية تُقرأ وتُفسَّر في كبادوكيا[٢٤].

ويقول القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩م) عن خدمة المساء:

[في نهاية اليوم، نشكر الله على العطايا التي وهبنا إياها، وعلى الأعمال الحسنة التي أكملناها].

ولدينا أيضاً معلومات عن صلاة الصَّباح في كبادوكيا، ولكنها قليلة. فالقدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) في خطابه (٢٠٧: ٣) يكتب إلى إكليروس قيصريَّة الجديدة مجيباً عن استفساراتهم، وواصفاً لهم السَّهَر اللَّيلي الذي يُختتم بصلاة الصَّباح الكاتدرائيَّة فيقول:

[... وعندما يبزغ نور النَّهار، ويلوح الفجر، فالكل معاً بصوت واحد وقلب واحد يسبِّحون الرَّب بمزمور الاعتراف، وكل واحد يعتبر كلمات التَّوبة التي في المزمور تختص به هو وحده].

في كنيسة قبرص

القدِّيس إبيفانيوس (٣١٥- ٤٠٣م) أسقف قبرص والذي عاش راهباً في فلسطين حوالي ثلاثين سنة قبل أن يصبح أسقف سلاميس (قنسطانطيا) في قبرص سنة ٣٦٧م، يشير هو أيضاً في الفصل ٢٣ من رسالته التي كتبها فيما بين سنة ٣٧٤م وسنة ٣٧٧م، عن الإيمان إلى "ألحان وصلوات الصَّباح"، وأيضاً "مزامير وصلوات الغروب". فالمزامير والألحان التي

24_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 39. ; Cf also, PG 67, 640A.

تُتبع بصلوات تشفعيَّة كانت ولا تزال تمثل قلب خـــدمات الصَّـــباح والمساء الكاتدارئيَّة.

وفي الفَصل الرَّابع والعشرين من رسالته السَّابق ذكرها، يكرِّر كلامه مشيراً إلى وجود صلوات ضروريَّة وهامة مطلوبة في النَّهـــار والليـــل في ساعات خُصِّصت لذلك، حيث يتكلَّم عن صلوات السَّحَر وألحانه. وما يهمنا في الأمر هو أن هذا الفَصل من الرِّسالة والذي يختص بالحديث إلى العلمانيين، يتَّضح منه أن حضور خدمات أو اجتماعات صلوات الصَّباح والمساء Synaxes ظلَّت إلتزاماً لم يفقد أهميَّته واستمراره[٢٥].

في كنيسة أنطاكية

نعني بأنطاكية ليس المدينة فحسب، بل كل التُّخوم المحيطة بهـــا. ونجد وصفاً مسهباً للخدمات الكاتدارئيَّة بها في ثلاثة مصادر رئيسيَّة تمدنا بهذا الوصف، وهي: عظات القدِّيس يوحنا ذهبي الفـــم (٣٤٧ـ ٤٠٧م)، وكتاب المراسيم الرسوليَّة (القرن الرابع الميلادي)، وشـــهادة ثيؤدوريت أسقف قوروش Theodoret of Cyr .

المصدر الأوَّل: عظات القدِّيس يوحنا ذهبي الفم

يقدم لنا القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، وصفاً للخدمتين الكاتـــدرائيتين الصباحية والمسائية في سنة ٣٩٠م، والتي تُعقد كل يوم، وذلك في حديثه عن تعليم الموعوظين، وإعدادهم للمعموديَّة[٢٦].

[لنجتهد جداً في المجئ إلى هنا في الصَّباح البـــاكر لنقـــدِّم

25_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 40, 41.

26_ *Baptismal Catechesis* viii, 17, 18.

صلوات وتسابيح لإله الكل، ولنعطي تشكُّرات على ما قبلناه من عطايا، ونتوسَّل إليه كي يتنازل ويقترب منَّا ... وليمضي كل واحد إلى شؤونه اليوميَّة بخوف ورعدة، ويمضي وقت النَّهار كإنسان ملزم أن يعود إلى هنا (الكنيسة) في المساء ليقدِّم للسيِّد حساباً عن كل اليوم، ويسأل المغفرة لما اقترفه من أخطاء، لأنه من المستحيل وإن احترسنا عشرة آلاف مرَّة أن نتجنَّب المساءلة عن كافة أنواع الخطايا التي نفعلها على مدى اليوم كله، سواء قلنا شيئاً ليس في محله، أو إدانة، أو استمعنا إلى كلام باطل، أو تشوَّشنا بفكر غير لائق، أو لم نضبط أعيننا، أو قضينا وقتاً في أمور باطلة لا تجدي أو لم نفعل ما كان يجب علينا فعله، فهذا هو ما ينبغي أن نسأل الرَّب عنه كل مساء كي يغفر لنا هذه الخطايا ...

ثم يجب أن نقضي اللَّيل كله في عفَّة، وهكذا نعد أنفسنا مرَّة ثانية لتسبيح النَّهار ...[٢٧]].

وفي تعقيب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم على المزمور ١٤٠:١ في غضون فترة خدمته في أنطاكية قبل سنة ٣٩٧م، ذكر أن المزمور رقم (١٤٠) يُرتَّل يومياً، ويتَّضح من حديثه أنه كان يُرتَّل في صلاة الغروب Vespers. كما تحدَّث أيضاً عن مزمور الصَّباح رقم (٦٢)، فيقول:

[أمور كثيرة في هذا المزمور (١٤٠) مناسبة لوقت المساء، وليس فقط لهذا السَّبب اختار الآباء هذا المزمور، ولكن بالأحرى فقد أمروا أن يُرتَّل كدواء للخلاص وغفران الخطايا، حتى أن أي شئ قد تلوَّثنا به خلال النَّهار كله، سواء في

27_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 42.

السوق أو البيت أو في أي مكان قضينا فيه وقتاً، فإننا نخلص به في المساء خلال التَّرتيل الرُّوحي، لأنه بالحقيقة دواء يطهِّر كل هذه الأشياء.

ومزمور الصَّباح هو من نفس النَّوع ... لأنه يؤجِّج الشَّوق نحو الله، ويُنهض النَّفس ويشعلها، ويملأها بكثير من الصَّلاح والحب ... ولننظر كيف يبدأ وماذا يعلمنا «يا الله إلهي إليك أبكِّر، عطشت نفسي إليك» (مزمور ٦٢:١). أرأيتم كيف يظهر كلمات نفس متَّقدة؟ فحيث يوجد الحب لله ينتفي كل شر، وحيث تذكر الله فهناك نسيان الخطيَّة وتبدُّد الشَّر].

ويؤكِّد القدِّيس باسيليوس في القانون (٣٧:٤) أن خدمة الغروب هي بمثابة تكفير عن خطايا اليوم كله، ولكنه مع ذلك كان يتحدَّث عن خدمة ديريَّة.

وفي تعقيبه على الآية (١٤٠:٣) «لتصعد صلاتي كالبُخور قدَّامك، ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية»، فهو يطبق النِّظام اللاوي في العهد القديم على صلاتي الصَّباح والمساء في الكنيسة المسيحيَّة فيقول:

[أمر الناموس الكهنة أن يقدِّموا حملاً ذبيحة محرقة في كل صباح، وكل مساء. فالذَّبيحة الأولى دُعيت الذَّبيحة الصباحيَّة، والثانية دُعيت الذَّبيحة المسائيَّة. وقد أمر الله أن يُفعل ذلك قاصداً أن يعلن أنه أمر ضروري أن نكون غيُّورين في عبادته في كلا بداية اليوم ونهايته].

إذاً فخدمتا المساء والصبَّاح في الكنيسة المسيحيَّة هما امتداد لذبائح

المساء والصَّباح في العهد القديم. وهو نفس ما ذكره ثيؤدوريت المـــؤرِّخ (٣٩٣- ٤٦٦م)[٢٨].

إلاَّ أن المقابلة بين ذبائح العهد القديم، وخدمتي الصَّباح والمســاء في الكنيسة المسيحيَّة لم تبدأ عند يوحنا ذهبي الفم، إذ أننا نجدها قبل ذلــك عند العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م)، حيث يدعو الصَّلوات المســيحيَّة في الصَّباح والمساء بـــ "الصَّلوات حسب النَّاموس – Prières selon la Loi ". وبالمثل فإن القدِّيس يوحنا كاسيان يعتبر أن صلاة المساء والسَّهَر اللَّيلـــي هي طريقة لحفظ هذا التَّقليد القديم:

[نحن نرى أنه في احتفالات المساء وفي السَّهَر اللَّيلي، حفظ لطريقة الصَّلاة كما في النَّاموس[٢٩]].

وفي العظة السَّادسة على الأصحاح الأوَّل من رسالة القدِّيس بولس الرَّسول إلى تلميذه تيموثاوس، يتحدَّث القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) عن طلبات Intrecessions أو ابتهالات تقال في نهايــة الخدمــة اليوميَّة Daily Offices ومعروف أن نص الجزء (١ تيموثاوس ٢: ١- ٤) هو نص مسيحي قديم يختص بهذه الطلبات الختاميَّة؛ «فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميع النَّاس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب ...»، حيث يرى أن صلاة المـــؤمنين الصباحيَّة والمسائيَّة هي إتمام وتحقيق هذه الوصيَّة الرَّسوليَّة[٣٠].

ويخبرنا ذهبي الفم أن خدمة الصَّباح الكاتدارئيَّة ونظيرتها المسائيَّة في القرن الرَّابع الميلادي كانت تحوي مثل هذه الطلبات أو الابتهالات ذات

28_ PG 80, 284B
29_ *Inst*. II, 3,1
30_ PG 62, 530.

الغايات المتعدِّدة، فيقول:

[ماذا يعني قول الرَّسول «أوَّل كل شيء» في عبادتنا اليوميَّة؟ إن طالبي العماد يعرفون كيف أنه يجب في كل يوم أن نقدِّم الطلبات في المساء والصَّباح، وكيف يجب أن نصلي لأجل جميع العالم، لأجل الملوك، ولأجل جميع الذين هم في موقع السُّلطة].

وفي عظة أخرى له في أنطاكية[٣١]، يشير ثانية إلى هذه الطلبات اليوميَّة، ويذكر فيها أن طالبي المعموديَّة حاضرون هذه العظة، مما يؤكِّد لنا أنه يتكلَّم هنا عن خدمة كاتدرائيَّة وليس عن خدمة ديريَّة. ويقول: إنه يجب أن نؤمن أنه لدينا القوَّة الروحيَّة المناسبة لكي نصلِّي لأجل الأسقف، ولأجل هؤلاء الحاضرين (من الإكليروس)، ولأجل كل أحد. ولكننا في جرأة نفعل ذلك كجماعة، لأن الشَّركة تمنح القوَّة. والصَّلاة التي تُرفع بواسطة كل الشَّعب معاً في الكنيسة لها قوَّة عظيمة[٣٢].

هنا وصف واضح للطلبات التي نعرف الآن أنها كانت تُقال في ختام الخدمة الليتورجيَّة المسيحيَّة في الكاتدرائيَّات، حاوية إلى جانب ذلك خدمة الكلمة. وجدير بالذِّكر أن مثل هذه الطلبات والابتهالات "اليوميَّة" كانت تُقال في خدمتي الصَّباح والمساء في أنطاكية بعيداً عن قدَّاس الإفخارستيَّا، إذ أن إقامة الإفخارستيَّا كل يوم كانت حتى ذلك

31_ *On the obscurity of the Prophecies*, 2 5

٣٢_ لقد أخفق الأب روبرت تافت في فهمه لكلام ذهبي الفم، لأن اللاَّهوت الغربي ليس لديه مفهوماً واضحاً عن فاعلية طلبة الشَّعب من أجل الإكليروس كما هو حادث في المفهوم الشَّرقي لها، لاسيَّما في مصر وأنطاكية. وفي ذلك يقول روبرت تافت: "إن طالبي العماد لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك، لأنهم لم يصبحوا بعد جزءا من رجال الكهنوت الذين يتشفَّعون من أجل الشَّعب".

Cf. Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 44.

الوقت غير معروفة في أنطاكية.

ولكن بالإضافة إلى هذين الاجتماعين العاديين اليــوميين Common Synaxes في الصَّباح والمساء في الكنيسة، فإن ذهبي الفم يحض الشَّعب أن يصلُّوا بمثابرة خلال اليوم أيضاً، أينما كانوا، وعندما يكــون ممكنــاً أن يركعوا أو يرفعوا أيديهم في الصَّلاة فليفعلوا.

المصدر الثاني: المراسيم الرسوليَّة

المصدر الثاني الذي نتعرف منه على صلوات الصَّــباح والمســاء في كنيسة أنطاكية هو كتــاب "المراســيم الرســوليَّة - The Apostolic Constitutions". وهو في الحقيقة ليس كتاباً واحداً بل ثمانية كتب. وهو المعروف لدينا في مصر باسم "الدِّسقوليَّة" أي "تعليم الرُّسل"[٣٣]، وهو كتاب مطوَّل يتحدَّث عن نظم الكنيسة وأسلوب حياتها. وقــد كُتــب أصلاً باليونانية سنة ٣٨٠م بواسطة مؤلِّف مجهول الاسم سرياني الجنس، ووُلد في التُّخوم المحيطة بأنطاكية، ولكنه ليس من مدينة أنطاكية نفسها.

والكتاب يحوي أول وصف تفصيلي متكامل لما تشتمل عليه ثلاث خدمات كاتدارئيَّة هي: تسبحة الصَّباح Morning praise ، وصلاة المساء Evensong ، وخدمة السَّهَر اللَّيلي في تسبحة الأحد الذي هو يوم تذكار القيامة Sunday resurrection vigil ، وذلك في الفَصل التاسع والخمسين من الكتاب الثاني. وما يهمنا الآن هو خدمتي المساء والصَّباح، فيقول:

٣٣- نشر السَّبع كتب الأولى منه الدكتور وليم سليمان قلاده سنة ١٩٧٩م تحت عنوان: "الدسقوليَّة — تعليم الرسل". أمَّا الكتاب الثامن من مجموعة كتب المراسيم الرسوليَّة فيمكن الرجوع إليه تحت عنوان: "المراسيم الرسوليَّة، دراسة موجزة — نص الكتاب الثامن"، للمؤلِّف، وقد نُشر في أكتوبر سنة ٢٠٠٤م.

"أيها الأسقف عندما تعلِّم، مُر الشَّعب وحضّهم أن يواظبوا على الكنيسة بانتظام في الصَّباح والمساء كل يوم، ولا يتركوها أبداً، بل يجتمعون فيها باستمرار، ولا ينقصون diminish الكنيسة بغيابهم، ولا يجعلون جسَد المسيح ناقصاً عضَواً منه. لأن هذا لم يُقَل لأجل فائدة الكهنة (فحسب)، بل اجعل كل واحد من العلمانيين يسمع ما قيل بالرَّب كأنه يُقال لأجل نفسه خصيصاً «من ليس معي فهو عليَّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرِّق» (متى ١٢:٣٠). لا تشتِّتوا نفوسكم بعدم اجتماعكم معاً أنتم أعضاء المسيح، أنتم الذين قبلتم المسيح رأساً لكم طبقاً لوعده أنه حاضر ومشترك معكم. لا تهملوا نفوسكم، ولا تسلبوا المخلِّص أعضاءه، لا تقسِّموا جسده، ولا تبعثروا أعضاءه. لا تفضِّلوا اهتمامات هذه الحياة على كلمة الله، بل اجتمعوا كل يوم في الصَّباح والمساء لترتِّلوا المزامير وتصلُّوا في بيت الرَّب. وفي الصَّباح قولوا المزمور الثاني والسِّتين، وفي المساء المزمور المائة والأربعين".

هنا نجد خدمتين كاتدرائيتين يوميَّتين، واحدة في الصَّباح والأخرى في المساء، مع المزمورين الشَّهيرين ٦٢، ١٤٠ كنواة أو أساس لمزامير هاتين الخدمتين.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب المراسيم الرسوليَّة كان ينقل عن كتاب آخر هو الدسقوليَّة Didascalia السِّريانيَّة والتي تعود إلى القرن الثالث الميلادي، ولكن بتوسُّع وإضافات كثيرة. فكتاب الدسقوليَّة السِّريانيَّة يتكلَّم عن ضرورة التردُّد على الكنيسة بانتظام خصوصاً في أيام الآحاد لحضور الإفخارستيَّا، ولكنه لم يُشر إلى اجتماعات عامة يوميَّة صباحاً ومساءً، أو في السُّبوت أو في سهر ليلة الأحد، مما يتَّضح معه أن خدمتي الصَّباح والمساء اليوميَّتين التي أشار إليهما الكتاب الثاني من كتب المراسيم الرسوليَّة، هما تطوُّر طقسي دخل الكنيسة المسيحيَّة في غضون

القرن الرَّابع الميلادي.

وبحسب التَّقليد المشهود له من كتَّاب ما قبل نيقية، مثل العلاَّمة ترتليان (١٦٠ـ ٢٢٥م)، والعلاَّمة المصري أوريجانوس (١٨٥ـ ٢٥٤م)، وهيبوليتس الروماني (+ ٢٣٥م)، فإن صلاة المساء في الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية هي فعل شكر فيقول النَّص:

"عندما يأتي المساء، اشكروا (الله) لأنه أعطاكم اللّيل راحة من العناء اليومي" (٦:٣٤:٨).

أما الفصول (٣٥ـ ٣٩) من الكتاب الثامن من المراسيم الرسوليَّة فهي تشير إلى هذه الاجتماعات اليوميَّة الصباحيَّة والمسائيَّة، بل أوردت النَّص اللّيتورجي المصاحب لهذه الاجتماعات من طلبات Intercessions وصلوات Prayers وأواشي Litanies وذلك في حضور الشَّعب بفئاته المختلفة[٣٤]، حيث أحال مؤلّف المراسيم الرسوليَّة القارئ إلى الفصول (٦ـ ١٠) من نفس الكتاب الثامن الأخيرة، دون أن يكرِّر النَّص اللّيتورجي في الفصول (٣٥ـ ٣٩).

أما نصوص هذه الأواشي أو الطلبات فهي تملأ ستة أعمدة من مجموعة مين Migne أو سبع صفحات من مؤلف فونك[٣٥] Funk . وعن كل طلبة يجيب المؤمنون بالمرد: "كيرياليسون" [٣٦]. وإليك النَّص:

٣٤ـ أي الموعوظون، والتائبون، والذين بهم الأرواح الشّريرة، والمستنيرون، والمؤمنون.

35_ F. X. Funk, *Didascalia et Constitutiones Apostolorum*, Vol. 1, Paderborn, F. Schoeningh, 1905.

٣٦ـ هذا المرد القديم للأواشي هو ما احتفظت به الكنيسة القبطية حتى اليوم مع المرد "آمين"، والأكثر قدماً منه دون غيرهما من المردَّات لكافة الأواشي، بينما أُدخلت بعض المردَّات الأخرى على الأواشي في مختلف الكنائس الشرقيَّة مثل

"عندما يصير المساء، تجمع الكنيسة أيها الأسقف، وبعد ترتيل مزمور إيقاد السِّراج[٣٧]، ينادي[٣٨] الشمَّاس على الموعوظين، والذين هم الأرواح الشِّريرة، والمستنيرين، والذين هم في التَّوبة، كما سبق وقلنا[٣٩].وبعد تسريحهم يقول الشمَّاس: يا كلَّ المؤمنين، فلنتوسَّل إلى الرَّب. وبعد أن ينادي (عليهم) بالصَّلاة الأولى[٤٠] يقول: خلِّصنا وأقمنا يا الله بمسيحك. لننهض سائلين رحمة الرَّب ورأفاته، (ليرسل) ملاك السَّلام[٤١] من أجل الصَّالحات والنَّافعات، ونهاية مسيحيَّة[٤٢]، ومساء وليل سلامي، وبلا خطيَّة. سائلين أن يكون كل زمان حياتنا بلا إدانة[٤٣]. فلنستودع[٤٤]

"استجب يارب"، "لك يارب"، كما في الطَّقسين الأنطاكي والبيزنطي.

٣٧ ـ هو المزمور ١٤١ «يارب إليك صرخت فاستمع لي ... لتستقم صلاتي كالبُخور قدامك، وليكن رفع يدي كذبيحة مسائيَّة».

٣٨ـ προσφωνέω = (ينادي ـ يخاطب ـ يعلن ـ يدعو بعضاً بالاسم).

٣٩ـ انظر: المراسيم الرسولية ٨:٦ـ٩

٤٠ـ هي الصَّلاة التي سبق ذكرها في صلاة الإفخارستيَّا. انظر: المراسيم الرسوليَّة ٨:١٠، ١١ وعن هذه الصَّلاة الأولى (πρώτη εὐχή) انظر: المراسيم الرسولية ٨:١٢:٢ ؛ ٨:٤١:١

٤١ـ أشار القدِّيس يوحنا ذهبي الفم في عظاته إلى "ملاك السَّلام" في نصوص الصَّلوات الليتورجيَّة الأنطاكية. وفي قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم لازالت هذه الطلبة تقال ولكن مع إضافات أُدخلت عليها تقول: "ملاك سلام مرشداً أميناً حارساً نفوسنا وأجسادنا. الرَّب نسأل (استجب يارب)".

٤٢ـ الطلبة الحالية في قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم بحسب الطَّقس البيزنطي هي: "أن تكون أواخر حياتنا مسيحيَّة سلاميَّة، بلا وجع ولا خزي، أن نؤدي جواباً حسناً لدى منبر المسيح الرَّهيب. الرَّب نسأل (استجب يارب)". وهذا يوضِّح أن الطَّقس البيزنطي هو وريث للطقس الأنطاكي القديم.

٤٣ـ καταγνώσαις = (تذكّر سيئ ـ دنيء ـ فكرة حقيرة أو مزرية ـ حكم أو قضاء ضد شخص ـ حكم بالإدانة).

٤٤ـ παραθέω = (يجري بجانب ـ يسترجع ـ يستودع ـ يلمس ـ يقترب من شئ دون عناية بالتفاصيل).

أنفسنا وبعضنا البعض لله الحي بمسيحه[٤٥]" (٢:٣٥ - ٣:٣٦).

وفي نهاية الطلبة يقول الأسقف التَّحليل Collect مصلياً من أجل مساء وليل سلامي فيقول:

"يا الله غير المبتدئ، الأبدي ... اقبل برضا شكرنا المسائي هذا. قد قدتنا عبر طول النَّهار، وأتيت بنا إلى بداية اللَّيل، احرسنا بمسيحك. امنحنا مساءً سلامياً، وليلاً بلا خطيَّة، ولا خيالات، واجعلنا مستحقِّين للحياة الأبديَّة بمسيحك، الذي به لك المجد والكرامة والقدرة في الرُّوح القُدُس إلى الآباد آمين".

بعد صلاة الأسقف يأمر الشمَّاس: " انحنوا لوضع اليد".

فيقول الأسقف صلاة الخضوع أو البركة الأخيرة على رأس المؤمنين المنحنية سائلاً بركة الله ورعايته، وهي: "يا إله آبائنا ... باركهم بمسيحك الذي به أنرت لنا بنور المعرفة، وأعلنت لنا ذاتك، الذي به لك استحقاق السُّجود الواجب من كل طبيعة عاقلة وقدِّيسة، في الرُّوح القُدُس البارقليط إلى الآباد آمين".

وهنا يعلن الشمَّاس: "امضوا بسلام".

هذا نموذج لصلاة المساء في كنيسة أنطاكية في القرن الرَّابع الميلادي. أما بنية صلاة الصَّباح فهي كنظيرتها المسائيَّة، باستثناء أن مزمور الصَّباح هو المزمور (٦٢). وتأتي الطلبات والصَّلوات في مضمونها مناسبة لتلك السَّاعة من النَّهار. أما التَّحليل Collect فيسأل فيه الأسقف

---

٤٥ - في قداس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم: "لنودع المسيح الإله ذواتنا وبعضنا بعضاً وحياتنا كلها. (لك يارب)".

الرَّب أن يتقبَّل نهارنا بشكر منَّا ويرحمنا(٤٦). وفي صلاة البركة الختاميَّة يصلي الأسقف إلى الله من أجل شعبه أن يحفظهم في تقوى وبر ويهبهم الحياة الأبديَّة في المسيح يسوع.

وعلى ذلك تكون البنية الأساسيَّة لصلاة الصَّباح والمساء الكاتدرائيَّتين تحوي العناصر الآتية:

- المزامير (٦٢ أو ١٤٠).
- طلبة، أو التحليل.
- صلاة بركة.
- التَّسريح.

المصدر الثالث: كتابات ثيؤدوريت المؤرِّخ

المصدر الثالث لصلوات الصَّباح والمساء في كنيسة أنطاكية هو ثيؤدوريت المؤرخ (٣٩٣- ٤٦٦م) أسقف قوروش Cyr . وهو شاهد عيان لهذه الخدمة في النِّصف الأوَّل من القرن الخامس الميلادي في أنطاكية، بل وممارس لها بالفعل، حيث نلاحظ أن هذه الخدمة الكاتدارئيَّة ظلَّت في نشاط كامل، بل وحوت في نفس الوقت تطوُّراً طقسياً. فيحكي ثيؤدوريت في مؤلَّفه "تاريخ الكنيسة" (٢:٢٤)، والذي ألَّفه سنة ٤٢٣م، كيف أنه في سنة ٣٤٧م أو سنة ٣٤٨م، قام اثنان من العلمانيين الأنطاكيين هما فلافيان وتيودور بتأليف تسبحة تُقال بطريقة الأنتيفونا لتستخدم في سَهَر اللَّيل. ثم يصف ثيؤدوريت في مؤلَّفه "Philothean History 30: 1" كيف أن عذراء سوريَّة ناسكة هي القدِّيسة دومنينا St. Domnina كانت تواظب على

٤٦- يمكن للقارئ العزيز الرجوع إلى كتاب: "المراسيم الرسولية - دراسة موجزة، نص الكتاب الثامن" للمؤلف، حيث يورد الكتاب المذكور النَّص الكامل للكتاب الثامن من مجموعة كتب المراسيم الرسوليَّة مترجماً عن اليونانية، وهو أهمها على الإطلاق.

الصَّلوات الكاتدارئيَّة اليوميَّة فيقول:

"... تذهب عند صياح الدِّيك إلى الهيكل المقدَّس الذي لم يكن بعيداً من هناك (حيث كانت تعيش) لكي تقدِّم مع الآخرين من النِّساء والرِّجال التَّسابيح لإله الكل، ولم تكن تفعل ذلك في بداية اليوم فحسب، لكن أيضاً في نهاية كل يوم".

وفي موضوعه الثامن والعشرين على سفر الخروج، والذي كتبه سنة ٤٥٣م أو بعدها بقليل، يعلِّق ثيؤدوريت على ذبائح العهد القديم معطياً لنا أوَّل إشارة واضحة عن المراسيم المبدعة لتلك الخدمة الكاتدارئيَّة، وذلك في تعقيبه على الآية: «فيوقد عليه هرون بخوراً عطراً كل صباح، حين يصلح السُّرُج الموقدة» (خروج ٣٠: ٧-٨) فيقول:

[نحن نخدم الليتورجيَّة المخصَّصة لخيمة الاجتماع أو للهيكل من الدَّاخل، (أي تقديم البُخور الذي كان يُرفع من داخل القُدس في كليهما) لأننا نقدم لله البُخور وإيقاد السُّرُج كما نخدم أسرار المائدة المقدَّسة (المذبح)[٤٧]].

وهنا يميز ثيؤدوريت بوضوح بين الإفخارستيًّا وبين الخدمة الكاتدارئيَّة التي يُرفع فيها البُخور وتوقد السُّرُج، والتي تشير دون شك إلى الاجتماعين الكاتدرائيين اللَّذين يعقدان في الكنيسة صباحاً ومساءً.

ولعل الإشارة السَّابق ذكرها تكون أوَّل إشارة وثائقيَّة واضحة عن استخدام البُخور في الصَّباح والمساء في الكنيسة المسيحيَّة. وهذا التطوُّر الطَّقسي في المراسيم الكنسيَّة في هذين الاجتماعين هو تطوُّر في غاية الأهمية، لأن القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) لم يكن يعرف

47_ PG 80, 284 B.

استخداماً للبخور في الخدمات الكاتدارئيّة في كنيسة أنطاكية، ولا وجود لطقس إيقاد السُّرُج في هذا الطّقس أيضاً.

ويقول الأب ماتيوس J. Mateos(٤٨) تعقيباً على نص ثيؤدوريت السّابق ذكره: "إنه إن كان البُخور والنُّور يختصّان باحتفال يختلف عن ذاك الذي للإفخارستيّا، فإنه في رأينا لا يبقى أمامنا سوى أن نعتقد بوجود خدمتي الصّباح والمساء، واللّتان هما امتداد لذبائح الصّباح والمساء في العهد القديم بحسب التّقليد المسيحي".

وكما سبق أن ذكرنا، فإن أوّل إشارة وثائقيّة تتكلّم عن استخدام البُخور في الليتورجيّة هو النّشيد السّابع عشر للقدّيس مار أفرآم السرياني (٣٠٦ـ ٣٧٣م) يمتدح فيه الأسقف أبرآم Abraham de Kidum قائلاً:

[ليكن صيامك حصناً لبلادنا.
وصلواتك رجاءً لقطيعك.
وبخورك جالباً للغفران(٤٩)].

في كنيسة القسطنطينيّة

على قدر ما توفّر لدينا من معلومات قيّمة عالية القدر عن تلك الخدمات الكاتدارئيّة الصباحيّة والمسائيّة في كنيسة أنطاكية، إلاّ أنه في المقابل ليست لدينا سوى معلومات شحيحة جداً عن تلك الخدمات في كنيسة القسطنطينيّة في هذه الفترة المبكّرة من تاريخ الكنيسة. ولقد كتب

48_ J. Mateos S.J., *Quelques anciens documents sur l'office du soir*, dans OCP 25, 1969, p. 372.

49_ CSCO 92, P. 46. ; Cf also, *Orien. Christ. Period.*, 1969, p. 371.

المؤرِّخ سوزومين في تاريخه الكنسي(٥٠) في الفترة فيما بين سنة ٤٣٩م وسنة ٤٥٠م، شهادة عن الخدمات الكاتدرائيَّة في القسطنطينيَّة أثناء عرضه لموجز سيرة القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، وأحداث أسقفيَّته في القسطنطينيَّة والتي جازت آلاماً وأحزاناً في الفترة من سنة ٣٩٧م إلى سنة ٤٠٤م، حيث يذكر أن النَّاس كانوا يستخدمون في عبادهم الكنسيَّة ألحان الصَّباح والمساء(٥١).

في كنيسة أورشليم

أما عن كنيسة أورشليم، فلدينا وصفاً مبدعاً عن ليتورجيَّة المدينة المقدَّسة، وذلك من خلال يوميَّات الرَّاهبة الأسبانية إيجيريا، والتي قامت برحلة إلى الأراضي المقدَّسة، ووصفت لنا الخدمات الكاتدارئيَّة في أورشليم خلال الفترة من سنة ٣٨١م إلى سنة ٣٨٤م في زمن أسقفية القدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ـ ٣٨٦م)، وهو أحد أكبر قادة النَّهضة الليتورجيَّة في ذلك العصر الخلاَّق.

وتُعتبر هذه اليوميَّات التي سجَّلتها إيجيريا ـ إلى جوار كتاب المراسيم الرسوليَّة ـ من أهم الوثائق، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، التي تطلعنا على تفصيلات مبدعة لما كانت عليه الليتورجيَّة المسيحيَّة في نهاية القرن الرَّابع الميلادي في كنيسة أورشليم.

ففي الفَصل الرابع والعشرين من هذه اليوميات نعرف أن أورشليم قد أصبحت في تلك الفترة أكبر مركز للسيَّاحة المسيحيَّة، حيث صارت مقصداً لكثير من الرُّهبان والرَّاهبات والنسَّاك والسيَّاح من كل نوع.

50_ Vm, 7_8

51_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 48.

حيث كان قصدهم الرَّئيسي هو زيارة القبر المقدَّس والصَّلاة فيه. ومن ثمَّ فقد حدث تأثير ليتورجي متبادَل بين ليتورجيَّة المدينة المقدَّسة، وليتورجيَّات المراكز الكاتدارئيَّة الكبرى المختلفة بما حوت من غنى ثمين خصيب، بالإضافة إلى أن المدينة المقدَّسة قد اختصت ببعض السِّمات الرهبانيَّة أو الدَّيريَّة الوافدة إليها من مهد الرهبنة في مصر.

وسوف نقتصر هنا على ما ذكرته السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا فيما يختص بصلوات الصَّباح والمساء الكاتدارئيَّة، وهو ما يعنينا الآن.

فبعد أن تصف إيجيريا صلاة نصف اللَّيل التي تُعقد كل يوم قبل صياح الدِّيك، عندما تُفتح أبواب كنيسة القيامة في الثالثة صباحاً، تقول:

[... وعندما يأتي الفجر، يبدأون بترتيل ألحان الصَّباح، فيأتي الأسقف مع إكليروسه لينضموا إليهم (أي إلى الرُّهبان والعذارى والعلمانيين من الرِّجال والنِّساء)، فيذهب الأسقف مباشرة إلى القبر المقدَّس، ومن داخل السِّياج المحيط بالقبر يقول أولاً صلاة من أجل الجميع حسبما يريد، ثم يبارك الموعوظين، ثم يقول صلاة أخرى يبارك بعدها المؤمنين، حيث يخرج خارج السِّياج، فيأتي كل واحد ليقبل يده، فيبارك الجميع واحداً واحداً، ومن ثمَّ يخرج هو من الكنيسة حيث يكمل الإكليروس الصَّلوات حتى إلى طقس تسريح الشَّعب].

أما عن صلاة المساء فتقول إيجيريا:

[... أما في السَّاعة الرابعة، فيمارسون طقس إيقاد المصابيح، وهو ما يدعونه "لخنيكن – Lychnicon" أو كما في لغتنا الأسبانيَّة Lucernare ، فيجتمع كل الشَّعب في كنيسة القيامة مرَّة ثانية، حيث توقد جميع المصابيح والشُّموع، فتتألَّق

الكنيسة بريقاً. والنَّار لا تُحضر من الخارج، ولكن من المغارة (أي مغارة القبرِ المقدَّس) من داخل السِّياج حيث يوجد هناك سراج موقد ليلاً ونهاراً. وإلى بعض الوقت يرتِّلون مزامير إيقاد السُّرُج مع أنتيفوناتها، ثم يرسلون للأسقف الذي يدخل الكنيسة ويجلس على كرسيه الأسقفي، فيأتي الكهنة ويجلسون في أماكنهم، بينما تستمر الألحان والأنتيفونات.

وعندما يفرغون من كل شئ حسب ما هو محدَّد، ينهض الأسقف ويذهب أمام السِّياج (السِّياج المحيط بالقبر المقدَّس) فيردِّد أحد الشَّمامسة تذكارات اعتياديَّة، وفي كل مرَّة عندما يذكر اسماً يرد عليه مجموعة كبيرة من الأولاد بالمرد "كيرياليسون" أما أصواتهم فهي عالية جداً.

وعندما يفرغ الشمَّاس من ذلك، يقول الأسقف صلاة ثم يصلي صلاة من أجل الجميع. وحتى هذه اللَّحظة فإن المؤمنين والموعوظين يصلُّون معاً. ولكن الآن يدعو الشمَّاس كل موعوظ كي يقف حيث هو، ويحني رأسه، فيقول الأسقف البركة على الموعوظين من مكانه. ثم يقول الأسقف صلاة أخرى، بعدها يدعو الشمَّاس كل المؤمنين أن يحنوا رؤوسهم، فيقول الأسقف البركة على المؤمنين من مكانه. وهكذا يكتمل طقس التَّسريح في كنيسة القيامة، فيأتي الجميع واحداً فواحداً ليقبِّلوا يد الأسقف.

ومن ثمَّ يأخذون الأسقف بترتيل الألحان من كنيسة القيامة إلى كنيسة الصَّليب، ويمشون جميعهم معه، وعند وصولهم يقول الأسقف صلاة، ويبارك الموعوظين، ثم صلاة أخرى

بعدها يبارك المؤمنين، ثم ينتقل الأسقف وجميع الشَّعب إلى خلف كنيسة الصَّليب، ويفعلون ما سبق أن مارسوه أمام كنيسة الصَّليب، وفي كلا الموضعين يأتون ليقبِّلوا يد الأسقف كما فعلوا في كنيسة القيامة.

ثُريَّات كبيرة من الزُّجاج تومض في كل مكان، وشموع كثيرة أمام كنيسة القيامة، وأمام وخلف كنيسة الصَّليب. وعند نهاية كل ذلك يبدأ اللّيل أن يرخي سدوله].

ويقول الأب روبرت تافت Robert Taft مستشهداً برأي الأب جان ماتيوس Jean Mateos الذي حلّل بدقة الخدمات الكاتدارئيَّة في أورشليم كما أوردتها تلك الوثيقة، يقول:

يبدو أن شكل الخدمات الليتورجيَّة الكاتدارئيَّة في أورشليم يختلف عن نظيرتها في كنيسة أنطاكية. ولقد أورد برادشو Bradshaw فقرة من عظة للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية وهي العظة الحادية عشرة على فصل إنجيل القدِّيس متى من الأصحاح السَّابع يبدو منها وجود أكثر من مزمور واحد في الخدمات الكاتدارئيَّة في أنطاكية، بينما أن فاند بافرد Vande Pavered شرح هذا النَّص باعتباره نصاً يختص بليتورجيَّة الكلمة، وليس بخدمة صباحيَّة أو مسائيَّة كاتدارئيَّة.

وقد أوضح ماتيوس Mateos أن الخدمة الكاتدارئيَّة القديمة في القسطنطينيَّة التي نشأت أصلاً كخدمة تابعة للطقس الأنطاكي، قد أبقت على التَّقليد الأنطاكي في الاحتفاظ بمزمور واحد في صلاة الغروب، بينما أن الخدمات التي نقلت عن تقليد كنيسة أورشليم (مثل الخدمة الديريَّة البيزنطيَّة حسب طقس القدِّيس سابا، وكما عند الكلدان، والسِّريان، والموارنه)، فقد احتفظت في صلاة الغروب بثلاثة مزامير أو أكثر حاوية

فيها المزمور (١٤٠).

ولقد وجدنا سابقاً أن القدِّيس إيبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م) أسقف سلاميس، كان قد تحدث عن مزامير للغروب، وليس مزموراً واحداً، وكان في الأصل راهباً من فلسطين قبل أن يصبح أسقفاً على قبرص. فيمكن أن تكون الخدمة الكاتدارئيَّة في كنيسته هي انعكاس لممارسة طقس فلسطين. وعلى أي حال فإننا نجد أنه بينما أن خدمة الغروب في العائلة الليتورجيَّة الأنطاكية لا تحوي سوى مزمور واحد، فإنها في أورشليم تحوي أكثر من مزمور.

وصلاة الغروب كما وصفتها إيجيريا لم تكن تحوي فقط مزامير وأنتيفونات وطلبات وتسريح، بل أيضاً حوت طقس إيقاد السُّرُج، حيث يُحضَر النُّور من القبر المقدَّس، وهو طقس يرمز بوضوح إلى أن المسيح القائم من الموت يقدِّم نور خلاصه إلى العالم الذي أظلم بالخطيَّة. وتختتم صلاة الغروب بمحطتين مختصرتين عند القبر المقدَّس من أمام ومن خلف الصَّليب.

فصلاة المساء في كنيسة أورشليم في خطوطها العريضة هي:

- إيقاد السُّرُج.
- مزامير الغروب حاوية المزمور ١٤٠.
- أنتيفونات.
- دخول الأسقف.
- ألحان وأنتيفونات أخرى.
- طلبات وصلاة بركة.
- تسريح.
- محطتان أمام وخلف الصليب مع صلوات ومباركة الشَّعب.

وتُختتم صلاة الغروب في كل يوم في المدينة المقدَّسة (أورشليم)

بموكب مقدَّس إلى حيث مكان الصَّليب المقدَّس، حيث تُرتَّل المزامير، وتردَّد الطلبات العامة. وفي الكنائس القديمة في جورجيا كانت الصلبان تزيَّن بمهارة وإبداع عظيمين وتُحمل مرفوعة في موكب احتفالي شبيه بذلك الذي عرفناه في ليتورجيَّة أورشليم.

وفي الغرب المسيحي أصبح مكان المعموديَّة Baptistery يمثل مكان الجلجثة. ففي طقس ميلان يتوجَّه كل الشَّعب في نهاية صلاة الغروب كل يوم إلى جرن المعموديَّة في موكب تُرتَّل فيه الألحان والصَّلوات. وفي روما أيضاً كان هناك طقس مشابه تماماً لما كانت تمارسه كنيسة أورشليم كان يعقب صلاة الغروب أيضاً[٥٢]. ونفس هذا التَّقليد نراه حتى اليوم في الطَّقس القبطي في ليلة عيد الغطاس عندما يتوجَّه موكب احتفالي بعد صلاة رفع بخور عشيَّة العيد إلى حيث لقان الماء في مؤخرة الكنيسة مرتِّلاً "قوموا يا بني النُّور لنسبِّح ربَّ القوَّات، لكي ينعم علينا بخلاص نفوسنا ..."، حيث تُرتَّل تسبحة العيد كاملة على اللَّقان يعقبها قدَّاس الماء.

أما صلاة الصَّباح أو تسبحة الصَّباح فهي تُفتتح بمزمور التَّوبة وهو المزمور الخمسين أو بمزمور الصَّباح وهو المزمور الثاني والستين، وتُتم بتسبحة كتابيَّة من العهد القديم ثم مزامير السَّحَر (١٤٨ـ ١٥٠)، ثم تسبحة الملائكة أي المجدلة الصُّغرى في الآحاد والأعياد[٥٣]، ثم طلبات وصلوات، ثم بعض المزامير الأخرى، ثم لحن لتسبيح الرَّب على نور النَّهار، ثم فصل كتابي يعتمد على التَّقليد الخاص بكل منطقة. وهذه العناصر كلها نجدها في الطَّقس القبطي، ولكنها موزَّعة على تسبحة السَّحَر، والتي تعقب تسبحة نصف اللَّيل، وعلى صلاة باكر التي تعقب

52_ Anton Baumstark, *op. cit.*, p. 41.

٥٣ـ هي في الطَّقس القبطي على مدار السَّنة الليتورجيَّة كلها.

تسبحة السَّحَر، وعلى رفع بخور باكر الذي يعقب صلاة باكر، وهو ما يُسمى في صيغة عامة "صلاة الصَّباح".

لذلك فالهيكل الأساسي لصلاة الصَّباح يحوي العناصر التالية:
- مزامير مختلفة.
- فصل كتابي.
- تسبحة من تسابيح العهد القديم.
- المزامير (١٤٨- ١٥٠)، مع صلاة مختصرة.
- لحن النُّور.
- المجد لله في الأعالي.
- طلبات وصلاة مختصرة.
- صلاة ختاميَّة مع إحناء الرَّأس للبركة.
- تسريح.

الخلاصة

وفي النِّهاية أُوجز ما سبق أن ذكرته في كل هذا الفَصل، وهو أن خدمة المساء أو الصَّباح الكاتدرائيَّة، كان من أهم سماتها التَّسبيح والشُّكر، وهو ما يُعرف الآن بصلاة الشُّكر، ثم الابتهال والتضرُّع وهو ما يُعرف اليوم بالأواشي، ثم قراءة الكتب المقدَّسة وهو ما انتشر من مصر ممتداً إلى كل الكنائس الأخرى.

ثم أن هناك طقساً آخر انتشر في كل الكنائس الشرقيَّة ولكنه اندثر مبكراً في مصر وهو طقس إيقاد سراج المساء. وهو ما نعرض له في الفَصل القادم مباشرة (وهو الفَصل الثاني).

أما الفَصل التالي له (وهو الفَصل الثالث) فنتحدَّث فيه عن بنية صلاة الصَّباح والمساء في الكنائس الشرقيَّة المختلفة.

الفَصل الثَّاني

طقس إيقاد السُّرُج
في صلاة المساء في الكنيسة المسيحيَّة

يوقد سراجه على رأسي،
فأسلك الظلمة في نوره.
(أيوب ٢٩:٣).

الأصول الأولى لطقس إيقاد السُّرُج

تعود الأصول الأولى لطقس إيقاد السُّرُج في صلاة المساء إلى هيكل أورشليم وما يحويه من طقوس. فمن قصة صموئيل وعالي الكاهن، نعرف أن سراج خيمة الاجتماع ـ رمز الكنيسة ـ كان يوقَد عند حلول المساء، ويظل موقداً طوال اللّيل (خروج ٢٧:٢١). فقَد كان نداء الرَّب لصموئيل قبل الفجر بقليل، أي «قبل أن ينطفئ سراج الله» (١ صموئيل ٣:٤).

ولقد ظل هذا الطّقس مرعياً بين كلِ يهود العالم القديم، حينما تشتّتوا في أرجاء الأرض كلها، كما يؤكّد يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي أن هذه الممارسة كانت واسعة الانتشار بينهم[1]. فقد كان اليهود يحتفلون بنور المساء في مساء يوم الجمعة.

فالطّقس اليهودي في صلاة الغروب ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:
- إيقاد السُّرُج.
- ترديد الشّماع "Shema" وهي كلمة عبرية تعني "السَّماع".

والشّماع عند اليهود يُسمى "قانون العقيدة"، وبدايته هي:

1- Cf. Anton Baumstark, *Comparative Liturgy, op. cit.*, p. 134.

"اسمع يا إسرائيل، الرَّب إلهنا ربٌّ واحدٌ، فتحب الرَّب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك ...". وهو يتكوَّن من ثلاثة أجزاء من أسفار موسى الخمسة[٢].

- الـ "أميداه - Amidah" وهي كلمة عبريَّة تعني "وقوفاً - standing"، ويقابلها الـ "تيفيللا - Tephillah" أي "الصَّلاة". والـ "أميداه" هي مجموعة صلوات (١٨ صلاة، وهي الآن ١٩) معظمها مأخوذ من آيات من العهد القديم تُرتَّل في أيام الأسبوع في الثلاثة اجتماعات اليوميَّة في المجمع اليهودي. الثلاث الأولى منها هي تسابيح أو بركات Benedictions، والثلاث الأخيرة منها هي صلوات شكر Thanksgivings تُستخدم أيضاً في السُّبوت والأعياد، ويوم كيبور أو عيد الغفران Day of Atonement [٣].

أما باقي الصَّلوات فهي طلبات طبقاً للتَّلمود تعود إلى الحكماء أو الرَّبيين الأوائل، أو إلى ١٢٠ شيخاً بينهم مجموعة من الأنبياء. ولقد نُقِّحت هذه الصَّلوات وعُدِّلت تعديلاً يمتنع معه إمكانية استخدامها بواسطة المسيحيين الأوائل من أصل يهودي، أو بواسطة الغنوسيين. وكان ذلك في أيام غمالائيل الثاني (١٠٨- ١٢٠م)[٤].

وفي كتاب "المشنا" صيغة قديمة للبركة Barâkhâ تحت عنوان "للمصباح" حيث ترتبط هذه البركة اليهوديَّة بإيقاد المصباح، وهو مما أسَّس ممارسة طقسيَّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطقس الاحتفال بالوليمة اليهوديَّة يوم السَّبت.

٢- هي: تثنية ٦:٤- ٩، تثنية ١١:١٣- ٢١، العدد ١٥:٣٧- ٤١
٣- انظر: لاويين ١٦، ٢٣:٢٧- ٣٢، العدد ٢٩:٧- ١١
4- ODCC, 2nd edition, p. 449.

طقس إيقاد السُّرُج عند غير اليهود

كانت عادة إيقاد سراج المساء في خدمة المساء ممارسة ضرورية ولازمة لتوفير النُّور لتكميل هذه الخدمة. و لم يكن ذلك الأمر معروفاً لدي اليهود فقط، ولكنه أيضاً كان يُمارس بين غير المسيحيين. فإيقاد سراج المساء كان يحمل معنى عميقاً لمضمونه، أما في عصرنا هذا الذي تتوفّر فيه الإضاءة السَّهلة بالكهرباء، فقد صار من الصَّعب علينا أن ندرك معنى الضَّوء المنبعث من المصابيح الزيتيَّه ليشق حجب ظلام اللّيل، فيبدّد الظّلمة، ويحمل معنى الألفة والإيناس بالنُّور.

ولقد اعتاد العالم الوثني القديم أن يحيي النُّور المسائي، فقد كان اليونان يحيُّون نور الشَّمس، ونور المساء بنشيد مطلعه: "السَّلام للنُّور الصَّالح – Χαῖρε φῶς ἀγαθόν "، وبنشيد آخر بدايته: "السَّلام للنُّور البهيج". فإضاءة المصابيح عند الأمم كانت مرتبطة بشعور ديني.

طقس إيقاد السُّرُج في الكنيسة المسيحيَّة

أما قضية ممن أخذ المسيحيون عادة إيقاد سراج المساء بطقوس معينة، فلا زالت موضع بحث حتى اليوم. فالعلاّمة ترتليان[٥] (١٦٠-٢٢٥م) يرى أن الوثنيين هم الذين استعاروا عادة إيقاد المصابيح ضمن طقوس معينة من اليهود. ولكن بعض العلماء المحدَثين أمثال الأب روبرت تافت Robert Taft ، والأب ماتيوس Mateos ، وآخرين، يعتقدون أن الطّقس المسيحي لإيقاد المصابيح منقول كأحد المراسيم الدينيَّة من الوثنيين بعد تعديله وتطويره ليلائم الكنيسة المسيحيَّة.

5_ *Ad. Nations* 1: 13.

ولكنني لا أميل إلى هذا الرأي، وبالتالي أنحاز إلى رأي العلاّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م)، ذلك بسبب أن طقس روما القديم، وبالتَّحديد في يوم السَّبت الكبير المقدَّس لازال يحتفظ بمراسيم إيقاد المصابيح في شكل غاية في المهابة والتَّقديس، حيث تُردَّد فيه صيغة البركة القديمة كما وردت بنصها في كتاب "المشنا". فهي إذاً ممارسة طقسيَّة بين كنائس الأمم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطقس الاحتفال بالوليمة اليهوديَّة. كما أن نفس هذا الطَّقس (طقس إيقاد سراج المساء في يوم السَّبت) قد ذكره "سينيكا" الحكيم[٦]. والاجتماع المسيحي الذي أخذ أصوله من الوليمة اليهودية لا زال يحتفظ بصيغة ليتورجيَّة موغلة في القدم تصاحب لحظة إيقاد سراج المساء. ولا زالت هذه الصيغة القديمة توجد في وصف الأغابي التي ارتبطت بالإفخارستيَّا، والتي لا تزال محفوظة في صيغتها القديمة في التَّرجمة الإثيوبية للتَّقليد الرَّسولي Apostolic Tradition .

بالإضافة إلى ذلك فإن الطَّقس الأرمني يحتفظ حتى اليوم بأنقى صيغة للبركة اليهوديَّة التي تُقال في المراسيم المصاحبة لإيقاد مصابيح صلاة المساء، والتي تتم في السَّاعة العاشرة (الرَّابعة بعد الظهر) كما أكد على ذلك رئيس الأساقفة يوحنا من أودسون[٧] John of Odsun حيث تسبق هذه الصيغة القديمة اللحن اليوناني القديم الذي تُرجم إلى الأرمينية، والذي بدايته: " Φῶς ἱλαρὸν ἁγίας δόξης - يا نوراً بهياً ... "، حيث يُرتَّل هذا اللحن في مساء السَّبت فقط من كل أسبوع[٨].

إذاً فنحن أمام طقس كان منتشراً وشائعاً في كل اجتماع مسائي يعقده المسيحيون، نُقل عن ممارسة يهوديَّة، فكان أشبه بطقس يومي

6_ *Ex.* ix, 5
7_ F.C. Conybeare, *Ritual Armenorum*, p. 494.
8_ Anton Baumstark, *op. cit.*, p. 134.

ولكنه في أيامنا الحاضرة قد احتُفظ به فقط في الاحتفالات الليتورجيَّة الكبرى في بعض الطقوس دون بعضها الآخر.

فما هو هذا الطّقس في الكنيسة المسيحيَّة؟

إن أوَّل إشارة تاريخيَّة عن هذا الطّقس في الكنيسة المسيحيَّة كانت من كنيسة مصر، وذلك قبل أن تتطوَّر خدمة المساء لتأخذ شكلاً ليتورجياً محدَّداً. إذ ورثت التَّقوى المسيحيَّة طقس إيقاد المصابيح Lucernarium في المساء - أي ممارسة استقبال نور المساء - بصلاة وتسبيح. فيوصي العلاّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م) أن نحييّ الإله الحقيقي بترتيلنا "السَّلام للنُّور ...".

أما أول إشارة ليتورجيَّة واضحة عن طقس إيقاد المصابيح فنجدها في كتاب التَّقليد الرَّسولي لهيبوليتس (١٦:٢٦- ٢٥) والذي دوَّنه حوالي سنة ٢١٥م، فيقول:

١٦- عندما يأتي المساء، يكون الأسقف هناك، وليُحضِر الشمَّاس السِّراج.

١٧- ويقف الأسقف في وسط المؤمنين، وقبل أن يشكر يقول: الرَّب معكم.

١٨- ويقول الشَّعب أيضاً: ومع روحك.

١٩- ويقول الأسقف: فلنشكر الرَّب.

٢٠- ويقول الشَّعب: مستحق ومستوجب، له العظمة والرِّفعة مع المجد.

٢١- وهو لا يقول: ارفعوا قلوبكم. لأنها تقال في القربان.

٢٢- ويصلي هكذا قائلاً: نشكرك يا الله بابنك يسوع المسيح ربِّنا، لأنك أنرتنا بإظهار النُّور الذي لا يفنى.

٢٣- قد أنهينا طول النَّهار وأتينا إلى بداية اللّيل. وقد شبعنا بنور

النَّهار الذي خلقته لمرضاتنا. والآن إذ نحن لا نفتقر بنعمتك نوراً مسائياً، نقدِّسك ونمجدك.

٢٤ـ بابنك الوحيد ربِّنا يسوع المسيح، الذي به لك معه المجد والقدرة والكرامة مع الرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى أبد الدُّهور.

٢٥ـ ويقولون كلهم: آمين" .

ففي التَّقليد الرَّسولي نجد أن طقس إيقاد سراج المساء كان مرتبطاً بالأغابي حاوياً صلاة شكر على النُّور. وكانت عادة المسيحيين أن يشكروا الله عندما يأتي المساء، فنقرأ في كتاب التَّقليد الرَّسولي (٦:٣٤:٨): "عندما يأتي المساء، اشكروا (الله) لأنه أعطاكم اللَّيل راحة من العناء اليومي".

ومن قوانين هيبوليتس القبطيَّة المستوحاة من التَّقليد الرَّسولي، والتي وضعت في القرن الخامس الميلادي نقرأ:

"إذا عمل أحد الأراخنة وليمة أو عشاء للفقراء، فليكن الأسقف حاضراً وقت إيقاد السِّراج، وليقم الشمَّاس ليوقده. فيصلِّي الأسقف عليهم وعلى الذي دعاهم. ويحق للفقراء الشُّكر الذي يقال في أوَّل القدَّاس. ويصرفهم لينفردوا من قبل أن يكون الظَّلام، وليصنعوا مزامير من قبل مضيِّهم" (٥:٣٢).

فعند الأقباط كان طقس إيقاد المصباح يُمارَس في مناسبة "عشاء المحبَّة" أو "الأغابي". وربما كان الأسقف في هذا الوقت يقدم الشُّكر للرَّب على النُّور.

لقد كانت عادة المسيحيين في تقديمهم الشُّكر لله على نور المساء، تُمارس في بيوتهم قبل أن تنتقل إلى الكنيسة لتصبح طقساً ليتورجياً،

وشهادة القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠- ٣٧٩م) عن "النُّور المبهج" تستند إلى الاستخدام المنزلي عند حلول المساء فيقول:

[لقد اتفق آباؤنا ألاَّ يقبلوا نعمة النُّور المسائي صامتين، بل عندما يظهر (النُّور) يرفعون أصواتهم بالشُّكر(٩)].

وفي الرُّبع الأخير من القرن الرَّابع في كبادوكيا أُلحق رسمياً طقس إيقاد السُّرُج بصلاة الغروب الكاتدرائيَّة. أما الاسم الذي كان يُطلق على خدمة المساء في هذا الطَّقس الكبادوكي فهو: "شكرٌ لأجل النُّور"، مما يدل على أنه كان هناك احتفال ليتورجي لإضاءة السُّرُج. وهو ما يُعتبر تطوراً جديداً نجده في بواكير سنة ٣٧٤م في تأبين القدِّيس غريغوريوس الثريتري (٣٢٩- ٣٨٩م) لأبيه في حضور القدِّيس باسيليوس الكبير(١٠).

وإذا عدنا إلى القدِّيس غريغوريوس النيسي (٣٣٠- ٣٩٥م)، في سرده لقصة حياة أخته ماكرينا، ووصفه لنياحتها في الفصل الخامس والعشرين، نجد أن طقس إيقاد المَصابيح في البيوت كان لازال معمولاً به حتى ذلك الوقت برغم أنه كان قد انتقل إلى الكنيسة حيث تبنته الكنيسة في خدمة صلاة المساء فيها، فيقول:

[وعندما حل المساء، وأُحضرت المصابيح، فتحت عينيها اللّتين كانتا مغلقتين حتى ذلك الوقت، ونظرت إلى النُّور، وصار واضحاً أنها ترغب في أن تردد صلاة الشُّكر على النُّور. ولكن عندما خانها صوتها، أكملت تقديم الشُّكر بقلبها، وبركة يديها، بينما كانت شفتاها تتحرَّكان في توافق مع خفقات قلبها الخفيَّة].

9_ PG 32, 205A

10_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 37.

ولقد ألّف القدِّيس غريغوريوس النزيتري (٣٢٩- ٣٨٩) من بين مجموعة أشعاره "لحناً للمساء" مؤكّداً به انتشار هذه العادة بين المسيحيين[١١].

ويؤكّد كتاب عهد الرَّب (القرن الخامس) انتقال هذا الطّقس من البيت إلى الكنيسة واستقراره فيها، وذلك حين يشير إلى سراج المساء فيقول: "يحضر الشمَّاس السِّراج إلى الهيكل قائلاً: نعمة ربِّنا مع جميعكم، فيجيب الشَّعب كله: ومع روحك".

وفيما كان طقس إضاءة المصابيح يُمارس في البيوت بمعنى مسيحي، ومن ثمّ انتقل إلى الكنيسة ليصبح طقساً ليتورجياً في كل من كبادوكية وأورشليم، لم يكن في ذلك الوقت عينه قد صار بعد طقساً كنسياً في أنطاكية. بمعنى أنه كانت توقد في أنطاكية مصابيح المساء في الكنيسة، ولكن بدون طقس محدَّد يصاحب إيقادها، وهذا يتَّضح من عظة للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) في كنيسة أنطاكية في الصَّوم الكبير عن سفر التَّكوين، كان يشكو من أن سامعيه يعطون انتباهاً أكثر لنور المصابيح وقت إيقادها في الكنيسة منشغلين بالشَّخص الذي يعبر الكنيسة في تلك اللَّحظة لإيقادها، عن انتباههم لما تحويه أسرار الكتب المقدَّسة من نور، وهي تلك التي يحدِّثهم عنها. وهكذا يتَّضح أن المصابيح في كنيسة أنطاكية كانت تُضاء بدون أي مراسيم طقسيَّة مصاحبة لإيقادها[١٢].

على أن الأمر لم يستمر على هذا النَّحو، بل دخل هذا الطّقس في كنيسة أنطاكية. فمن مخطوط[١٣] محفوظ في المتحف البريطاني يعود إلى القرن التَّاسع ندرك أن التَّقليد السِّرياني ظلّ يعرف "طقس إيقاد

11_ PG 37, 511_ 514.
12_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 43.
13_ *Add.* 14, 518, fol. 88r

السِّراج''، في صلاة المساء، كطقس ليتورجي حتى ذلك الوقت على الأقل.

ولا زال الطَّقس البيزنطي يحتفظ بترتيلة سحيقة في القدَم، تسميها المراسيم الرسوليَّة ''النَّشيد المسائي''، وهي ترتيلة تعود إلى القرن الثاني الميلادي، تُقال في صلاة الغروب حتى اليوم، مهداة إلى السيِّد المسيح حيث يُقدَّم في أثنائها البُخور، وتضاء الشُّموع.

يقول النَّشيد:

يا نوراً بهياً لقدس مجد الآب الذي لا يموت.
السَّماوي، القدُّوس، المغبوط، يا يسوع المسيح.
إذ قد بلغنا إلى غروب الشَّمس، ونظرنا نوراً مسائياً،
نسبح الآب والابن والرُّوح القُدُس الإله.
فيا ابن الله المعطي الحياة،
إنك المستحق في جميع الأوقات أن تُسبَّح بأصوات بارة.
لذلك؛ العالم إياك يمجِّد.

ولسنا نعرف بالضَّبط من هو مؤلِّف كلمات الشُّكر التي تُقال عند إيقاد سراج المساء. إذ ينسبها التَّقليد الكنسي المتوارث إلى أثينوجانيس الشَّهيد، بينما ينسبها البعض الآخر إلى أثناسيوس أسقف سيباسيد. ولكننا نعرف أن الشَّعب يتلو في أثناء ذلك الصِّيغة القديمة في تمجيد الثالوث حين يقول: ''نمجِّد الآب والابن والرُّوح القُدُس''.

إن طقس إيقاد المصابيح - بل طقس صلاة الغروب كلها - قد نبع من التَّقليد الأورشليمي، ولدينا إشارات لذلك منذ سنة ٣٨٢م في مذكرات السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا، حيث تقول في معرض حديثها عن صلاة الغروب:

"وفي السَّاعة الحادية عشرة من النَّهار (الخامسة بعد الظهر) والتي تُسمى هنا Licinicon [١٤] أو كما نقول نحن: صلاة الغروب. يجتمع جمهور كبير في كنيسة القيامة، وتُضاء جميع المصابيح والشُّموع، فتسطع الكنيسة بضوء وهَّاج. ولا يأتون بشعلة الضَّوء من الخارج، بل من داخل مغارة القبر المقدَّس، أي من داخل السِّياج المحيط بها، حيث يوجد مصباح مضئ نهاراً وليلاً. وتُرتل مزامير الغروب وأرباع الأنتيفونات لبعض الوقت ...[١٥]".

فطقس إيقاد المصابيح في أورشليم - وهو طقس لم تكن تعرفه أنطاكية في ذلك الوقت - لم يكن يصحبه إنشاد تراتيل، ولا رفع بخور، حيث لم تذكر إيجيريا ذلك، برغم درايتها باستخدام البُخور في صلاة السَّهَر الكاتدرائيَّة ليلة الأحد[١٦]. ولم يكن الغرض من هذا الطَّقس إنارة الكنيسة فحسب، بل كان الغرض منه أعمق من ذلك، إذ لم تكن تضاء المصابيح بأي نار كيفما اتَّفق، وإنما كانت الشُّعلة تؤخذ من المصباح الذي كان يضيء دائماً أمام قبر المسيح له المجد، إشارة إلى أنه عند بداية اللَّيل، فإن المسيح هو النُّور الذي يضيء هذا الظلام، فهو نبع كل نور.

ومن أورشليم انتقل طقس إيقاد المصابيح إلى الكنيسة البيزنطيَّة والسِّريانيَّة والأرمينيَّة والمارونيَّة والأشوريَّة، حيث أصبح ترتيل المزمور (١٤٠) يمثل عاملاً مشتركاً بينها جميعاً.

١٤ـ هذه الكلمة اللاتينيَّة Licinicon تقابلها الكلمة اليونانيَّة λυχνικόν وهي من كلمة λύχνος أي مصباح متحرِّك. وذلك لأن هذا الوقت يكون وقت إضاءة المصابيح. والعلامة سوتر Souter يعتبر أنها تقابل كلمة Vespers التي تعني "صلاة الغروب" أي التي تُقام عند إيقاد المصابيح.

15_ Or. Chr. Per., 1969, p. 360.

16_ *Ibid*, p. 361.

فالطَّقس البيزنطي يردِّد المزامير (١٤٠، ١٤١، ١٢٩، ١١٦).

والطَّقس السِّرياني الغربي (الأنطاكي) ومعه الطَّقس الماروني وكذلك الطَّقس السِّرياني الشرقي (الأشوري) يرددون المزامير (١٤٠، ١٤١، ١١٨:١٠٥ - ١١٢، ١١٦).

والطَّقس الأرمني يردد المزامير (١٣٩، ١٤٠، ١٤١).

ويقول الأب ماتيوس Mateos : "هذه الخمسة طقوس تتَّفق على المزمورين[١٧] ١٤٠، ١٤١ مما يرجِّح أنهما ذات أصل أورشليمي في طقس إيقاد مصابيح المساء".

إن المزمور (١٤٠) هو أحد المزامير الأساسيَّة التي كانت تقال في طقس إيقاد السِّراج في كنيسة أورشليم. فكتاب المراسيم الرسوليَّة (حوالي سنة ٣٨٠م)، والقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م) يشهدان بما كانت تمارسه كنيسة أنطاكية أو ضواحيها في نهاية القرن الرَّابع الميلادي بخصوص خدمة المساء، حيث يُرتل أولاً المزمور ١٤٠، يليه عدَّة صلوات قصيرة ذات مرد متكرِّر. هذان العنصران فقط هما اللَّذان ذُكرا فيما يختص بهذه الخدمة.

والمزمور (١٤٠) كمزمور إيقاد المصابيح يشير إليه كتاب "المراسيم الرسوليَّة (٢:٣٥)" برغم أن بنية هذا المزمور لا تشير إلي طقس محدَّد لإيقاد السُّرُج، إلاَّ أن تسمية هذا المزمور بمزمور إيقاد المصابيح كان بسبب أن ساعة ترتيل هذا المزمور كانت ساعة إيقاد سراج المساء.

وفي عظة للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم على المزمور (١٤٠) يقول:

١٧ـ تجدر الإشارة هنا إلى أن هذين المزمورين المذكورين يصليان في الطَّقس القبطي في صلاة السَّاعة الثانية عشر (النَّوم).

[كل العالم يعرف هذا المزمور، ويردِّده بلا انقطـــاع، إلاَّ أنهم يجهلون معنى ما يقولون، ولا يوجد أي سبب يمنع مـــن تلاوته كل يوم ولكنَّنا عندما نتلوه بالفم فقط فنحن لا نعرف مقدار القوَّة المخبأة في كلماته(١٨)].

ويقول عنه أيضاً:

[هو دواء شاف ومطهِّر للخطايا، حتى أن كل ما اقترفناه على مدى النَّهار في السوق أو في البيت، أو في أي مكـــان، فإننا ننفضه عنا بحلول المساء عندما نرتل هذا المزمور تـــرتيلاً روحياً، فإنه في الحقيقية دواء قادر أن يمحو الخطايا(١٩)].

ويشترك القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) مع القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) في اعتبار أن هذا المزمور له قوَّة الغفران، فيقول في ذلك:

[في نهاية اليوم، فإن تقديم الشُّكر والاعتراف بـــالهفوات، وإن كانت هناك خطايا بالإرادة أو من أجل الضَّعف، أو بغير إرادة، سواء كانت بالقول أو بالفعل أو من داخل القلب، فإن هذا المزمور بتقديمه لله في الصَّلاة يجعل الله يتغاضى عن كـــل هذه الخطايا(٢٠)].

والآن؛ هل كان التَّقليد القبطي القديم يعرف طقس إيقـــاد ســـراج المساء، ثم اندثر هذا الطَّقس، أم أن الكنيسة القبطيَّة لم تكن على معرفـــة بهذا الطَّقس مطلقاً؟.

18_ PG 55, 426_ 427.
19_ PG 55, 427.
20_ PG 31, 1016.

لقد قدَّم الأب أوجو زانيتي Ugo Zanetti اليســـوعي بحثـــاً حـــديثاً بالفرنسيَّة عن هذا الموضوع تحت عنوان: "الأجبيـــة القبطيَّـــة وصـــلاة الغروب البيزنطيَّة[٢١]".

فمنذ سنوات خلت، أورد الدكتور بورمســـتر O.H.E. Burmester إشارة إلى وجود صلاة للسَّاعة الحادية عشر "كعادة المصـــريين". وأن الطَّقس القبطي الحالي لا يعرف عنها سوى عنوان لها فقط وُجد في ورقة مخطوط بدير القدِّيس الأنبا بيشوي ببريَّة مقاريوس. ويقول الأب أوجو:

بالبحث في فهرس مخطوطات دير القدِّيس الأنبا مقار حالفنا الحـــظ في العثور ليس فقط على عنوان هذه الصَّلاة، كمـــا ذكرهـــا الـــدُّكتور بورمستر O.H.E. Burmester ، ولكن أيضاً في العثور على خدمة كاملـــة لها. وقد قادتنا هذه الأبحاث إلى اكتشاف عدد قيِّم من نقاط الالتقاء بين الطَّقسين الفلسطيني (أو الأورشليمي) والقبطي.

فخدمة "صلاة السَّاعة الحادية عشر كعادة المصريين" قد حُفظـــت لنا في مخطوطتين، الأولى تلك التي أشار إليهـــا الـــدُّكتور بورمســـتر O.H.E. Burmester ، والتي لم يتبق منها سوي العنوان فقط. وأما الثانية فهي مخطوط رقم (٤٣٨)، أو بحسب التَّـــرقيم الـــدَّاخلي (ط ٢٢١) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، حيث أورد هذا المخطوط الأخير نص هذه الخدمة بالكامل.

وعلاوة على هذين المصدرين السَّابقين لهذه الخدمة أو هذه الصَّلاة، فإنه توجد آثار لها في مخطوطتين أخريتين بنفس الدَّير، الأولى هي مخطوط "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" لأبي البركات بن كـــبر (+ ١٣٢٤م)،

21_ Ugo Zanetti, *Horologion Copte et Vepre Byzantines*, dans Le Muséon, Revue d'etudes Orientales, tome 102, fasc. 3_ 4, 1989, p. 237_ 254.

حيث ورد فيها نص خدمة هذه الصَّلاة تحت عنوان " Λυχνικόν " والذي يعني كما سبق أن ذكرنا "إيقاد السِّراج"، ومن هذه الكلمة اليونانيَّة جاءت الكلمة القبطية ⲗⲩⲭⲛⲓⲁ أي "المنارة". والثانية مخطوط رقم (٤٤٠) أو (ط ٢٢٣)، وهو أكثر حداثة من مخطوط رقم (٤٣٨) أو (ط ٢٢١)[٢٢].

وسنركز حديثنا عن مخطوط رقم (٤٣٨)، والذي أورد هذه الصَّلاة بنصِّها الكامل كما ذكرنا. وهو عبارة عن أبصلموديَّة قبطي عربي لخدمة شهر كيهك، وهي تشمل أيضاً معظم الأبصلموديَّة السنويَّة. وهذا المخطوط يرجع إلى القرن الرَّابع عشر كما تشهد بذلك نوعيَّة الورق المستخدم فيه، وكذلك نوع الخط، كما أن جزءاً كبيراً من ورق المخطوط قد أُعيد ترميمه في غضون القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ففي صفحات (٣٣٥ـ ٣٤٣) في هذا المخطوط المذكور نجد نص الصَّلاة تحت عنوان مكتوب بالقبطيَّة والعربيَّة:

⳥ ⲡ̀ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲭⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲁϫⲡ ⲓ̅ⲁ̅ ⲕⲁⲧⲁ ϯⲕⲁϩⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲣⲉⲙⲃⲁⲃⲩⲗⲱⲛ.

أي: "صلاة الغروب[٢٣] كعادة المصريين".

وبعد العنوان مباشرة وبدون أية صلوات تمهيديَّة نقرأ بالقبطيَّة والعربية أيضاً:

"تعالوا نسجد للرَّب، ونخر أمامه ليلاً ونهاراً، لأنه ملكي والاهي (وإلهي)، أتوكل عليه يغفر".

حيث جاءت الكلمة القبطيَّة الأخيرة في المخطوط هذه العبارة

22_ *Ibid*, p. 237.

٢٣- التَّرجمة الأدق طبقاً للنَّص القبطي تكون: الحادية عشرة

السَّابقة ⲧⲉϥϫⲁ ، ويلزم قراءتها ⲛ̀ⲧⲉϥϫⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ أي "ليغفر لنا خطايانا". وواضح هنا أن المصلي يبدأ جزءاً جديداً من الأبصلموديَّة التي يصلِّي بها. وهذا الدُّعاء هو دعاء قريب من شكل الدُّعاء الأورشليمي الذي يسبق صلاة السَّحَر(٢٤).

وبعد هذا الدُّعاء مباشرة نقرأ مزمور رقم (١٠٣) بالقبطيَّة والعربيَّة كاملاً، ثم يليه الأربعة مزامير التالية:

مزمور (١٤٠) "يارب دعوتك ..." وهو بحسب الأجبية الحالية «يارب إليك صرخت ...».

مزمور (١٤١) "أعليت بصوتي ..." وهو بحسب الأجبية الحالية «بصوتي إلى الرَّب صرخت ...».

مزمور (١٢٩) "من الأعماق ...".

مزمور (١١٦) "سبِّحوا الرَّب ...".

ويلي هذه المزامير مجموعة طلبات أو صلوات من أجل الملك المحب للمسيح، ومن أجل البلاط، ومن أجل الصعايد (الصَّعائد)، ومن أجل المسبيين، ثم طلبة "ارحمنا يا الله مخلِّصنا".

ومنذ وقت مبكِّر أبدى علماء الطقوس ملاحظة، وهي أن المزامير الخمسة السَّابق ذكرها (١٠٣، ١٤٠، ١٤١، ١٢٩، ١١٦)، والتي تشكِّل بدقَّة لحمة صلاة الغروب بحسب الطَّقس البيزنطي الحالي، هي في الحقيقَية من أصل أورشليمي(٢٥). ولكن بجانب كل مزمور من المزمورين رقمي ١٤٠، ١٤١ نقرأ ملاحظة مدوَّنة في الهامش باللغة العربيَّة تقول: "يُقرأ من صلاة النَّوم". أما المزمور ١٠٣ (١٠٤ في الترقيم البيروتي) فهو

24_ Ugo Zanetti, *op. cit.*, p. 245.

25_ *Ibid*, p. 247.

منسوخ في المخطوط بالكامل، لأنه لا يوجد ضمن مزامير الأجبية القبطيَّة. أمَّا من جهة المزمور رقم ١١٦ فهو من بين مزامير صلاة الغروب في الأجبية القبطيَّة.

وأول من يشهد على وجود المزمور ١٠٣ في صلاة الغروب البيزنطيَّة هو ثيؤدورس الإستوديتي (٧٥٩- ٨٢٦م) أي منذ القرن الثامن الميلادي. وهذا المزمور ترتِّله أيضاً الكنيسة الروسيَّة مصحوباً بقرار يقول: "المجد لك أيها الآب، المجد لك أيها الابن، المجد لك أيها الرُّوح القُدُس، المجد لك يا الله". ويشهد سمعان التَّسالونيكي (+ ١٤٢٩م) على أصالة هذا القرار، وأنه قد جاء من القسطنطينيَّة[٢٦].

ومن كلمات هذ المزمور المبدع بحسب التَّرجمة القبطيَّة:

«[١]باركي يا نفسي الرَّب. أيها الرَّب الإله لقد عَظُمتَ جداً. الاعترافَ وعظمَ الجلال تسربلتَ. [٢]اشتملتَ بالنور مثل الثوب. الذي بسط السماءَ مثلَ الخيمة. المسقِّف بالمياه علاليَهُ. [٣]الذي جعل مسالكَه على السَّحاب. الماشي على أجنحةَ الرِّياح. [٤]الذي صنع ملائكتَه أرواحاً. وخدامه ناراً تلتهبُ». وفيه أيضاً: «[١٠]الذي يُرسِلُ العيونَ في الأودية. وفي وسط الجبال تعبرُ المياه... [٢٣]كمثلِ ما عظُمَت أعمالُك ياربُ. كلُ شئ بحكمة صنعتَ. قد امتلأت الأرضُ من خليقتك... [٢٧]وإذا فتحتَ يدَكَ فيمتلئُ الكلُ من صلاحك. [٢٧]وإذا صرفتَ وجهَك فيضطربون... [٢٨]ترسلُ روحَك فيُخلَقون. وتجدِّدُ وجهَ الأرضِ دفعةً أخرى... [٣٢]أُسبِّح الرَّب في حياتي. وأرتِّلُ لإلهي ما دمتُ موجوداً. فيلذّ له كلامي. [٣٣]وأنا أفرحُ بالرَّب».

إن الدَّليل الذي أمدتنا به مخطوطات دير القدِّيس أنبا مقار، وكذلك قصاصات هامبورج Le fragment de Hambourg لم يكن بعيداً عمَّا كان

26_ Chevetogne, *La prière des Heures des 'Eglises de rite byzantin*, Chevetogne, 1975, P. 360, 361.

معروفاً في الكنيسة القبطيَّة، لأن مخطوط "مصباح الظلمة ..." لابن كبر (+ ١٣٢٤م) يورد إشارة هامة تقول: "لا تُتلى الأجبية في صلاة ليالي الأحد، وإنما تقال الخمسة مزامير الآتية" ثم أورد عناوين المزامير أرقام (١٠٣، ١٤٠، ١٤١، ١٢٩، ١١٦).

ونجد في مخطوطات مجموعة بربريني[٢٧] أن الأربعة مزامير (١١٦، ١٢٩، ١٤٠، ١٤١) جاءت على التَّرتيب سابقة على العنوان λυχνικόν أما بقيَّة المزامير الأحد عشر التي تمثل مجموع مزامير صلاة الغروب في هذا المخطوط وهي أرقام ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ والتي تُقال في هذه السَّاعة فهي لا تنتمي إلى الحاشية التي أوردها المخطوط المذكور، حيث وضع علامة تميِّز الأربعة مزامير (١١٦، ١٢٩، ١٤٠، ١٤١) فقط، وقال: "إن هذه المزامير الأربعة تُقرأ في اللّخنيكن Λυχνικόν". أما المزمور (١٠٣) فقد انعزل عن هذه المزامير الأربعة.

فواضح هنا أن المزمور (١٠٣) لا يُعتبر ضمن المزامير التي تُقال في اللخنيكن Λυχνικόν أي عند إضاءة سراج المساء، ولكنه يتصدَّر المزامير التي تقال في هذا الطَّقس.

وهكذا يتَّضح لنا أنه برغم وجود مجموعة مزامير لصلاة الغروب في مجموعة مخطوطات بربريني، إلاَّ أن أربعة مزامير فقط منها تختص بطقس إيقاد المصابيح λυχνικόν ويوافق ذلك ما يذكره شارح مخطوط مصباح الظُّلمة لابن كبر، حيث يؤكِّد أن الخمسة مزامير (أي الأربعة مزامير المختصة بطقس إيقاد السُّرُج، يتصدَّرها المزمور (١٠٣) في افتتاحيَّة هذا الطَّقس) تُقال بدلاً من الأجبية، أي أنه كانت توجد مزامير خاصة بصلاة الغروب في الأجبية، والشَّارح هنا يُحيل المصلِّي

27- Le Barberini Or2.

إلى ممارسة طقس آخر بمزامير أخرى في ليالي الآحاد على وجه الخصوص.

ويؤكّد هذا أيضاً ما أورده النّاسخ على هامش المخطوط رقم (٤٣٨) حينما يسجِّل جوار المزمورين (١٤٠، ١٤١) اللّذين يقالا في طقس إضاءة المصابيح، أنها تقال من صلاة النّوم. أي أن هذين المزمورين كانا يقالا ضمن مزامير صلاة النّوم، وأن استعارتها هنا في هذا الطّقس ليس لتكميل صلاة الغروب، ولكن من أجل طقس إضاءة المصابيح λυχνικόν .

إن طقس إيقاد المصابيح "لخنيكن - λυχνικόν" يأتي في كثير من مخطوطات الصّعيد[٢٨] تحت الكلمة القبطيّة **ⲗⲩⲭⲛⲓⲕⲟⲛ** ، وجدير بالذكر أن المخطوطات الصعيديّة لا تذكر غالباً اسم "صلاة الغروب"، وحتى المخطوطات التي تذكرها فإنها تذكر الكلمة اليونانية ὀψέ والتي يقابلها في القبطيّة **ϩⲓⲣⲟⲩϩⲉ** أي "المساء" كعنوان لهذه السّاعة من الصّلاة[٢٩].

ولقد ورد هذا الاصطلاح λυχνικόν (لخنيكون) أيضاً عند أبي البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، ولكن بدون أي تفصيلات، وذلك عندما كان يصف طقس خدمة الصّلوات في دير القدّيس جورجيوس السدمنتي[٣٠]. فقد أضاف العبارة التالية بعد أن أورد مجموعة المزامير التي تتلى في هذه الخدمة، وهي: "وهم يقرأون اللّخنيكن λυχνικόν في عشيّة كل يوم بحسب كتابه (أي كتاب هذا الدّير) المرتّب طبقاً للأيام". فقول هذا العالم الطّقسي تجعلنا نقف على حقيقة أن خدمة

٢٨_ مثل المخطوطات الأربعة التالية:
Le Paris BN 129, fol. 67v ; Le Brit. Lib., OR. 3580A et OR. 6781 ; Catal. de Crum, no 145, p. 32 ; Catal. de Layton, no 119, p. 131.

29_ Ugo Zanetti, *op. cit.*, p. 247, 248.

٣٠_ سدمنت هي إحدى قرى محافظة بني سويف.

الصَّلاة موضوع البحث كانت في القرن الرَّابع عشر الميلادي تحتوي على أجزاء مختلفة إلى جانب الأربعة مزامير سالفة الذِّكر(٣١).

فهل نحن أمام بقايا طقس قبطي قديم لإضاءة المصابيح في المساء؟ لأن ما سبق أن أوردناه يوضح لنا أننا قد حصلنا على إحدى صور خدمة الغروب في الكنيسة القبطيَّة يتصدَّرها المزمور (١٠٣) ثم مجموعة مزامير خاصة بهذا الطَّقس، حيث يختتم بخمس طلبات أو صلوات من أجل الملك المحب للمسيح، ومن أجل البلاط، من أجل الصَّعايد، ومن أجل المسبيين، ثم الطلبة الأخيرة: "ارحمنا يا الله خلِّصنا ...". فهذا الطَّقس الذي كان يعرفه صعيد مصر لم يكن له وجود واضح في الوجه البحري حيث يقوم مقامه طقس آخر هو طقس رفع البُخور في الكنيسة في المساء والصَّباح.

إن هذه الصورة لطقس صلاة الغروب "كعادة المصريين" تبدو متوافقة مع نمط صلوات الغروب الموجود في مخطوطات الصَّعيد والذي يتضمَّن ألحاناً وقراءات وطلبات.

ولأن مصر هي موطن الرَّهبنة، وبسبب كثرة الآلام التي عاناها الأقباط على مدى التَّاريخ، فإن أديرة الوجه البحري هي التي أبقت على شعلة الليتورجيَّة متوهِّجة، وانتهت طقوس هذه الأديرة إلى فرض نفسها. وكان من أبرز هذه الطقوس "الصَّلاة بالأجبية"، والتي تمثِّل التراث المباشر للتَّقليد الإسقيطي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو لنا أن صلاة الغروب "كعادة المصريين" غير منسجمة مع باقي صلوات الأجبية حسب التَّقليد

31_ Ugo Zanetti, *op. cit.*, p. 248.

الإسقيطي، ذلك لأن عبارة "كعادة المصريين" تشير إلى أن رهبان الإسقيط كانوا يعتبرون أن هذا الطَّقس غريب عليهم. وتعبير "كعادة المصريين" يعني بالتَّحديد عادة سكان بابيلون (مصر القديمة) Ⲙⲓⲣⲉⲙⲃⲁⲃⲩⲗⲱⲛ . وكل ما يمكن أن نتبيَّنه هو أن طقس إضاءة المصابيح في الكنيسة القبطيَّة قد حفر له مساراً ضعيفاً إلى داخل كنيسة دير القدِّيس أنبا مقار، ذلك الحصن الذي حافظ على الليتورجيَّة البحرية، حيث استعملت هذه الخدمة أو هذا الطَّقس في نفس الزَّمن الذي كان فيه الصَّعيد على وشك أن يرى تراثه اللِّيتورجي الخاص يضمحل ليحل محله الطَّقس البحري.

إن الوثائق التي وجدنا فيها صلاة الغروب "كعادة المصريين" هي مخطوطات واردة من الإسقيط: أي قصاصات هامبورج التي ترجع إلى دير القدِّيس أنبا بيشوي، وكذلك مخطوطة مكتبة دير أنبا مقار رقم (٤٣٨) والتي كانت ضمن ممتلكات هذا الدَّير منذ عهد قديم. وهذان المخطوطان يرجعان إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر للميلاد.

علاوة على ذلك فإن مخطوط دير القدِّيس أنبا مقار رقم (٤٤٠) وهو أكثر حداثة، والذي يحوي تسبحة كيهكيَّة غير متكاملة، اكتفى النَّاسخ له بالنَّص القبطي مع إهمال التَّرجمة العربيَّة، وهو ما يشير إلى أن المخطوط كان للاستخدام الرَّهباني، أكثر من استخدامه في كنائس المدن. وإن الخدمة التي تحويها هذه المخطوطة ترجع بلا شك إلى الوجه البحري.

هذه الشواهد ليست قطع أثريَّة توضع في المتاحف، لأن المخطوطتين المقاريتين تحملان آثار استخدام، حيث يظهر على صفحاتها بُقع من الشَّمع، فضلاً عن اتساخ صفحاتها بسبب كثرة

الاستخدام، مما يتَّضح معه أنهما كانا يستخدمان بالفعل في الصَّلاة، ولو لزمن محدود.

كما أن كل الدلائل تحمل على الاعتقاد أن صلاة إيقاد سراج المساء محتوية على نفس المزامير كانت معروفة أيضاً في دير السيِّدة العذراء السِّريان. وهكذا يتَّضح أمامنا أن هذه الصَّلاة كانت معروفة في بعض أديرة إسقيط مقاريوس إلى جانب كنائس القاهرة حسب شهادة أبي البركات، وأيضاً في دير مارجرجس السِّدمنتي.

إن مخطوطات الصَّعيد لا تسعفنا بتفصيلات عن شكل ومضمون هذه الخدمة λυχνικόν حيث لا تذكر سوى قائمة من القراءات المخصَّصة تختص بها في أيام الأعياد.

وإن كان هذا الطَّقس قد وُجد في مصر في وقت ما - مثلما كان في أورشليم، وكنائس شرقيَّة أخرى تأثرت بالمدينة المقدَّسة - فإنه بالتأكيد قد اختفى من ليتورجيَّة مصر. وربما استطاعت بحوث أخرى متعمِّقة في المخطوطات الصعيديَّة أن تطلعنا على تفصيلات أكثر وضوحاً لهذا الطَّقس كما عُرف آنئذ في الصَّعيد وبعض أديرة الشَّمال، وكنائس القاهرة.

الفَصل الثَّالث

بنية صلاة المَساء والصَّباح في الكَنائس الشَّرقيَّة

تمهيد

في الصَّفحات التَّالية نعرض لمضمون أو عناصر صلوات الصَّباح والمساء الكاتدرائيَّة في الطُّقوس الشَّرقيَّة المختلفة، كتمهيد لشرح موسَّع لصلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر في الكنيسة القبطيَّة.

والخدمة الكنسيَّة في الشَّرق المسيحي عموماً إلى جانب أنها خدمة لتمجيد الثالوث Trinitarian ، فهي بالأكثر خدمة مسيحانيَّة Christological أي خدمة تردِّد اسم المسيح له المجد ترديداً متواتراً، في كثير من تسابيحها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإلى جانب عنصر التَّوبة كموضوع ديري يختص بالأكثر بالحياة الرَّهبانيَّة وينتشر في نصوص الصَّلوات الليتورجيَّة، فإن عنصري التَّسبيح والشُّكر سائدان فيها وواضحان كل الوُضوح.

بالإضافة إلى أن صلاة السَّحَر في معظم الطقوس الشَّرقيَّة الآن يُرفع فيها البُخور بعد أن أصبحت تحوي عناصر كثيرة من صلاة السَّحَر الكاتدرائيَّة، وبعد أن أصبحت مزيجاً من عناصر ديريَّة امتزجت بعناصر كاتدرائيَّة.

أما صلاة السَّحَر في الطَّقس القبطي فتحوي كلا الطَّقسين الدَّيري والكاتدرائي مستقلَّين عن بعضهما كل الاستقلال. فصلاة السَّحَر القبطيَّة الدَّيريَّة تبدأ بالهوس الرابع (المزامير ١٤٨ - ١٥٠)، بعد المقدِّمة المعتادة لبداية أي صلاة وهي "أليسون إيماس ... ارحمنا يا الله الآب ..." ثم الصَّلاة الربيَّة. أما صلاة السَّحَر القبطيَّة الكاتدرائيَّة فتحوي عناصر كاتدرائيَّة من رفع بخور، وإيقاد شموع، ومواكب احتفاليَّة في بعض المناسبات الكنسيَّة ... الخ.

الطَّقس الإثيوبي(١)

يحوي الطَّقس الإثيوبي - كنظيره القبطي - كلا الاستخدامين الكاتدرائي والدَّيري جنباً إلى جنب، ولكنهما ظلاً منفصلين و لم يندمجا في خدمة ليتورجيَّة واحدة كما حدث في بعض التَّقاليد الليتورجيَّة الأخرى.

والخدمة الكاتدرائيَّة الإثيوبية هي في أصلها خدمة ترتيل Sung office مثل الطَّقس البيزنطي Asmatikos حيث يُحتفل بها احتفالاً خشوعياً بقيادة "المعلّمين" الذين يُدعون في اللغة الإثيوبيَّة "دابتارا – Dabtara " ولاسيَّما في الكنائس الكبيرة، وفي المناسبات الدينيَّة الخاصة.

وتتكوَّن هذه الخدمة الكاتدرائيَّة أساساً من ثلاث ساعات رئيسيَّة هي: الغروب، ونصف الليل، والسَّحَر. أما في أوقات أخرى من السَّنة مثل الصَّوم المقدَّس الكبير، فتضاف إليها ساعات الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة بالإضافة إلى بعض الخدمات الخاصة ببعض المناسبات.

والتَّرتيل الإثيوبي له سمات خاصة لا يشاركه فيها طقس آخر، وهو يُسمى في اللغة الإثيوبيَّة "قومت – Qumet " أي التَّرتيل المقدَّس. وله ثلاثة أساليب:

- جعيز Ge'ez : وهو ترتيل ذو نغمة بسيطة تستخدم في الأيام العادية وأيام التَّوبة والتذلّل.
- عيزل 'ezel : وهو ترتيل ذو نغمة تختص بالأعياد والجنازات.
- أراراي Araray .

ويتم التَّرتيل وقوفاً وهو ما يُسمى "أقواقوام – Aquaquam " من

1_ Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 261ff.

الكلمة "قوما - quoma" أي "يقف"، ويُستخدم فيه عصا أو قصبة تُمسك في اليد اليُمنى، وهي تسمى "ماقوميا - maquomeya". وهناك أربعة وعشرون "أقواقوام - Aquaquam" مختلفة.

ويصاحَب التَّرتيل الإثيوبي بقيادة "الدَّابتارا" الذين هم قادة الخوارس الرَّسميين Professional Cantors ، وذلك بتمايل الجسم تمايلاً يتناغم مع قرع الطُّبول وهز الصَّلاصل، ولكنه تمايل بطئ يشبه تمايل أشجار الغابة عندما تتمايل ببطء مع هبات ريح النَّسيم. وهذا الرَّقص الدِّيني هو أشهر ما يميز الإثيوبيين وعبادهم.

وأُورد فيما يلي عناصر كل من صلاتي الغروب والسَّحَر في الطَّقس الإثيوبي، على أنه من اللاَّزم الإشارة إلى أنه في الأعياد الإثيوبية يبدأ الاحتفال بطقس العيد بعد ظهر اليوم السَّابق للعيد بترتيل صلاة الغروب، ويمتد الاحتفال بهذه الخدمة إلى أربع أو خمس ساعات. أما بنية صلاة الغروب الإثيوبيَّة فهي:

(أ) صلاة الغروب "وازيما - Wazema"

- صلاة افتتاحيَّة ثابتة.
- لحن يختص بصلاة الغروب ويُسمى "وازيما".
- المزمور (٢٣).
- أنتيفونا مناسبة لهذه الخدمة وتُمسى "بحامستو - Bahamesto".
- لحن الغروب الأوَّل، ويُسمى "قيني وازيما - Qene wazema".
- صلاة من أجل المطر.
- المزمور (٩٢).
- "بحامستو - Bahamesto" ثانية.
- "قيني وازيما - Qene wazema" ثانية.

- صلاة من أجل الحكام.
- مزمور (١٤٠).
- " بحامستو - Bahamesto " ثالثة.
- صلاة شُكر مسائيَّة، وتُسمى "ليطون - Liton ".
- فصول كتابيَّة من الرَّسائل.
- تسبحة دانيال (٥٢:٣ - ٥٦). وتُسمى "يتبارك - Yetebarak ".
- أنتيفونا لتسبحة دانيال وتُسمى أيضاً "يتبارك - Yetebarak ".
- لحنان أو ثلاثة ألحان "قيني - Qene ".
- مزمور بمرد "هلليلويا"، ويُسمى "ميسباك - Mesbak ".
- فصل من الإنجيل المُقدَّس.
- صلاة المساء، وتُدعى "كيدان - Kidan ".
- المزمور (١٠١) مع أنتيفونا "سالاست - Salast ".
- المزمور (٨٤) مع أنتيفونا "سالام - Salam ".
- ارحمنا أيها المسيح الرَّب ... (ثلاث مرات).
- صلاة ختاميَّة.
- قانون الإيمان.
- أبانا الذي في السَّموات.

وفي الأيام العاديَّة تتبدل المزامير (٢٣، ٩٢، ١٤٠) ويُرتَّل بدلاً منها ثلاثة مزامير أخرى؛ المزموران الأوَّلان منها يتغيران، أما الثالث فهو المزمور الخمسون.

(ب) صلاة السَّحَر "صبحاتا ناف - Sebehata Nagh "

وهي توجد في خمسة أشكال مختلفة، إما اعتياديَّة ferial وهي للمناسبات الدينيَّة البسيطة، أو احتفالية وهي للأعياد الكبرى.

ولصلاة السَّحَر خورسان من المُرتِّلين يرتِّلون المزامير بالتَّبادل ويشتركون في ترتيل الأنتيفونات والصَّلوات والطلبات والذُّكصولوجيَّات والألحان والتضرُّعات والتَّشفُّعات.

وفيما يلي نورد بنية صلاة السَّحَر الاحتفاليَّة وتتكوَّن من:

- أنتيفونا أولى تعقبها ثانية.
- طلبة.
- المزامير (٦٢، ٦٤، ٩١، ٥).
- لحن على المزمور (٦٢).
- أوشية المرضى أي صلاة تقال للمرضى.
- تسبحة سمعان الشيخ.
- لحن على تسبحة سمعان الشيخ.
- صلاة المسافرين.
- ترتيل.
- تسبحة دانيال (٣:٥٢- ٥٦).
- لحن.
- أنتيفونا على تسبحة دانيال.
- تكملة تسبحة دانيال (٣:٥٧- ٩٠).
- أنتيفونا على تكملة تسبحة دانيال.
- المزامير (١٤٨- ١٥٠).
- صلاة من أجل الملك.
- أنتيفونات.
- المزمور (١٠١) مع أنتيفونا.
- المزمور (٨٤) مع أنتيفونا.
- ارحمنا أيها المسيح الرَّب ... (ثلاث مرَّات).
- صلاة ختاميَّة.
- قانون الإيمان.
- أبانا الذي في السَّموات ...

أما الاستخدام الحالي في الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية، فتتم فيه صلوات السَّواعي بكاملها في الأديرة. أما في الإيبارشيَّات فيُحتفل بصلاة الغروب في عشيَّة الأيام التي يُحتفل فيها بإقامة الإفخارستيًّا أي أيام الآحاد والأعياد، حيث تقام صلاة الغروب في المساء ويتبعها في السَّاعة الرَّابعة والنِّصف بعد منتصف اللّيل تقريباً صلاة نصف اللّيل، ثم يعقبها صلاة السَّحَر ثم إقامة الإفخارستيًّا على التتابع دون فاصل زمني بينها. وبالطبع فإن الـ "الدابتارا – Dabtara" وبقية الإكليروس يحضرون كل الخدمات الليتورجيَّة على طولها.

الطَّقس الأرمني[٢]

ذكرتُ في كتاب "الأجبية أي صلوات السَّواعي" أن الطَّقس الأرمني الحالي يحوي سبع سواعي صلاة على مدى النَّهار واللَّيل، ولكن بتسميات أخرى تختص به لا تعرفها الطقوس الشرقيَّة الأخرى.

فسواعي الصَّلاة الأرمينيَّة هي:

- صلاة اللَّيل Nocturns .
- صلاة السَّحَر Matins .
- صلاة شروق الشَّمس Prime (وهي تقابل صلاة باكر).
- صلاة نصف النَّهار Typica .
- صلاة المساء Vespers (وهي تقابل صلاة الغروب).
- ساعة السَّلام.
- ساعة الرَّاحة Compline (وهي تقابل صلاة النَّوم).

فصلاة شروق الشَّمس في الطَّقس الأرمني هي صلاة باكر في الطقوس الشرقيَّة الأخرى، وصلاة نصف النَّهار هي صلاة واحدة يقابلها في الطقوس الأخرى سواعي الثالثة والسَّادسة والتَّاسعة، أما صلاة المساء فهي تُسمى صلاة الغروب في الطقوس الأخرى، وساعة الرَّاحة أو صلاة الرَّاحة هي صلاة النَّوم في الطقوس الأخرى. وبين السَّاعتين الأخيرتين السَّابق ذكرهما مباشرة تأتي صلاة ينفرد بها الطَّقس الأرمني وهي ساعة السَّلام، أو صلاة السَّلام، أي بعد الغروب وقبل صلاة النَّوم. وسيقتصر حديثنا الآن على صلاتي السَّحَر والمساء أي الغروب.

2- Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 222- 224.

(أ) صلاة السَّحَر Matins

وهي تحوي حالياً العناصر الآتية:

- أبانا الذي في السَّموات ...
- مديح يتضمَّن المزمور (١٤:٨٩ ـ ١٧) «أشبعنا بالغداة من رحمتك، فنبتهج ونفرح كل أيامنا...».
- ذُكصا أي تمجيد.
- تسبحات كتابيَّة من العهد القديم[٣]: وهي آيات مختارة من الأصحاح الثالث من سفر دانيال (دانيال ٢٦:٣ ـ ٤٥) مع مرد Anthem، (دانيال ٥٢:٣ ـ ٨٨) مع مرد Anthem.
- أدعية Biddings
- تسبحات كتابيَّة من العهد الجديد وهي:

  تسبحة العذراء: تعظم نفسي الرَّب ... Magnificat

  تسبحة زكريا الكاهن: مبارك الرَّب ... Benedictus

  تسبحة سمعان الشيخ: الآن يا سيِّد ... Nunc Dimittis
- طلبة ثم صلاة قصيرة Collect

وفي أيام الآحاد يضاف على صلاة السَّحَر في هذا المكان فصل من الإنجيل المقدَّس تسبقه بضعة آيات من المزامير، ويعقبه مرد، ثم دعاء.

- مزمور (١:١١٢ ـ ٣) «سبحوا الرب أيها الفتيان، سبحوا اسم الرَّب ...».
- مزمور (٢٦:٤٣، ٢٤) «قم عوناً لنا وخلِّصنا من أجل رحمتك، لماذا تحجب وجهك وتنسى مذلتنا وضيقنا...».
- مزمور (١٠:١٤٥، ١) «يملك الرَّب إلى الدَّهر، وإلهك يا صهيون من جيل إلى جيل، سبحي يا نفسي الرَّب، أسبِّح الرَّب في حياتي وأرتِّل لإلهي ما دمت موجوداً».
- إنجيل حاملات الطيب.

٣ـ طبقاً لما يذكره وينكلر Winkler هذه التَّسبحات هي البداية الأصليَّة القديمة للسَّهَر الكاتدرائي الأرمني في أيام الآحاد.

- مرد الإنجيل Anthem of the Gospel
- أدعية Biddings
- المزمور الخمسون مع مرد له.
- أدعية Biddings
- المزامير (١٤٨- ١٥٠) مع مرد لها.
- المجد لله في الأعالي ... Gloria in excelsis
- أهِّلنا يارب أن نُحفظ في هذا اليوم ونحن بغير خطيَّة ... Kataxioson
- مرد لقيامة المسيح.
- طلبات: طلبة وصلاة قصيرة Collect.
  طلبة "ملاك سلام ..."
  صلاة قصيرة Collect
  صلاة بركة Blessings
- الثلاثة تقديسات Trisagion

وقد أُضيف على هذا الختام القديم لهذه الخدمة العناصر التالية:

- أدعية Biddings
- طلبة ذات قرار Responsory
- إنجيل شفاء، ومرد على الإنجيل.
- أدعية Biddings
- صلاة بركة Blessings

هذه هي عناصر صلاة السَّحَر في الطَّقس الأرمني، وهي عناصر يوجد ما يقابلها في الطَّقس القبطي في صلاة الصَّباح أو صلاة نصف اللَّيل التي تسبقها. فصلاة السَّحَر الأرمينيَّة تبدأ بالصَّلاة الربيَّة كما في معظم الطقوس الأخرى، وتحوي تسبحة دانيال بكاملها، وهي التي تقابل الهوس الثالث في الطَّقس القبطي في تسبحة نصف اللَّيل. وكذلك تحوي تسبحة السَّحَر الأرمينيَّة المزامير (١٤٨- ١٥٠) وهي معروفة في كل

الطقوس الشرقيَّة أيضاً وتقابل الهوس الرَّابع في الطَّقس القبطي، بالإضافة إلى ثلاث تسبحات أخرى من العهد الجديد، يعرف منها الطَّقس القبطي تسبحة سمعان الشيخ Nunc Dimittis في تسبحة نصف اللَّيل.

ومن الملاحظ أن المزمور الخمسين لا يتصدَّر تسبحة السَّحَر لكنه يأتي ضمن عناصرها في مراحل متأخِّرة كثيراً، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المزمور الخمسين في الطَّقس القبطي لا يتصدَّر أيضاً تسبحة نصف اللَّيل ولكنه يأتي متأخِّراً نوعاً عن المقدِّمة، حيث يأتي بعد ترتيل "قوموا يا بني النُّور لنسبِّح ربَّ القوَّات ..."، كما في الأبصلموديَّات المخطوطة وكثير من المطبوعة أيضاً والتي لدينا حتى اليوم.

وتحوي صلاة السَّحَر الأرمينيَّة أيضاً المجدلة الصُّغرى "المجد لله في الأعالي ..."، ويعقبها مباشرة Kataxioson ، كما أنها تشمل أيضاً الثلاثة تقديسات، وهي عناصر رئيسيَّة في صلاة الصَّباح في كل الطقوس الشرقيَّة، وتأتي المجدلة الصُّغرى أو تسبحة الملائكة في الطَّقس القبطي ضمن مزامير صلاة باكر، وكذلك الثلاثة تقديسات.

(ب) صلاة المساء (الغروب) Vespers

وصلاة الغروب الأرمينيَّة هي صلاة كاتدرائيَّة خالصة لا تحوي أي ترتيل للمزامير ذات خصائص ديريَّة no monastic psalmody ، أما عناصرها فهي[٤]:

- أبانا الذي في السَّموات ...
- مزمور افتتاحي: (مزمور ٥٤:١٧- ١٨) «مساء وصباح وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي، فدى نفسي بسلام ...».

4- Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 223- 225.

(مزمور ٨٥) «أملْ يارب أذنــك واســتمعني، لأني مسكين وبائس أنا ...».

- مزامير غروب ثابتة: وهي المزامير (١٣٩، ١٤٠، ١٤١).
- إيقاد السُرُج: صلاة مباركة النُور

لحن النُور Phôs hilarion ويقال في الآحاد.

صلاة شُكر على النُور

أدعية Biddings

ترتيل ذات قرار Responsory

مزمور (٢:١٤٠) مع مرد له «لتستقم صلاتي كــالبُخور قدامك، وليكن رفع يدي كذبيحة مسائيَّة».

- طلبات: طلبة Litany

ملاك سلام Petitions

صلاة قصيرة Collect

صلاة بَركة

وكما حدث في صلاة السَّحَر الأرمينيَّة، فقد أضيفت عناصر أخرى إلى صلاة الغروب هي:

- الثلاثة تقديسات Trisagion
- أدعية Biddings
- مزمور (١٢١) مع مرد له.
- أدعية Biddings
- صلاة قصيرة Collect
- مزمور التسريح (المزمور الثاني أو المزمور الثالث).
- أدعية Biddings
- صلاة التسريح Collect of dismissal
- أبانا الذي في السَّموات ...
- التَّسريح Dismissal

ويشرح العالم الليتورجي غبريال وينكلر Gabriel Winkler صــلاة

الغروب الأرمينيَّة كونها صلاة هي نتاج مزج بين تقليدين، هما التَّقليد الأرمني والتَّقليد البيزنطي. فالتَّقليد الأرمني المبكِّر لصلاة الغروب كان يحوي المزمور (٥٤)، وطقس إيقاد سراج المساء متضمِّناً صلاة ثم لحن للنور، ثم طلبة شُكر. ويعقب ذلك ترتيل ذات قرار Responsory ثم طلبات Intercessions .

ثم أضيفت على هذه البنية الأرمينيَّة الخالصة عناصر من التَّقليد البيزنطي القديم هي: المزمور (٨٥)، ثم المزمور (١٤٠)، وأضيف إليه فيما بعد المزمور (١٣٩، ١٤١).

ففي شرح للكاثوليكوس يوحنس Yohannes (حوالي سنة ٧٠٠م) ذكر أن المزمور (٨٥) قد أُدخل إلى صلاة الغروب الأرمينيَّة بواسطة الكاثوليكوس نيرسيس Nerses . وربما كان يقصد نيرسيس الثاني (حوالي سنة ٥٤٨م)، أو نيرسيس الذي كان كاثوليكوساً خلال الفترة من سنة ٦٤١م إلى سنة ٦٦١م. ولكن هذا الرأي يضعف أمام حقيقة أن صلاة الغروب في الطَّقس البيزنطي السَّابي تحوي أيضاً بالإضافة إلى المزمور (٨٥) مزامير أخرى. فلدينا المزمور (١٤٠) الذي يُرتَّل بطريقة المرد كما في ليتورجية القُدسات السَّابق تقديسها الحاليَّة، وكان هذا المزمور معروفاً في طقس هذه الخدمة في القرن السَّادس أو السَّابع الميلادي طبقاً لوثيقة تعود إلى ذلك الزمن تخبرنا عن الزِّيارة التي قام بها الأبوان يوحنا وصفرونيوس Sophronius للقديس نيلس السِّينائي المتوحِّد.

أما الآن فإن صلاة الغروب التي كانت تمارس سابقاً مساء كل يوم أصبحت تمارس الآن في مساء السُّبوت فقط في الكنيسة الأرمينيَّة. ولو أن كنائس أخرى لا زالت تحتفل يومياً بخدمتي المساء والصَّباح. أمَّا في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، فإن بعض الكنائس تحتفل بصلاتي السَّلام والرَّاحة وكذلك صلاة شروق الشَّمس.

الطَّقس السِّرياني الغربي (الأنطاكي) والطَّقس الماروني

يحتفظ التَّقليدان السِّرياني الغربي، والماروني، بسبع ساعات قانونيَّة هي: نصف الليل Nucturns، والسَّحَر Matins ، والثالثة Terce ، والسَّادسة Sext ، والتَّاسعة None ، والغروب Vespers ، والنوم Compline .

وصلاة السَّحَر التي تُسمى في هذا التَّقليد "صافرو – Safro " تحتوي على بقايا من خدمة السَّهَر الكاتدرائي. أي أن خدمة السَّحَر أو الصَّباح قد أصبحت هي الخدمة الأولى أو الأساسيَّة في بداية اليوم في الطَّقس الكاتدرائي بعد أن حوت فيها عناصر السَّهَر الكاتدرائي التي انتقلت إلى الصَّباح لتتَّصل مباشرة بعناصر صلاة السَّحَر الكاتدرائيَّة.

أما صلاة نصف اللَّيل "ليليو – Lilyo " فقد تسبَّب إحلال القطع الشعريَّة الكنسيَّة أي قطع الصَّلوات الكنسيَّة الملحَّنة Ecclesiastical poetry محل التَّرتيل المتَّصل للمزامير كنظام ديري Continuous nocturnal psalmody في بعض مشكلات طقسيَّة، حيث نشأت لدينا صلاة سَحَر مزدوجة هي نتاج إدماج صلاتي السَّحَر الدَّيريَّة والأخرى الكاتدرائيَّة كل منهما في الأخرى. ولن نتعرض لهذا الأمر الآن.

(أ) **صلاة السَّحَر** "صافرو – Safro "

الجدول التالي يبين لنا مطابقة لصلاة الصَّباح Morning office في كلا الطَّقسين الأنطاكي والماروني، مع ملاحظة أن المسميَّات السِّريانيَّة "نوهرو – nuhro "، "سوجيتو – sogito "، "بوعوتو – bo'uto "،

"كولو – qolo " هي كلها قطع كنسيَّة منظومة شعراً للترتيــل بهــا في المناسبات الكنسيَّة المختلفة. ولكن الــ "بوعوتو – bo'uto " تقال دائماً في نهاية الخدمة، وتعني أدعية supplications ، وهي مثال نموذجي لكيفيَّة توجيه الأدعية والطلبات الختاميَّة إلى الله. أما الـــ "كولــو – qolo " فيُصاحَب دائماً برفع البُخور.

الطَّقس الأنطاكي	الطَّقس الماروني
بقايا سَهَر كاتدرائي	بقايا سَهَر كاتدرائي
مزمور (٥٠)	تعظم نفسي الرب
مزمور (٦٢)	مزمور (٦٢)
مزمور (١٨)	مزمور (٩٠) في الأعياد
تسبحة إشعياء (٤٢:١٠ـ ١٣، ٤٥: ٨)	
صلاة السَّحَر الكاتدرائيَّة	
	مزمور (٥٠)
	نوهرو، للقديس أفرآم السرياني
تعظم نفسي الرب Magnificat	تسبحة الثلاثة فتية Benedicite
مزامير السَّحَر (١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١١٦)	
التطويبات Beatitudes	سوجيتو Sogito
	حوسويو [٥] Hussoyo
	مزمورو Mzmuro
	وفصول تقال في الأعياد
بوعوتو، وكولو	بوعوتو
هللولو Hullolo أي مزمور ذات مرد	
فصل من الإنجيل المقدَّس	

٥ـ الــ "حوسويو – Hussoyo " ليست أناشيد، فالكلمة تعــني "الغفــران". ولشرح أوفر انظر للمؤلف: كتاب "معجم المصطلحات الكنسيَّة".

ويلاحظ القارئ القبطي أن صلاة السَّحَر الكاتدرائيَّة في الطَّقس السِّرياني الغربي (الأنطاكي) تختتم بأواشي أي طلبات مصحوبة برفع البُخور، ويعقبها فصل من الإنجيل المقدَّس مسبوق بمزمور ذي مرد "هلليلويا" تماماً كما في الطَّقس القبطي في رفع بخور باكر.

كما يلاحظ القارئ العزيز أيضاً أنه من كل ما سبق ذكره عن صلوات السَّحَر، فإن تسبحة الثلاثة فتية تمثِّل عنصراً ثابتاً فيها، وذلك في الطقوس الأرمينيَّة والأشوريَّة والمارونيَّة قبل مزامير السَّحَر الثابتة (١٤٨-١٥٠)، والتي هي مزامير الهوس الرَّابع في الطَّقس القبطي.

أما تسبحة العذراء «تعظم نفسي الرَّب ...» فهي قاسم مشترك بين الطقوس الأرمينيَّة والأنطاكيَّة والمارونيَّة باستثناء الطَّقس الآشوري (النَّسطوري). أما المزمور الخمسون فهو عنصر مشترك أيضاً لهذه الطقوس الأربعة الأرمني والسِّرياني الشَّرقي والغربي، والماروني. في حين نجد أن المجدلة الصُّغري والتي تُعرف في الطَّقس القبطي باسم "تسبحة الملائكة" توجد في الطَّقسين الأرمني والآشوري فقط. أما فصل قراءة الإنجيل المقدَّس فوُجد حتى الآن في الطَّقسين الأرمني والسِّرياني الغربي.

(ب) صلاة الغروب في الطَّقس الأنطاكي

وهو طقس شقيق للطقس القبطي. وصلاة الغروب فيه صلاة مهيبة، ويعتني الطَّقس الأنطاكي بالإطار الخارجي للممارسة الطَّقسيَّة عناية خاصة، وهي واحدة من السِّمات التي تميِّز هذا التَّقليد السِّرياني الغربي.

أما عناصر صلاة الغروب فهي كما يلي:

- صلوات افتتاحيَّة.

- صلاة اليوم (فلكل يوم صلاة أو طلبة تختص به).
- مزمور دعائي ذو مرد، وهو يتغيَّر مع تغير المناسبات والأيام.
- مزامير كاتدرائيَّة ثابتة وهي المزامير (١٤٠، ١٤١، ١١٨:١٠٥-١١٢، ١١٦).
- عينيون enyone، أي طلبات تتكرَّر بتواتر مع الانتباه الذّهني.
- حسويو Hussoyo أي "تكفير" وهي تحوي:

مقدِّمة صلاة البُخور Proemion

صلاة البُخور Sedro

رفع البُخور.

"كولو - Qolo "، وهو لحن يُقال في أثناء رفع البُخور.

"عترو - etro، " أي طلبة من أجل قبول البُخور المرفوع.

"كولو - Qolo "، وهو لحن ثان يُقال أثناء تقديم البُخور.

- بوعوتو Bo'uto وهو دعاء ختامي.
- هللول Hullol وهو آية من المزامير مصحوبة بمرد "هلليلويا".
- فصل الإنجيل.
- كوروزوتو Korozuto وهي طلبة تستخدم عند السِّريان الكاثوليك.
- ماعنيتو Ma'nito ، وهي أداء منفرد يصاحبه مرد جماعي.
- تشمشتوا Tešmešto ، أي ترتيل المجد Δόξα ويستخدمها الروم الأرثوذكس من أصل سرياني.
- هوتومو Huttomo وهي صلوات ختاميَّة.
- التَّسريح Dismissal .

(ج) صلاة الغروب في الطَّقس الماروني "رامشو - Ramšo "

وهي تتكوَّن اليوم من:

- صلوات افتتاحيَّة.
- خدمة صلاة الغروب بحسب النظام الدَّيري، وذلك قبل ترتيل

الأبصلموديَّة. وفيما سبق كان هناك أيضاً ترتيل لمزامير مختلفة Variable monastic psalmody يعقبها مرد "هلليلويا" وذلك بعد ترتيل الأبصلموديَّة.

أما صلاة الغروب الكاتدرائيَّة فهي تحوي:

- أدعية Biddings
- المزمور الخمسون، وهو ذو مرد.
- مزامير الغروب الثابتة في الاستخدام الكاتدرائي (١٤٠، ١٤١، ١٠٥:١١٨- ١١٢، ١١٢، ١١٦).
- سوجيتو Sogito وهي قطع شعرية موزونة.
- طقس البُخور: تقديم البُخور Imposition of incense

  مقدِّمة صلاة البُخور Proemion

  صلاة البُخور Sedro

  رفع البُخور Incensation

  كولو Qulo وهو لحن يُقال أثناء رفع البُخور

  عترو etro` وهي صلاة من أجل قبول البُخور المرفوع.
- مزمور Mazmuro ويرتل بأداء فردي مع قرار تردده كل الجماعة.
- قراءات.
- هللول (هلليلويا) Hullol وهي ترتَّل بعد القراءات.
- ختام الصَّلوات وهي تشمل: بوعوتو Bo'uto وهي دعاء ختامي.

  هوتومو Huttomo أي البركة الختاميَّة.

فالجزء الأوَّل من هذه الخدمة يحوي بقايا الاجتماع المسائي الدَّيري كما كان يُمارس في السَّابق في ترتيل متَّصل للمزامير. أما صلاة المساء الكاتدرائيَّة فتُفتتح بالمزمور الخمسين كمزمور افتتاحي. والطَّقس الماروني هو الطَّقس الوحيد الذي يستخدم المزمور الخمسين لهذا الغرض في صلاة الغروب كما في صلاة السَّحَر. وإن سمة صلاة المساء الكاتدرائيَّة عند آباء الكنيسة كصلاة توبة وطلب الصَّفح والمغفرة من الله عمَّا اقترفناه من خطايا وآثام خلال النَّهار، جعلت من المزمور الخمسين مزموراً ملائماً

ومناسباً لهذه الخدمة كمزمور افتتاحي. ثم تأتي مزامير الغروب بموضوعاتها من نور، ورفع بخور، وابتهال. أما الـــ "سوجيتو ـ Sogito" أي القطع الشعريَّة التي تقال بعد مزامير الغروب فهي تلخِّص موضـــوع النُّـــور في المزمور (١١٨:١٠٥) «مصباح لرجلي كلامك ونور لسبيلي ...».

تقول الـــ "سوجيتو":

"يا إخوة، أوقدوا مصابيحكم لأن العريس قد أقبل ... في يـــوم الحُكم سيُفتح لهم (للأبرار) فردوس النُّور[٦]...".

"لتنر قلوبنا يارب، ولتثبِّت خطواتنا في طريق وصاياك. في المساء عندما يختفي النُّور لتكن أنت شمسنا فنستنير بك[٧]...".

ولقد تطوَّر طقس رفع البُخور تطوُّراً كـــبيراً في كـــلا التَّقليـــدين السِّرياني الغربي، والماروني، وهو يوصف فيهما على أنه رمـــز لصـــلواتنا المرفوعة إلى الله (مزمور ١٤٠:٢)، وأيضاً للتَّكفير عن الخطايا إقتداء بما جاء في سفر العدد «ثم قال موسى لهارون، خذ المجمرة واجعل فيها ناراً مـــن على المذبح، وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة، وكفِّر عنهم لأن السخط قد خرج من قِبَل الرَّب ...» (عـــدد ١٦:٤٦). وهـــذه السِّـــمة التَّكفيريَّة في طقس رفع البُخور هي سمة تخـــتص بـــالطَّقس السِّـــرياني الأنطاكي ومعه الطَّقس الماروني دون غيرهما من الطقوس الشرقيَّة الأخرى.

وفي النهاية فإن الـــ "بوعوتو" هي الطلبة الختاميَّة، وهي صيغة تقليديَّة تُقال في نهاية الخدمات، وهي تحـــوي ـ كمـــا في الطقـــوس الأخرى ـ طلبات من أجل احتياج الكنيسة والشَّعب وكل العالم.

---

٦ ـ وهي تقال في أيام الآحاد.

٧ ـ وهي تقال في يوم الاثنين من كل أسبوع.

ولعله من المفيد هنا أن نلقي نظرة سريعة على الاستخدام الحالي لصلوات السَّواعي الأخرى في التَّقليد السِّرياني الأنطاكي عند السِّريان الأرثوذكس وكذلك عند بعض الطوائف المختلفة الـتي تتبـع هـذا الطَّقس، مثل الروم الأرثوذكس من أصل سـرياني، والكاثوليـك في جنوب الهند، وكذلك عند الموارنة.

فعند الروم الأرثوذكس من أصل سرياني في أورشليم، تتجمَّـع خدمات السَّواعي في اجتماعين، واحد مسائي والآخر صباحي. ففي غروب كل يوم، تُصلَّى سواعي التَّاسعة والغروب والنَّوم. أما صلوات اللَّيل والسَّحَر فهي ترتَّل مع ساعات الثالثة والسَّادسة في الصَّباح الباكر.

وفي كيرالا Kerala فإن السِّريان الكاثوليـك في "الملانكـار" في جنوب الهند، لا زالوا يحتفلون بخدمة السَّواعي في الإيبارشـيَّات. أمـا السِّريان الأرثوذكس في الهند، فإن خدمة السَّواعي لديهم تُمارس علـى مرَّتين في اجتماعين، واحد في الصَّباح، والآخر في المساء. أما خدمة يوم الأحد فإن الاجتماع المسائي المختص به والذي يـتم في غـروب يـوم السَّبت تُصلى فيه سواعي التَّاسعة والغروب والنَّوم. وفي فجر يوم الأحد، تُصلى خدمة اللَّيل Lilyo يعقبـها خـدمات السَّـحَر Safro والثالثـة والسَّادسة، ثم تُقام خدمة الإفخارستيَّا[٨]. أما في الخدمات الدَّيريَّة فـإن السَّواعي تُوزَّع على مدى اليوم كله بدلاً من جمعها معاً في اجتماعين بهذا الأسلوب السَّابق ذكره.

وعند الموارنة ومنذ وقت بعيد، اختُصرت خدمة السَّواعي إلى الـــ

٨ـ هنا نلاحظ مقدار التشابه الكبير بين الطَّقسين القبطي والأنطاكي، باستثناء أن مزامير سواعي الثالثة والسَّادسة قد انتقلت في الطَّقس القبطي إلى داخل الليتورجيَّـا، وليس قبلها كما في الطَّقس الأنطاكي.

"شمتو - Shimto " أي إلى خدمة لا وجود لقراءات كتابيّة فيها، أو نصوص شعريّة تختص بالأعياد والمناسبات. وبعد مجمع الفاتيكان الثاني أُعدَّت ترجمة عربيّة للخدمة الدّيريّة المنقّحة، وبُدء في استخدامها بدءاً من سنة ١٩٧٣م في جامعة الروح القدس بلبنان(٩)، وهي تحوي طقساً مختصراً لصلاة نصف اللّيل والسَّحَر والسَّادسة والغروب والنَّوم مع قراءات يوميَّة مناسبة في كلا صلاتي السَّحَر والغروب. ولقد سمحت الرئاسة الدينيَّة بممارسة هذه الخدمة المختصرة عملياً، ولاقت نجاحاً في الحلقات الدراسيَّة Seminaries والمجتمعات الدينيَّة الأخرى.

ولازالت أديرة الموارنة تمارس خدمة السَّواعي التقليديَّة في لغتها السِّريانيَّة في مواعيدها المحدَّدة في السَّاعات السبع التالية بالتوقيت الإفرنجي، وهي: الرابعة والتاسعة صباحاً، والثانية عشر ظهراً، والثالثة والسادسة والتاسعة مساءً، ومنتصف اللّيل.

ومنذ سنة ١٩٨٢م ظهرت ثلاثة مجلّدات لخدمة السَّواعي باللغة الإنجليزية تحت اسم "صلاة المؤمن طبقاً للسَّنة الليتورجيَّة المارونية - The Prayer of the faithful according to the Maronite Liturgical Year ". تُظهر بوضوح أن خدمة السَّواعي المارونية لم تعد تعني صلوات خاصة بالإكليروس والرُّهبان، بل هي صلاة لكل فرد من أفراد الشعب الماروني.

٩ - هناك حركة تجديد ليتورجي شاملة، تجتازها هذه الكنيسة منذ سنة ١٩٧٣م، بقيادة لاهوتيين من جامعة الرّوح القدُس بلبنان، وبإشراف رهبان موارنة.

الطَّقس السِّرياني الشَّرقي (الآشوري)

لكي نفهم المراسيم الطَّقسيَّة القديمة للخدمات السِّريانيَّة الشرقيَّة (الآشورية)[١٠] ينبغي أن نتذكَّر أنه حتى القرن الرَّابع عشر كانت الكنائس النَّسطوريَّة تحتوي في بنائها على ما يُعرف باسم "البيما[١١] - Bema"، وهي مصطبة محاطة بسياج في وسط صحن الكنيسة، ويوجد على جانبها الغربي عرش الأسقف في مواجهة الشَّرق، حيث المذبح، كما توجد بها مقاعد للكهنة المحتفلين بالخدمة تحيط بعرش الأسقف. ومن ناحيتها الشرقيَّة هناك قرَّاءتان تُقرأ من عليهما الكتب المقدَّسة. وفي منتصف "البيما" يوجد مذبح صغير يوضع عليه الإنجيل والصَّليب،

١٠- ذكرتُ غير مرَّة - سواء في هذا الكتاب أو في غيره - أن الطَّقس السِّرياني الشَّرقي أي الأشوري هو نفسه الطَّقس النَّسطوري.
انظر للمؤلف: كتاب "الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الأوَّل: رؤية عامة - كنيسة المشرق الأشوريَّة"، يناير ٢٠٠٠م.
وهنا تجدر الإشارة إلى أنني قد انزلقت سهواً وعن غير قصد في خطأ ورد في السَّطر الأخير من صفحة رقم (٢٢٩) من الكتاب المذكور، حيث يلزم استبدال عبارة: "خلص الباحثون من **نفس الكنيسة الأشوريَّة** إلى القول ..." بعبارة: "خلص الباحثون من **الكاثوليك** إلى القول ...". وأعتذر للقارئ العزيز عن هذا الخطأ، وسوف يتم تصحيحه في الطَّبعة الثانية من الكتاب إن شاء الله مع الإشارة إليه في موضعه.
وعند الحديث عن هذه الكنيسة لا يعنينا الجانب الإيماني لها، حيث تبنَّت الكنيسة الأشوريَّة (أي النَّسطوريَّة) هرطقة نسطور بطريرك القسطنطينيَّة. ولكننا نستعين أحياناً بهذا الطَّقس لأنه يفيدنا من وجهة دراسة تاريخ الطقوس، لاسيَّما قبل أن تنفصل هذه الكنيسة عن الكنيسة الجامعة سنة ٤٣١م.

١١- "البيما" من الكلمة اليونانية Bῆμα والتي تعني "منصة أو مصطبة"، وهي في الاستخدام الشَّرقي عموماً تعني مكاناً مرتفعاً عن مستوى صحن الكنيسة، حيث يُغلق بحاجز هو في الغالب حامل الأيقونات Iconostasis ويحوي المذبح. ولكن في الطَّقس الأشوري تأخذ "البيما" شكلاً مغايراً نوعاً إذ توجد في منتصف صحن الكنيسة وليس في ناحيتها الشرقيَّة.
Cf. ODCC, 2nd edition, p. 153.

ويُسمى الجُلجثة Golgotha حيث يرمز هذا المذبح إليها. وهذه "البيما" وما يحيط بها من سياج تتَّصل بالهيكل بواسطة ممر ضيِّق يسمى "بيت شكاكونا – bet Šqaqona".

ولقد أمدَّنا بعض علماء اللِّيتورجيا(١٢) بوصف تفصيلي لليتورجيَّات والخدمات السِّريانيَّة الشرقيَّة، والذي عرفنا بمقتضاه الصورة الواضحة عن استخدام "البيما". إذ يتَّضح لنا من الشَّكل العام للكنيسة أن صحنها يُقسم إلى قسمين بحاجز يمتد من الشَّمال إلى الجنوب، قسمٌ للرِّجال، وآخر للنِّساء. وتعترض "البيما" هذا الحاجز حيث تقع في منتصفه. وليس هناك باب على الإطلاق في الحائط الغربي للكنيسة، وعلى ذلك فلا تعبر المواكب الكنسيَّة الاحتفالية أي باب من الجهة الغربية لتدخل الكنيسة في اتجاه منتصف صحنها وصولاً إلى الهيكل.

فالاحتفال بالإفخارستيَّا يبدأ بوجود الإكليروس فعلاً في الهيكل، والموكب الاحتفالي لا يتحرَّك من صحن الكنيسة إلى الهيكل، ولكن في الاتجاه العكسي، أي من الهيكل إلى "البيما" حيث منتصف صحن الكنيسة.

ونظراً لأن المراسيم الطَّقسيَّة التي كانت تصاحب الأناشيد الدينيَّة كانت ترتَّل في المواكب الكنسيَّة الآشورية وهي تتَّجه من الهيكل إلى "البيما"، فقد أدى غياب "البيما" بعد القرن الرَّابع عشر إلى إلغاء هذه الأناشيد، وما يصاحبها من مراسيم تناسب الخدمة الكاتدرائيَّة التي أُلفت هذه الأناشيد من أجلها.

١٢ـ أمثال غبريال كاترايا بن ليبة Gabriel Qatraia bar Lipah حوالي سنة ٦١٥م، وأبراهام بن ليبة Abraham bar Lipah في القرن السَّابع، والشارح المجهول الاسم الذي انتحل اسم جورج من أربيلا pseudo George of Arbela في القرن التاسع.

ومن الوجهة الليتورجيَّة فإن المائدة الإفخارستيَّة (المذبح) لا استخدام لها في أي نوع من الاستخدامات الليتورجيَّة أثناء ليتورجيَّة الكلمة، أو أثناء ممارسة الخدمات الطَّقسيَّة الأخرى، مثل صلوات السَّواعي. حيث أصبح استخدام المذبح والهيكل استخداماً قاصراً على رفع القرابين أو صلاة الأنافورا فقط. ولكي تسد الكنيسة النَّسطوريَّة هذه الثغرة وتعلّل الوضع الجديد الذي نشأ من إلغاء "البيما"، فقد علّلت ذلك بالقول: إن ذلك يوضح مفهوم طبيعة المذبح الليتورجيَّة فحسب.

وكانت صلاة السَّحَر والغروب أي الصَّباح والمساء في هذا التَّقليد غنيَّة في مراسيمها التي تناسب الاستخدام الشَّعبي، أو بمعنى آخر كانت مراسيم شعبيَّة يشارك فيها الشَّعب بقدر وافر من المشاركة، وهي أحد الخصائص التي كانت تميز هذا الطَّقس، ولكن مع تلاشي "البيما" فقد بطلت معظم هذه المراسيم الشعبيَّة لهذه الخدمات[١٣].

(أ) صلاة السَّحَر Matins (Sapra)

السَّحَر في اللغة السِّريانيَّة يُسمى "صابرا" وتسبحة السَّحَر تُدعى في السِّريانيَّة "تشمشتا دصابرا – Tešmešta d- Sapra ". وهي تُصلّى عند الفجر، وتحوي عناصر كاتدرائيَّة خالصة، وفيما يلي نورد الإطار العام لهذه الخدمة الذي يتغير قليلاً طبقاً للمناسبات الكنسيَّة المختلفة:

- مزامير ثابتة مع مرداثها. وهي المزامير (٩٩، ٩٠، ١٠٣:١–١٦أ، ١١٢، ٩٢).
- مزامير السَّحَر. وهي المزامير (١٤٨، ١٤٩) في الأيام العادية فقط، مع المزامير (١٥٠، ١١٦).

13- Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 229, 230.

- عونيتا دصابرا Onita d. Sapra أي أنتيفونا السَّحَر مع رفع البُخـور. وفي الأيام العادية يُقال لحن يُسمى "لاكومارا – Laku Mara " أي "لك يارب".
- "نوكرا – Nukra " وهي ألحان تُقال في الأعياد وتدور حول إشراق النُّور.
- تسبحة الثلاثة فتية في أتون النار Benedicite وهي تُقال في الأعياد، أو المزمور الخمسون Miserere [١٤] في الأيام العاديَّة.
- المجد لله في الأعالي Gloria in excelsis (في الأعياد) أو قطعـة شـعريَّة أخرى تُسمى "تشبوتا – Tešbohta " تبدأ بكلمة "المجد ...".
- الثلاثة تقديسات.
- أبانا الذي في السَّموات.
- صلاة للثالوث.
- صلاة بركة.

ففي بداية صلاة السَّحَر يكون الأسقف ومعه الإكليروس في داخل الهيكل لترتيل المزامير الأولى بمرداتها، وهي تدور غالباً حـول موضـوع النُّور. والمزمور (٩٩) هو مزمور الدخول وهو يناسب افتتاحيَّة الخدمـة «باركي الرَّب يا كل الأرض ... ادخلوا إلى حضرته بترنُّم ... ادخلـوا أبوابه بالاعتراف ...». وباقي المزامير كلها هي مزامير تسـبيح وشـكر اختير بعضها لمناسبتها للنُّور أو لإشراق الشَّمس.

فالمزمور (١٠٣:٢) «التحفت بـالنُّور كـرداء ...»، والمزمـور (١١٢:٣) «من مشارق الشَّمس إلى مغاربها، باركوا اسم الـرَّب ...».

١٤ـ الكلمة لاتينية، وهي الكلمة الأولى في المزمور الخمسـين (المزمـور ٥١ في العبريَّة) حيث تجئ عبارة "ارحمني يا الله" في اللاتينيَّة Miserere mei Deus وصارت هذه الكلمة Miserere والتي تعني "ارحم" مصطلحاً كنسياً عاماً يُعرف به مزمـور التَّوبة الشهير.

Cf. ODCC., (2nd edition), p. 921.

وفي أثناء ترتيل المزمور (١١٢) توقد جميع الأنوار ويقترب الأسقف ومعه الكهنة من أبواب الهيكل. في أثناء ترتيل الأسقف لهذا المزمور يخرج من الهيكل صحبة الإكليروس في موكب متَّجهين صوب "البيما" حيث يظلون واقفين بينما تُرتَّل مزامير السَّحَر، وتُختتم بالمزمور (١١٦) «سبحوا الرَّب يا جميع الأمم، ولتباركه كافة الشُّعوب، لأن رحمته قد قويت علينا، وحق الرَّب يدوم إلى الأبد». أما القرار أو المرد لهذا المزمور فهو: "أيها المسيح النُّور، إياك نمجد"، وهو نفس المرد الذي يُقال في الصَّلاة الختاميَّة التي تختتم ترتيل المزامير (أي الأبصلموديَّة)، حيث يكون الختام: "لك أيها المسيح، النُّور الحقيقي، بهاء مجد الآب، يا من أعلنت ذاتك وأشرقت في العالم... نرفع لك التَّسبيح والإكرام والشُّكر والسُّجود في كل حين، يارب الكل ...".

وجدير بالذِّكر أن هذا المزمور (١١٦) يُستخدم كتمجيد ختامي في ترتيل المزامير أي في ختام الأبصلموديَّة في الممارسة الكاتدرائيَّة في كثير من الطقوس الشرقيَّة، ولكنه في الطَّقس القبطي يأتي في بداية ترتيل الأبصلموديَّة وليس في نهايتها.

وكانت مزامير السَّحَر في الطَّقس الآشوري القديم تحوي مردَّات، ولكنها اقتصرت في الوقت الحاضر على أيام الصَّوم المقدَّس الكبير عدا السُّبوت والآحاد فيه.

وإن حذف المزمور (١٤٩) من تسبحة الآحاد والأعياد هي صفة لا توجد إلاَّ في هذا الطَّقس، وطبقاً لكتاب عنوانه: "تفسير الخدمات الكنسيَّة" لمؤلِّف مجهول ويعود إلى القرن التاسع الميلادي، يقول: إن المزمور (١٤٩) قد أُلغي استخدامه في الآحاد والأعياد بسبب الآية الثامنة به والتي تقول: «ليوثقوا ملوكهم بسلاسل، وأشرافهم بأغلال

من حديد ...».

وفي أثناء ترديد أنتيفونات السَّحَر، يُرفع البُخور. وتلخِّص ألحان النُّور موضوع أن المسيح هو نور العالم، مظهِرة علاقته بالفجر الأخروي الذي يشرق في مجئ المسيح الثاني Parousia .

وتقليد البركة الأخير أو صلاة الخضوع، احتفظ بها الصَّوم المقدَّس الكبير دون باقي أيام السَّنة، أما باقي الصَّلوات الختاميَّة فقد أُضيفت في أزمنة متأخِّرة.

وما يلفت النظر أن المزمور (٦٢) وهو المزمور التَّقليدي القديم في صلاة السَّحَر الكاتدرائيَّة في كافة الطقوس الشرقيَّة غير موجود في هذه الخدمة في هذا الطَّقس. وتعقيباً على ذلك يقول الأب ماتيوس Mateos إن التَّرجمة البشيطة أو البسيطة Pšitta Version لهذا المزمور لم تشر إلى "التَّبكير – orthrizo" كما وردت في ترجمته السبعينيَّة وفي الآية الأولى منه والتي تقول: «يا الله إلهي إليك أبكِّر ...». وقد جاءت التَّرجمة البشيطة للآية السَّادسة من نفس المزمور تحمل معني "في الليالي" بدلاً من "في الأسحار" كما وردت في الترجمة السبعينيَّة[١٥].

كما أن المزمور (٩٠) وهو المزمور التَّقليدي في صلاة النَّوم أو في السَّاعة السَّادسة في بعض التَّقاليد الأخرى، يوجد في صلاة السَّحَر في التَّقليد السِّرياني الشَّرقي (الآشوري)، وهي خاصيَّة لا توجد في غير هذا

١٥ـ في الترجمة القبطيَّة للمزامير وهي الترجمة الموافقة للتَّرجمة السبعينيَّة إلى حد كبير، جاءت فيها الآية السَّادسة «في أوقات الأسحار كنت أرتل لك ...»، ولكننا نجدها في النَّص العبري «في السُهد ألهج بك ...»، والسُهد هو الأرق وعدم النَّوم، ومن هنا كان الاختلاف بين التَّرجمة السبعينيَّة التي تبنتها معظم الكنائس الشرقيَّة، وبين الترجمة السِّريانيَّة التي تبنتها الكنيسة الأشوريَّة.

الطَّقس فقط.

(ب) صلاة الغروب Vespers (Ramša)

يُدعى الغروب في اللغة السِّريانيَّة "رامشا". وصلاة الغروب الأشوريَّة هي خدمة كاتدرائيَّة خالصة إذا غضضنا الطرف عن بقايا عناصر صلاة السَّاعة التَّاسعة التي تأتي في بداية هذه الخدمة.

وهذه العناصر هي:

- مارميتا، أي ترتيل مزامير، وهي بقايا السَّاعة التَّاسعة.
- عونيتا، أي أنتيفونا، وتكون مصحوبة برفع البُخور.
- لحن لاكومارا، والصَّلاة القصيرة التي تعقبه Collect
- مزمور ذو مرد "هلليلويا" قبل ترتيل مزامير الغروب، وهو يُسمى في السِّريانيَّة Šurraya da_ qdam
- عونيتا، أي أنتيفونا، وهي تُرتل قبل ترتيل مزامير الغروب، وتُسمى في السِّريانيَّة 'onita da_qdam
- مزامير صلاة الغروب الكاتدرائيَّة الثابتة وهي مزامير (١٤٠، ١٤١، ١١٨:١٠٥ـ ١٢، ١١٦).
- مزامير ذات مرد "هلليلويا" بعد ترتيل مزامير الغروب، وتُسمى في السِّريانيَّة Šurraya d_ batar
- عونيتا، وهي أنتيفونا تُرتل بعد ترتيل مزامير الغروب. وهي تُدعى 'onita d_ batar
- طلبات Intercession وهي تبدأ بطَلبة "ملاك سلام ..."، وتُسمى في السِّريانيَّة Karozuta
- الثلاثة تقديسات Trisagion ، ويعقبها صلاة قصيرة Collect
- صلاة بَرَكة.

أما في الأعياد السيديَّة وتذكارات الكنيسة والتي تُعرف في السِّريانيَّة

باسم ''سوياك – Suyyak '' فتقال المزامير (٩٣– ٩٨)، ثم عونيتا 'onita d_ basiliqe . وهي أنتيفونات تُقال في الموكب الاحتفالي، ثم مزمور ذات مرد ''هلليلويا''. ثم الصَّلاة الربيَّة، ثم صلوات ختاميَّة.

وفي الأيام العادية، يُحذف من صلاة الغروب ''عونيتا'' التي تُرتَّل قبل المزامير 'onita da_qdam و''عونيتا'' التي تُرتل بعد المزامير 'onita d_ batar حيث تُختم كالآتي:

- الثلاثة تقديسات وصلاة قصيرة Collect
- عونيتا الغروب 'onita d_ ramša
- شورايا Šurraya ، وهو مزمور ذات مرد ''هلليلويا''.
- موكب احتفالي تُرتل فيه عونيتا الشهداء 'onita d_ Sahde
- سبّاعا Subba'a
- صلوات ختاميَّة.

ولقد كانت بداية صلاة الغروب في القديم تشبه الجزء الأول من ليتورجيَّة الكلمة. أما الآن فإن خدمة الغروب تُفتتح بـ ''مرمياتا'' واحدة أو اثنتين. والمرمياتا تحوي نظرياً ثلاثة مزامير، وهي بقايا صلاة السَّاعة التَّاسعة. لذلك فإن البداية الحقيقيَّة والفعليَّة لصلاة الغروب الكاتدرائيَّة – مثل القدَّاس وصلاة السَّحَر – تكون برفع ستار الهيكل حيث تُرتل ''عونيتا البُخور'' وهي أنتيفونات تقول كلماتها:

> ''كشذا أطياب غالية، وكأريج رائحة البُخور العطرة
> اقبل إليك يارب دعاء وصلاة عبيدك''.

وهي بمثابة تلخيص لقول المزمور (٢:١٤٠) «لتصعد صلاتي كالبُخور قدامك، وليكن رفع يديّ كذبيحة مسائيَّة». وهذه الأنتيفونات تتكرَّر مراراً حيث توضع بين آيات المزمور (٨٣) «(ما أحلى) مساكنك

يارب إله القوَّات، تشتاق وتتوق نفسي إلى ديار الرَّب[١٦]...». وتظل هذه العونيتا تكرَّر حتى يصل الموكب إلى "البيما" فيجلس الأسقف على عرشه.

وفي زمن غبريال كاترايا بن ليبة Gabriel Qatraya bar Lipah (حوالي سنة ٦١٥م) كان هذا المزمور مع العونيتا المصاحبة له يُتبع مباشرة بإيقاد سراج المساء المعلَّق أمام باب الهيكل بشعلة تُحضر من السِّراج الـذي لا ينطفئ أبداً في داخل الهيكل، كما ذكرت السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا (٤:٢٤)، حيث تُصلى صلاة للمسيح نور العالم، يعقبها رفع البُخور، ويُقال لحن Laku Mara أي "لك يارب ..."، ويعقبه صلاة قصيرة Collect . وعونيتا البُخور التي سبق ذكرها يكشف عن واحدة من أجمل السِّمات التي يتحلى بها الطَّقس السِّرياني الشَّرقي.

والمزمور (١٤٠) هو المزمور التَّقليدي لصلاة الغروب، أما المزمور (١٤١) والذي يبدأ بنفس طريقة المزمور (١٤٠) هو أيضاً يتبع المزمور (١٤٠) في صلاة الغروب البيزنطيَّة حسب طقس القدِّيس سابا Byzantine Sabaitic . وكما تخبرنا السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا، فإن مزامير متعدِّدة في صلاة الغروب كانت هي العادة التي تمارسها المدينة المقدَّسة أورشليم في صلاة المساء. ولقد أشارت إيجيريا (٤:٢٤) إلى أكثر من مزمور بينما نجد مزموراً كاتدرائياً واحداً في صلاة الغروب الأنطاكية المبكِّرة.

أما المزمور (١١٨:١٠٥ـ ١١٢) فقد اختير خصيصاً لأجل الآية (١٠٥) «مصباح لرجلي كلامك، ونور لسبيلي»، كما اختير أيضاً

١٦ـ يقول المزمور في بعض كلماته طبقاً للتَّرجمة البسيطة التي يستخدمها الطَّقس السِّرياني الشَّرقي: «ما أحلى مساكنك يارب إله القوات، تشتاق وتتوق نفسي إلى ديار الرَّب ... طوبى للساكنين في بيتك، يسبحونك إلى الأبد ... يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف ...»، وهي أقرب إلى النص العبري منه إلى النص السبعيني أو اليوناني.

لمناسبته في توضيح الموضوعين التَّقليدين في صلاة المساء الكاتدرائيَّة وهما: النُّور، والتَّوبة مع غفران الخطايا.

كل هذا يُمارس عند البيما، ثم يُسدل ستر الهيكل معلناً نهاية خدمة "الرامشا" أي صلاة الغروب. أما الخدمة التي تعقب ذلك والتي تشبه تلك التي تمارس بعد صلاة الخضوع، والتي هي صلاة البركة الأخيرة في صلاة الغروب البيزنطيَّة في أيام الأعياد والمناسبات الكنسيَّة، فتكون فقط في أيام السُّبوت، ولا تمثل جزءاً متمِّماً أو مكملاً لصلاة الغروب، ولكنها خدمة مستقلة عنها.

أما المقارنة بين ترتيب صلاة الغروب "رامشا"، وبداية ليتورجيَّة الكلمة في القدَّاس، فتتلخَّص في أن كلا الخدمتين تبدآن بترتيل للمزامير "مارميتا"، يُفتح بعدهما ستر الهيكل ليتحرَّك في كلتيهما موكب يكون بمصاحبة شمعة واحدة في رفع البُخور، وبمصاحبة شمعتين في ليتورجيَّة الكلمة مع رفع البُخور وحمل الصَّليب. ويقال في كلتيهما لحن "لاكومارا – لك يارب"، وتُختتم كلا الخدمتين بصلاة قصيرة. بالإضافة إلى متشابهات أخرى دقيقة في كلا الخدمتين.

وفي جنوب الهند حيث الطَّقس المالاباري، لا زالت إيبارشيَّة كانجيرابيللي Kanjirapilly هي الوحيدة التي تمارس صلاة السَّحَر Sapra بمشاركة الشَّعب قبل أن يبدأ القدَّاس الإلهي، في حين توقَّفت تقريباً هذه الخدمة الكاتدرائيَّة اليوميَّة في باقي الإيبارشيَّات.

الطَّقس البيزنطي(١)

من الوثيقة التي تحكي قصة زيارة الأبوين يوحنا موسخوس وصفرونيوس(٢) للأب نيلُس السِّينائي المتوحِّد في غضون القرن السَّادس الميلادي وأوائل السَّابع، نستطيع أن نتعرَّف على عناصر صلاة السَّحَر الكاتدارئيَّة التي أُلحقت على صلاة نصف اللّيل. أما عناصر صلاة السَّحَر في هذه الوثيقة فهي:

- المزامير (١٤٨- ١٥٠).
- المجدلة الصغرى "المجد لله في الأعالي ... - Gloria in excelsis "
- قانون الإيمان.
- أبانا الذي في السَّموات.
- كيرياليسون (٣٠٠ مرَّة).

1- Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 273ff.

٢- صفرونيوس (٥٥٠- ٦٣٨م) هو بطريرك أورشليم الشَّهير للرُّوم الأرثوذكس، والذي وقَّع معاهدة تسليم القدس للخليفة عمر بن الخطاب. وُلد في دمشق وصار أستاذاً للمنطق، وترهَّب في دير بجوار الإسكندريَّة ثم انتقل إلى دير القدِّيس ثيؤدوسيوس في القدس، وهناك تعرف على يوحنا موسخوس الرَّاهب السِّينائي صاحب كتاب "المروج الروحيَّة"، ورافقه في جولته لزيارة الأديرة في فلسطين ومصر للتعرُّف على أشهر رهبانها. وفي الإسكندرية اشترك كلاهما في الجدال بين الملكيين والأقباط. وفي بدء الاحتلال الفارسي للإسكندرية سنة ٦١٧م التجأ كلاهما إلى أفريقيا حيث التقيا للمرَّة الأولى بمكسيموس المعترف (٥٨٠- ٦٤٧م) الذي عمل قبل ترهُّبه أميناً لسر الملك هرقل، وسافرا معه من هناك إلى روما. وفي روما ألَّف يوحنا موسخوس كتابه المعروف بالمروج الروحيَّة، ولكنه ما لبث أن توفى سنة ٦١٩م. فحمل صفرونيوس جثمان صديقه إلى بيت لحم، حيث واراه الثرى.

وعلى الرغم من أنه كان في الثمانين من عمره، فقد ذهب إلى الإسكندرية لإقناع المقوقس البطريرك الملكاني بعدوله عن مشروعه الذي كان يبغي من ورائه إجبار الأقباط على قبول قرارات مجمع خلقيدونية.

- صلاة ختاميَّة.

أما صلاة الغروب في نفس هذه الوثيقة فقد حوت العناصر التالية:

- المجد للآب ... Gloria patri
- المزمور الأوَّل.
- المزمور (١٤٠)، بدون طروباريَّة[٣].
- "يا نوراً بهياً ... Phos hilarion "
- "أهِّلنا يارب ... Kataxioson "
- تسبحة سمعان الشيخ Nunc Dimittis

وهذه العناصر هي نفس عناصر صلاة الغروب البيزنطيَّة مع إضافات أخرى كما سنوضِّح فيما بعد. وهذه الإضافات الأخرى تتركز أساساً في الطروباريَّات والمزامير ذات المرد ثم الصَّلوات والطلبات من كتاب الإفخولوجيون، وفي النهاية في الموكب الاحتفالي الذي يقام حالياً بعد البركة الأخيرة في صلاة الغروب.

وتتحدَّث هذه الوثيقة السَّابق ذكرها أيضاً عن الحوار الذي دار بين القدِّيس نيلُس السِّينائي وضيفيه يوحنا وصفرونيوس، وهو الحوار الذي أعقب شرح القدِّيس نيلُس السِّينائي للخدمات الكنسيَّة كما يمارسها نسَّاك فلسطين. ولقد أظهر الأبوان يوحنا وصفرونيوس اندهاشهما لغياب بعض العناصر الليتورجيَّة من صلاة السَّحَر كما شاهداها في أديرة فلسطين. وبالمثل كذلك عناصر أخرى غائبة في صلاة الغروب.

ففي صلاة السَّحَر لم تكن توجد الطروباريَّات والمجدلة الصُّغرى، بالإضافة إلى المردَّات Refrains والتَّسبحات الكتابيَّة، وكذلك المرد الشائع

٣- الطروباريَّة هي مؤلفات كنسيَّة موزونة شعراً، وهي تمثل حجر الزاوية في الصَّلوات البيزنطيَّة.

«كل نسمة فلتسبح اسم الرَّب» (مزمور ١٥٠:٦)، والذي يُرتَّل قبل قراءة فصل الإنجيل المقدَّس. ويغيب أيضاً في صلاة الغروب لحن المساء "يا نوراً بهياً ..."، بالإضافة إلى الطروباريَّة التي تعقب المزمور (١٤٠)، وكــذلك مرد المزمور (١٤٠:٢).

فمن هذا الحوار نستطيع أن نعرف أن كل هذه العناصر كانت جزءاً من الخدمة اليَّوميَّة في ذلك الوقت المبكِّر في كل مــن صــلاتي السَّــحَر والغروب البيزنطيتين. أما القدِّيس نيلُس فقد كان على صواب عنــدما ذكر أن هذه العناصر التي ذكراها هي اســتحداث innovation لم يكــن موجوداً من قبل في صلوات السَّواعي في أديرة فلسطين.

وعن صلوات السَّواعي في أديرة فلسطين في ذلك الوقت لدينا ـ إلى جانب ما ذكره الأب نيلُس السِّينائي ـ ثلاثة مخطوطات أخرى تعود إلى القرن التاسع الميلادي.

المخطوط الأوَّل: هو المخطوط اليوناني السِّينائي رقم (٨٦٣) والذي نشره الأب ماتيوس J. Mateos .

المخطوط الثاني: هو المخطوط اليوناني السِّــينائي رقــم (٨٦٤) ولم ينشر بعد.

المخطوط الثالث: هو كتاب صلوات السَّواعي السِّــريانيَّة، وهــو المخطوط الذي نشره بلاك M. Black من برلين(٤).

أما هؤلاء المحافظون على التَّقليد القديم مثل الأب نيلُس السِّــينائي، فلم يكونوا قادرين أن يمنعوا دخول الطروباريَّات حــتى إلى الخــدمات

4- *A Christian Palestinian Syriac Horologion* (Berlin Ms. Or. Oct. 1019), Texts and Studies, New Series 1, Cambridge, 1967.

الدَّيريَّة، وذلك في المرحلة التالية لتطوُّرها، لأنه كان دخولاً ملّحاً عنيداً. ويؤكد هذه الحقيقة أن عناصر صلاتي الغروب والسَّحَر في المخطوطات التي تقع في الفترة ما بين القرن الخامس والقرن الثامن الميلادي - وهي كتب قراءات جيورجيَّة من أورشليم - تحوي نصوص تراتيل عديدة لأشعار موزونة لا نظير لها في كتب القراءات الأرمينيَّة، برغم أن هذه الأخيرة من أورشليم أيضاً وتعود إلى أوائل القرن الخامس الميلادي. ولقد درس العالم الليتورجي هيلموت ليب Helmot Leeb هذا الموضوع بتفصيل، موضّحاً علاقته بتاريخ الخدمة الإلهيَّة البيزنطيَّة، ومبيِّناً كيف أُدخلت الطروباريَّات في الاستخدام الدَّيري الفلسطيني، ثم في النهاية في كل الكنائس البيزنطيَّة(٥).

وبعد الغزو الفارسي الذي حطَّم المدينة المقدَّسة سنة ٦١٤م، تمسَّك رهبان دير القدِّيس سابا(٦) St. Sabas (٤٣٩- ٥٣٢م) بما تبقى من طقس مدينة أورشليم، محافظين على الحياة الرَّهبانيَّة بعد الدَّمار الذي أحدثه الفرس في كل مناحي الحياة الكنسيَّة. وكما يحدث غالباً بعد حقبة تدمير عنيفة، أنه يعقبها فترة تأليف وإبداع أدبي. ففي هذه الفترة أُدخلت على الخدمة البيزنطيَّة الدَّيريَّة القديمة خدمة ديريَّة جديدة، فأضيفت طروباريَّات كنسية جديدة على ما تبقى من الخدمة الدَّيريَّة التي كان قد وضعها القدِّيس نيلُس السِّينائي، فنشأ ما صار يُعرف باسم "الطَّقس

5- Robert Taft, S.J., *op. cit.*, p. 275, 276.

٦- أمضى القدِّيس سابا جانباً كبيراً من حياته، متوحِّداً في أماكن كثيرة في الشَّرق، ثم أسَّس ديراً كبيراً سنة ٤٧٨م، في جنوب شرق أورشليم، ويقع الدَّير بين أورشليم والبحر الميت. وبعد إلحاح قبل الرِّسامة الكهنوتية سنة ٤٩٠م، وفي سنة ٤٩٢م، نصبه بطريرك أورشليم رئيساً للمتوحِّدين (أرشيمندريت) في كل فلسطين. وهو مدافع قوي عن العقيدة البيزنطيَّة، وتعيد له هذه الكنيسة في ٥ ديسمبر من كل عام.

Cf. ODCC., (2nd edition), p. 1216.

البيزنطي السَّابي" نسبة إلى دير القدِّيس سابا ورهبانه الذين أعادوا صياغة الليتورجيَّة البيزنطيَّة، والتي كان منبتها الأصلي في فلسطين.

ثم تبنت أديرة القسطنطينيَّة هذه الخدمة الدَّيريَّة الجديدة فيما بعد، وذلك في زمن النَّهضة الذي أعقب أوَّل موجة من موجات محاربي الأيقونات (٧٢٦- ٧٧٥م)، حينما نشأ أو تكوَّن نظام ديري جديد تحت قيادة مجدِّد الرَّهبنة البيزنطيَّة القدِّيس ثيؤدور الإستوديتي (٧٥٩- ٨٢٦م). حيث تبنى العناصر الأساسيَّة للصَّلوات والطلبات الفلسطينيَّة الأصل والتي انتقلت إلى مدينة القسطنطينيَّة في خدمتي الغروب والسَّحَر كما وجدها في الإفخولوجيون الخاص بالعاصمة القسطنطينيَّة. ومن ثمَّ فقد أضاف إليها تآليف جديدة لطروباريَّات عديدة انتشرت في أديرته التي كان يرأسها، بعد أن أعطى لها مكاناً رحباً في الليتورجيَّة البيزنطيَّة لتنضم جنباً إلى جنب مع العناصر التي تبناها من الخدمات الدَّيريَّة في أديرة فلسطين.

ومن هذه الطروباريَّات Ecclesiastical Poetry ظهر في الكنيسة البيزنطيَّة ما أصبح يستخدم منها في الآحاد والصَّوم المقدَّس الكبير والخمسين المقدَّسة، حوتها الكتب الآتية على التَّرتيب: أوكتيكوس Oktoichos ، والتِّريودي Triodion ، والبنديكستاري Pentekostarion .

وكان أول نظام ليتورجي "تيبيكا - Typica " وضعه ثيؤدور الإستوديتي ليحكم استخدام هذه الطروباريَّات كان في القرن التاسع أو العاشر للميلاد.

ولقد انتشرت هذه الخدمة - التي هي مزيج من الاستخدامين الدَّيري والكاتدرائي - في الأديرة البيزنطيَّة في جبل آثوس وكذلك في جيورجيا، وروسيا، وجنوب إيطاليا. أما في فلسطين فقد كان رهبان دير القدِّيس سابا أكثر التزاماً بالطَّقس القديم، وسُمي نظامهم الجديد باسم

''طقس القدِّيس سابا''، أو ''طقس أورشليم''، والذي يعد بمثابة الجد الأكبر أو الأقدم لليتورجيًا البيزنطيَّة الحالية. ولدينا شواهد عن طقس القدِّيس سابا تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي، حيث يمكننا تتبُّع استخدامه الفعلي في مدينة القسطنطينيَّة حتى إلى حوالي قرن من الزَّمان بعد هذا التاريخ أي حتى القرن الثالث عشر.

ولقد وصل هذا الطَّقس السَّابي إلى جبل آثوس وكذلك إلى بلاد روسيا في نهاية القرن الرَّابع عشر للميلاد، وهو الطَّقس الذي قنَّنه ونسَّق تعليماته فيلوثيؤس كوكينوس(٧) Philotheus Kokkinos معقِّباً في الحواشي على كافة المراسيم الدينيَّة في الكنيسة البيزنطيَّة. وما زال هذا الطَّقس سارياً بقوَّة حتى اليوم.

وبعد فترة من الوقت أعقبت سقوط القسطنطينيَّة تحت سطوة اللاَّتين سنة ١٢٠٤م، حلَّت الخدمة الدَّيريَّة محل الخدمة الكاتدرائيَّة حتى في الكنائس العلمانيَّة في العاصمة القسطنطينيَّة، وهذه التركيبة الدَّيريَّة التي نشأت من امتزاج الاستخدامين الدَّيري الفلسطيني والدَّيري القسطنطيني مع إفخولوجيون القسطنطينيَّة هو ما صار يُعرف اليوم باسم ''الخدمة البيزنطيَّة''. وهكذا أصبحت بنية خدمة صلاة الغروب، وكذلك صلاة السَّحَر في هذا الطَّقس بنية مركَّبة ومتشابكة.

فتحوي صلاة الغروب في هذا الطَّقس - إلى جانب عناصرها الكثيرة- طقساً لإيقاد سراج المساء كما كان يُمارس في كاتدرائيَّة المدينة المقدَّسة أورشليم، بالإضافة إلى صلوات وطلبات من كاتدرائيَّة

٧- هو إيغومانس الدير الكبير من أديرة جبل آثوس، قبل أن يصبح أسقفاً على هيراقليا سنة ١٣٤٧م، ثم بطريركاً للقسطنطينية مرتين الأولى من سنة ١٣٥٣م، إلى سنة ١٣٥٤م، والثانية من سنة ١٣٦٤م، إلى سنة ١٣٧٦م.

القسطنطينيَّة، وأضيف عليهما أيضاً ترتيل متَّصل للمزامير كما في الاجتماع الدَّيري[٨] A monastic Synaxis . أما الصَّلوات الرئيسيَّة والمجموعة الآن في بداية كل من صلاتي الغروب والسَّحَر، فقد كانت موزَّعة على مدى هاتين الخدمتين، بالإضافة إلى مجموعات الذكصولوجيَّات Dangling Doxologies أو ما يُسمى Ekphonesies والتي تنتشر على مدى هاتين الخدمتين أيضاً.

أما صلاة السَّحَر[٩] Orthros في شكلها الحالي فهي مزيج من أربع خدمات متميِّزة:

الخدمة الأولى: تُسمى "الخدمة الملكيَّة- Royal Office " وهي خدمة مختصرة يحتفل بها الملك، ويبدو أنه كان يحتفل بها في مؤسَّسات ديريَّة ملكيَّة، وهي خدمة مستقلَّة وغريبة عن بنية صلاة السَّحَر Matins ، إلاَّ أن الرُّهبان البيزنطيين كانوا مولعين بالإضافة، ونادراً ما كانوا يحذفون عناصر من خدماتهم، فأصبحت هذه الخدمة مع توالي الزَّمن خدمة ملحقة على مقدِّمة صلاة السَّحَر البيزنطيَّة على الرغم من أنها قد حُذفت من الخدمة التي تمارسها كنائس المدن أو كنائس الإيبارشيَّات.

الخدمة الثانية: أي الخدمة الثانية التي تكوِّن صلاة السَّحَر هي صلاة نصف اللَّيل Nocturns الدَّيريَّة التي تُرتَّل فيها المزامير ترتيلاً متَّصلاً.

الخدمة الثالثة: هي السَّهَر الكاتدرائي Cathedral Vigil وهي من النَّوع الذي وصفته السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا، وكذلك كتاب المراسيم الرسوليَّة.

الخدمة الرَّابعة: هي تسبحة الصَّباح الكاتدارئيَّة Cathedral Morning

---

8- J. Mateos, *La Synaxe Monastique des Vêpres Byzantines*, dans Orien. Chr. Per.(OCP), 36, 1970, p. 248- 272..

9- J. Mateos, *Quelques Problèmes de L'Orthros Byzantin*, dans Orien. Chr. Per.(OCP), 11, 1961, p. 201- 220, 17- 35.

Praise ، والتي تبدأ بالمزمور الخمسين، وتحوي بالضَّرورة مع مزامير صلاة السَّحَر، طلبات وصلاة بركة وتسريح.

ولكن بين المزمور الافتتاحي (المزمور الخمسون) ومزامير السَّحَر Lauds فهناك تسع تسبحات كتابيَّة Odes ، تُسمىً "القانون ـ Canons " وهذه التَّسبحات تمثّل حالياً الجزء الأساسي من هذه الخدمة. أما في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير وفترة أسبوع الآلام، فيحتفظ الطَّقس البيزنطي في هاتين المناسبتين بثلاث تسبحات فقط، وهي التَّسبحات الأكثر قدماً من غيرها، طبقاً لقانون العالم اللّيتورجي بومشتارك Baumstark الذي يقول: إن الأوقات الليتورجيَّة الأكثر تقديساً، هي التي تحتفظ دائماً بالشَّكل الليتورجي الأكثر قدماً[١٠].

وفي أوقات أخرى احتُفظ بتسبحة العذراء فقط Magnificat . أما عادة ممارسة التسع تسبحات مجتمعة يومياً، فهي تختص بالأديرة فقط عند إقامة السَّهَر اللّيلي الذي يمتد طوال اللّيل. وصار من المعتاد اليوم أن توزَّع هذه التَّسبحات التسع على مدى الأسبوع، ليقال اثنتان منها كل يوم، واحدة ثابتة دوماً وهي التَّسبحة التاسعة أي تسبحة العذراء، ومعها تسبحة زكريا الكاهن Benedictus والأخرى متغيِّرة. أما يوم الأحد فله ثلاث تسبحات، وذلك طبقاً للتَّرتيب التالي:

الأحد (١، ٨، ٩)، الاثنين (٢، ٩)، الثلاثاء (٣، ٩)، الأربعاء (٤، ٩)، الخميس (٥، ٩)، الجمعة (٦، ٩)، السبت (٧، ٩)[١١].

10- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, *op. cit.*, p. 27ff

١١- جدير بالذكر أن رهبان الإسقيط الجديد، وهو دير في كمبردج بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية قد أسسوا خدمة بيزنطية جديدة في سنة ١٩٧٦م، لتصحيح بعض التناقض الذي ارتأوه في الخدمة البيزنطيَّة الحالية لصلوات السواعي.

(أ) صلاة السَّحَر الكاتدارئيَّة

أما عن عناصر صلاة الصَّباح (أو السَّحَر) التي تمثّل القسم الرَّابع والأخير من صلاة نصف اللّيل البيزنطيَّة[١٢]، فهي:

- دعاء افتتاحي Invitatory .
- المزمور الخمسون.
- طروباريَّة.
- طلبات.
- القانون (١ – ٣).
- السِّينابت الصَّغير.
- كونتاكيون Kontakion ، وهو يُقرأ بعد السِّنكسار في الأيام.
- القانون (٧– ٩).
- تقديم البُخور.
- السِّينابت الصَّغير.
- اكسلابستلاري Exaposteilarion . وفي الأحاد يُقال معها: "مبـــارك الرَّب إلهنا ...".
- فوطاغوجيكا Photogogikon ، وهي ترتَّل في الصَّوم المقدَّس الكبير.
- المزامير (١٤٨– ١٥٠)، مع استيخونات تتخلّلها في الأعياد.
- المجد لك يا مظهر النُّور.
- المجدلة الصُّغرى "المجد لله في الأعالي ...".
- أهِّلنا يارب أن نُحفظ في هذا اليوم بغير خطيَّة ... Kataxioson .

Cf. Robert Taft, *The Byzantine Office in the Prayer Book of the New Skete*, in Orien. Chr. Per.(OCP), 48, 1982, p. 336- 370.

١٢– سبق أن ذكرتُ أن هذه الأقسام الأربعة هي: الخدمة الملكيَّة، وصلاة نصف اللّيل الدَّيريَّة، والسَّهر الكاتدرائي، وصلاة الصَّباح. وعن الثلاثة عناصر الأولى يلـــزم الرجوع إلى كتاب "تسبحة نصف اللّيل"، وذلك ضمن السلسة الثالثة مـــن هــذه الدراسات، وهي سلسلة "طقوس أسرار وصلوات الكنيسة".

بعد ذلك يختلف ترتيب عناصر الصَّلاة في الأعياد عنها في الأيام العادية، والجدول التالي يوضِّح ذلك التباين.

في الأعياد	في الأيام
الثلاثة تقديسات	
طروباريَّة	
صلاة بلجاجة Ektene	
سينابت	
صلاة خضوع	
تسريح Apolysis	
	Aposticha
	الثلاثة تقديسات
	أيها الثالوث القدُّوس
	أبانا الذي
	طروباريَّة
	ثيؤطوكيون
	صلاة بلجاجة Ektene
	تسريح Apolysis

أما الاستخدام الحالي في الاحتفال بخدمتي الصَّباح والمساء، فلا يزال جزءًا أساسياً في العبادة في كنائس الإيبارشيَّات على الأقل، وذلك في نهاية الأسبوع، وأيام الأعياد، في كثير من الكنائس.

ويتبع صلاة السَّحَر مباشرة الاحتفال بإقامة الإفخارستيَّا، والتي لا يُحتفل بها كل أيام الأسبوع. في حين أن صلاة السَّحَر هي خدمة يوميَّة تُقام في حوالي السَّابعة صباحاً. أما صلاة الغروب أو المساء، فهي تُقام في السَّادسة مساءً حتى في أصغر القرى. وأما عن السَّهَر اللَّيلي الذي تعرفه الأديرة فلم يعد له وجود في كنائس المدن، حيث أصبح هذا السَّهَر Vigil

يقسَّم إلى صلاة الغروب في مساء السَّبت، والباقي منه يكون قبل القدَّاس في صباح الأحد، وهو صلاة السَّحَر.

(ب) صلاة الغروب الكاتدرائيَّة

فيما يلي عناصر صلاة الغروب الكاتدرائيَّة البيزنطيَّة:

- طقس إيقاد المصابيح Lucernarium .
- مزامير الغروب (١٤٠، ١٤١، ١٢٩، ١١٦).
- رفع البُخور.
- نشيد ديني.

وأما عناصر صلاة الغروب الكبرى Great Vespers فهي:

- الدُّخول بالمبخرة.
- صلاة.
- لحن النُّور "يا نوراً بهياً ...".
- بروكيمينن[١٣] Prokeimenon .

وفي سهر بعض الأعياد تُقال ثلاث قراءات من العهد القديم أو من الرَّسائل. وفي أيام الصَّوم المقدَّس الكبير (عدا السُّبوت والآحاد) تُقال قراءتان من العهد القديم مع بروكيمينن. يسبق كل منها.

- صلاة بلجاجة[١٤] Ektene .

١٣- انظر للمؤلِّف: كتاب "معجم المصطلحات الكنسيَّة"، ضمن سلسلة "مقدِّمات في طقوس الكنيسة".

١٤- الكلمة الإنجليزية Ektene هي ترجمة حرفية للكلمة اليونانية ἐκτένεια أي "صلاة بلجاجة"، وفي ذلك انظر (أعمال ١٢:٥)، وهي طلبات توسليَّة تستخدم في الليتورجيَّا وباقي الخدمات الكنسيَّة، ويتخللها طلبات قصيرة يقولها الشمَّاس يجيب عليها الشَّعب "يارب ارحم".

- ''أهِّلنا يارب ...'' Kataxioson .
- السِّينابت الكبير(١٥) Great Synapt .
- السَّلام للجميع.
- صلاة خضوع.
- Aposticha .
- طلبة تضرعيَّة (في سهر بعض الأعياد).
- تسبحة سمعان الشيخ Nunc Dimittis .
- صلوات ختامية وطروباريَّة.
- التَّسريح Dismissal .

ولازال طقس صلاة الغروب في روسيا طقساً جميلاً مبدعاً، حيث يُفتتح بغمر من النُّور والبُخور. فتُفتح أبواب الهيكل الذي يتألَّق بنور لامع قبل أن يخيِّم الظَّلام على الكنيسة، فيعلن المحتفل بلحن وقور: ''المجد للثالوث القدُّوس المساوي، المحيي، غير المنقسم، الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور''.

فالخدمة البيزنطيَّة تبدأ دائماً بتقديم المجد والبركة للثالوث القدُّوس، وهي غاية كل عبادة. ومن ثمَّ يدعو الشمَّاس والقس كل الحاضرين للصَّلاة بترديد آيات من المزمور (٩٤:٦):

''هلمَّ نسجد لإلهنا وملكنا.
هلمَّ نسجد للمسيح ملكنا.
هلمَّ نسجد ونركع أمام الرَّب يسوع المسيح إلهنا وملكنا.

١٥- السِّينابت Synapt من الكلمة اليونانية συναπτή (سينابتي) والتي تعني ''مرتبط معاً''، وهي صلوات في الكنيسة البيزنطيَّة على شكل طلبات تُصلى في الليتورجيَّة، وفي الخدمات الكنسيَّة الأخرى، وتتكوَّن من مفردات قصيرة يقولها الشمَّاس ويجيب عليها الخوروس أو الشَّعب بالمرد ''كيرياليسون - يارب ارحم''، وفي نهايتها صلاة ختامية يقولها الكاهن (Cf. ODCC., (2nd edition), p. 1331).

نعم فلنعبده وننحني أمامه".

بعد ذلك يضيء الشمَّاس الطّريق بشمعة كبيرة ترمز للمسيح له المجد الذي أنار سبلنا، حيث يسير رئيس الاحتفال على هديها ماراً بكل الكنيسة بينما يرفع البُخور بالمبخرة التي في يده، في حين يرتِّل الخوروس مزمور المساء الاحتفالي، وهو المزمور (١٠٣) وهو مزمور الخلق، والذي يعد من أقدم المزامير: «باركي يا نفسي الرب، أيها الرَّب إلهي قد عظمت جداً، مجداً وجلالاً لبست، اللاّبس النُّور كثوب، الباسط السَّموات كشقة (غطاء الخيمة) ... الماشي على أجنحة الرِّياح، الصَّانع ملائكته أرواحاً وخدامه ناراً تلتهب ... المفجِّر العيون في الأودية، بين الجبال تجري ... السَّاقي الجبال من علاليه، من ثمر أعمالك تشبع الأرض، المنبت عشباً للبهائم، وخضرة لخدمة الإنسان، لإخراج خبز من الأرض ... صنع القمر للمواقيت، الشَّمس تعرف مغربها، تجعل ظلمة فيصير ليل ... ما أعظم أعمالك يارب، كلها بحكمة صنعت، ملآنة الأرض من غناك ... أغنِّي للرَّب في حياتي، أرنِّم لإلهي ما دمت موجوداً، فيلذ له نشيدي، وأنا أفرح بالرَّب ... باركي يا نفسي الرَّب. هلليلويا».

ففي الشَّرق المسيحي، تُعد الليتورجيَّة ليس فقط خدمة كنسيَّة، بل أيضاً مكان استعلان الله لشعبه. واستعلان الله كان أولاً في الخليقة، وبالإضافة إلى ذلك فإن ترتيل المزمور الافتتاحي يؤكِّد بنوع خاص على موضوع النُّور والظَّلام كموضوع يشكِّل رمزاً أساسياً في الخدمة الكاتدارئيَّة، وإن الآيات التي تركز على هذه الجزئيَّة في هذا المزمور تعاد مرَّتين: «الشَّمس تعرف مغربها، تجعل ظلمة فيصير ليل. ما أعظم أعمالك يارب، كلها بحكمة صنعت».

ويُستأنف موضوع النُّور في الحال في طقس إيقاد سراج المساء،

والذي هو قلب ومركز طقس صلاة المساء، حيث يُفتتح بالمزمور (١٤٠) وهو المزمور الأساسي في ترتيل مزامير المساء في كل العالم المسيحي: «يارب إليك صرخت فاستمع لي، أنصت إلى صوت تضرعي إذا ما صرخت إليك. لتستقم صلاتي كالبُخور قدامك، وليكن رفع يدي كذبيحة مسائيَّة ...»، بينما ترتفع سُحُب البُخور لتملأ أرجاء الكنيسة علامة صلواتنا التي نرفعها إلى عرش الله كما يقول المزمور. وكل سراج وكل قنديل موقد في الكنيسة، بينما يرتِّل الخوروس المردَّات المناسبة لما ذكره المزمور، وهذه المردَّات refrains تُظهر كيف أن سرَّ النُّور الذي أبدع الخليقة قد اكتمل معناه في موت وقيامة المسيح له المجد.

وفيما يلي نورد بعضاً من المردَّات المختلفة في خدمة يوم الأحد وهي باللَّحن الثالث:

- "قد استضاء كل شئ بقيامتك يارب، وفُتح باب الفردوس مرَّة أخرى، وكل الخليقة تمجِّدك وتقدِّم لك على الدَّوام تسبيح المجد".

- "نحن غير المستحقِّين نمكث في بيتك الطَّاهر، نرتِّل لحن المساء صارخين من الأعماق: أيها المسيح إلهنا، يا من أنرت العالم بقيامتك، خلِّص شعبك من أعدائهم، يا محب البشر".

- "أيها المسيح، يا من في آلامه أظلمَّت الشَّمس، وبنور قيامتك أنرت المسكونة، اقبل تسبيحنا المسائي يا محب البشر".

- "يارب إن قيامتك المحيية قد أنارت كل العالم، واستعدتَ مرَّة أخرى خليقتك التي فسدت، إذ حرَّرتها من لعنة آدم، فنصرخ قائلين: أيها الرَّب القادر على كل شئ، المجد لك".

- "قد تحمَّلت الموت أيها المسيح، فخلِّص جنسنا من الموت. وقمت من الموت في اليوم الثالث، فأقمت معك أولئك الذين عرفوك إلهاً منيراً

العالم، يارب المجد لك".

وفي أثناء ترتيل المرد الأخير يحمل كل من الكاهن والشمَّاس مبخرة يصعد منها البُخور العطر، حيث يسيران في موكب يعبران خلاله الكنيسة، وعندما يصلان إلى باب الهيكل يرتِّلان لحناً سحيقاً في القدم وهو لحن النُّور: "يا نوراً بهياً ..."، وهو اللّحن الذي ظلّ على مدى ستة عشر قرناً يُرتَّل يوماً بعد يوم، دون تغيير أو تبديل فيه. وهو أيضاً اللّحن الذي يعلن أن نور العالم ليس هو الشَّمس التي خُلقت ذات يوم، ولا هو سراج المساء الذي يوقد، ولكنه ابن الله الأزلي والأبدي معاً «النُّور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يوحنا ١:٩).

أما الصَّلاة القصيرة Collect في نهاية خدمة الغروب فهي تلخِّص موضوع هذه الخدمة، وتقول: "يا الله العظيم، والممجَّد، أنت وحدك غير المائت، والساكن في نور لا يُدنى منه. خلقت العالم بحكمتك، وفصلت نوراً من ظلمة، معطياً الشَّمس لحساب النهار، والقمر والنجوم لليل. وسمحت لنا نحن الخطاة أن نقترب إليك في تلك السَّاعة بألحان التَّسبيح والمجد المسائيَّة. وبمحبتك تدبِّر صلواتنا كبخور يصعد إليك متقبِّلاً إياه كرائحة سرور. ففي هذا المساء وخلال اللّيل المقبل، املأنا من سلامك، ألبسنا سلاح النُّور، ونجنا من هول اللّيل، وأعطنا نوماً يسكِّن وهننا ... وعندما نأوي إلى الفراش في هذا اللّيل، هبنا أن نلوم أنفسنا، وساعدنا أن نحفظ اسمك في عقولنا. أبهجنا لفرح وضياء وصاياك، لننهض ممجِّدين صلاحك، ملتمسين عظم حنوك، ليس فقط من جهة خطايانا الخاصة، ولكن أيضاً من أجل كل شعبك. ومن أجل والدة الإله عامل برحمتك كل ما يختص بحياتنا، لأنك صالح وممتلئ حباً لنا يا الله. ونمجدك أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور آمين".

إن الخوف من الظلام هو خوف غريزي، والنور الذي يبدِّد الظَّلام هو طلب يستشعره الجميع، وتجلي وجه يسوع هو النُّور الذي أشرق في عالمنا، وهذا هو ما تحمله إلينا الإفخارستيَّا حينما يسكن الله فينا، ومن قبلها المعموديَّة حينما نولد منها بنيناً لله بالرُّوح القُدُس. لأن الحياة في الرُّوح القُدُس هي استنارة بالنور الإلهي، ولكي نرى الله بهذا النُّور، يعني أن نعيش فيه. وهذا ما يقوله القدِّيس إيريناؤس (١٣٠- ٢٠٠م):

[أن ترى النُّور يعني أن تكون في النُّور وتشارك صفاءه. وبالمثل أيضاً أن ترى الله يعني أن تكون فيه وتشارك في بهائه المعطي الحياة. وهكذا فإن أولئك الذين يرون الله يتشاركون في حياته(١٦)].

هذا هو ما يميز الخدمة الليتورجيَّة وصلوات السَّواعي في الكنيسة التي تستحضر بالإيمان شوقاً إلى الرؤيَّة الإلهيَّة لننال بها ومضة منها ونحن لا نزال هنا على الأرض، وهو الرَّمز الذي يكتمل بالإفخارستيَّا، كما نسمع في المرد الذي يُرتَّل بعد الاشتراك في الأسرار المقدَّسة: "قد رأينا النُّور الحقيقي، قد قبلنا الرُّوح السَّماوي".

ويعقِّب الأب روبرت روبرت تافت Robert Taft وهو العالم اللِّيتورجي الغربي بعد أن تستحوذ عليه سمو العبادة في الشَّرق المسيحي، بقوله: "لا شئ من كل هذا ما زال معاشاً بالحقيقة سوى في الشَّرق المسيحي".

وفي سهر الأحد، فإن السَّهَر اللَّيلي Matins يتبع صلاة الغروب، وهو سهر القيامة، ويعقبه مباشرة صلاة السَّحَر Lauds التي تبدأ بمجرَّد أن

16- *Adv. haer.*, IV, 20: 5

يرتِّل الخوروس: "سبِّحوا اسم الرَّب ..." من المزمور (١٣٤)، حيث تُفتح أبواب الهيكل وتوقد جميع المصابيح والشُّموع في الكنيسة، ويمر رئيس الاحتفال في أرجاء الكنيسة حاملاً في يده مبخرة يرفع البُخور منها، ويتقدَّمه شماس حاملاً شمعة، وتُقال مردَّات تختص بالنِّسوة حاملات الطيب، هؤلاء اللائي ذهبن إلى القبر باكراً لتكفين جسد الرَّب، فأصبحن أوَّل شاهدات للقيامة.

وتقول بعض هذه المردَّات:

- "عند القبر وقف ملاك مضئ بنور يتكَّلم هكذا مع النّسوة حاملات الطيب قائلاً: لا تجعلن حزنكن يخلط دموعاً بطيب فاخر، أنتن تنظرن القبر أمامكن فعدن لنفوسكن، ليس هو ههنا، قد قام".

- "مع أول أشعة الفجر، انطلقن وحدهن إلى القبر باكيات منتحبات، ولما وصلن القبر فزعن من منظر ملاك قال لهن: إن وقت الدموع والحزن قد زال، اذهبن واخبرن أصدقاءه أنه قد قام".

- "جاءتك النّسوة بطيب أيها الرَّب، آملات أن يدهن جسدك الذي عطب وانحل من برودة الموت، ولكن الملاك وقف بهن قائلاً: لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ إنه الإله قد قام من القبر".

ويعقب ذلك التَّرتيل المقدَّس لإنجيل القيامة، حيث يُحمل بعده كتاب الإنجيل في مهابة في موكب إلى منتصف الكنيسة، ويوضع على عرش هناك، بينما يُرتِّل الخوروس لحن القيامة معترفاً بالإيمان بعد أن سمع بشارة الإنجيل بالقيامة أننا نحن أيضاً قد رأينا واختبرنا مجد الله.

"إذ قد رأينا قيامة المسيح، فلنسجد للرَّب القدُّوس يسوع المسيح الذي بلا خطيَّة وحده، نسجد لصليبك أيها المسيح، ونسبح ونمجِّد قيامتك المقدَّسة، لأنك أنت هو إلهنا، ولا نعرف آخر سواك، واسمك

نسمي، تعالوا أيها المؤمنون لنسجد لقيامة المسيح المقدَّسة، لأنه هو ذا بالصَّليب قد أتى الفرح إلى كل العالم، فلنبارك الرَّب كل حين، ونسبِّح قيامته لأنه احتمل الصَّليب وأبطل الموت بالموت".

وبعد الطلبات Intercessions يُرتَّل واحد من الثمانية قوانين التي للقيامة[١٧]، طبقاً لنغم يوم الأحد، بينما يتقدَّم المؤمنون لتكريم الإنجيل وتقبيله، ويدهنون بالطيب، ويتقبَّلون جزءاً من خبز مبارَك عليه، رمزاً لاحتياجهم إلى الثّبات والمثابرة في سهرهم الحقيقي، سهر الحياة كلها.

إن الحقيقة التي تُعلَن دائماً أن نور قيامة المسيح قد أبطل ظلام الخطيَّة والموت. وبحسب ما هو معروف أن القدِّيس بولس قد استعار ترنيمة مسيحيَّة قديمة تؤكِّد هذا المعني عندما قال: «لذلك يقول: استيقظ أيها النَّائم وقم من الأموات، فيضئ لك المسيح» (أفسس ٥:١٤).

وفي النهاية نذكر شهادة شاهد عيان لصلاة الغروب الكاتدارئيَّة في روسيا، وذلك عن تقرير مطوَّل لرحلة قام بها بطريرك الرّوم الكاثوليك في سوريا لزيارة بطريرك روسيا بيمن الأول وذلك في شهر يونيو سنة ١٩٨٧م ضمن جولة لزيارة بطاركة أرمينيا وجيورجيا وروسيا، فيقول التَّقرير:

"... وفي المساء (السَّبت ٢٠ يونيو ١٩٨٧م) في السَّاعة السَّادسة مساءً، حضرنا صلاة الغروب في كاتدرائيَّة موسكو الفسيحة الرَّائعة حيث كان يصلي بحرارة مئات المؤمنين شباناً وشيوخاً، وينشدون معاً التراتيم الطَّقسيَّة، واقفين طوال ساعات، بتقوى لا توصف، فلا مقاعد ولا كراسي، وكلهم متَّجهون نحو الهيكل والإيقونستاس الجميل، وكأني

١٧- في الكنيسة البيزنطيَّة ثمانية طروباريَّات للقيامة، كل طروباريَّة مع الثيؤطوكيون الإيباكويي الخاص بها تُرتل بلحن من الثمانية ألحان، وكل طروباريَّة من هذه الطروباريَّات مع ملحقاتها تُسمى قانون.

بهم عائشون خارج الزَّمان، ومحمولون على أجنحة التَّـــرانيم الطَّقســـيَّة الرَّائعة تنشدها جوقات تتخلَّلها إشارات صليب كبيرة".

البَاب الثَّاني

الطَّقس القبطي لصلوات رفع البُخور



الفَصل الأوَّل

الصَّلوات الافتتاحيَّة

توضيح

اعتمدتُ في دراسة الطَّقس القبطي لصلوات رفع البُخور في عشـــيَّة وباكر على مخطوطين من مخطوطات خولاجيَّات كثيرة محفوظة في مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، إلى جانب المصادر الكثيرة الأخرى التي تجدها في قائمة المراجع في نهاية الكتاب.

أمَّا عن هذين المخطوطين المذكورين فهما:

– مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٣)

وهو مخطوط خولاجي للثلاثة قدَّاســـات الباســـيلي والغريغـــوري والكيرلسي قبطي عربي، **مع صلوات رفع البُخور في عشـــيَّة وبـــاكر،** ويعود إلى **القرن التَّاسع عشر.** وهو بحالة جيِّدة وخطه واضح في النَّهرين القبطي والعربي. ومقاسة ٢٣,٥× ١٦,٥ سم.

وفي الصَّفحة الأولى منه يرد النَّص التالي: "وقفا موبدا وحبسا مخلدا على بيعت القدِّيس العظيم ابو مقار لا يباع ولا يرهن ولا يخـــرج مـــن بيعت ابو مقار بوجه من وجوه التلاف وكلمن خالف واخرجـــه عـــن وقفيته او نزع هدا الورقه بمكر لاجل السرقة الرب يترع اسمه من ســـفر الحياه ويكون محروم من نعمته والدي يقرى فيه ويحفظه يكـــون محالـــل

مبارك وعلى ابن الطاعه تحل البركه والمخالف حاله تالف ولله الشكر دايما ابديا امين''.

أما الصَّفحة الأخيرة فتورد نصاً مشابهاً لما سبق ذكره، ولكن لا يرد فيه اسم النَّاسخ أو المهتم به.

- مخطوط خولاجي رقم (ط ١٤٧)

وهو مخطوط خولاجي لقدَّاس القدِّيس باسيليوس، **وصلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر**، وطلبات وصلوات قسمة. ويعود إلى **القرن الثامن عشر**. مقاسه ١٦,٥×١١,٥ سم. وفي ظهر الصَّفحة الأولى منه نعرف أن المهتم به هو القس يوحنا أحد رهبان دير أبو مقار، وقد اشتراه من ماله وصلب حاله ليتعزى به ويقرأ فيه مدة حياته. وبعد وفاته بعد عمر طويل كل من وقع في يده يرده إلى الدير ولا أحد يطمع فيه ... وابن الطاعة تحل عليه البركة.

تمهيد

تصطبغ الخدمة الليتورجيَّة في الكنيسة القبطيَّة بروح توبة عالية في طقس تأملي فنوع متواتر، لا يحوي كثيراً من الأشعار التأمليَّة، أو الرُّموز البرَّاقة، أو المراسيم الفخمة، كما في كثير من التَّقاليد الشَّرقيَّة الأخرى.

وطقس رفع البُخور في الكنيسة القبطيَّة يحوي عناصر يتَّضح من مضمونها أنها كاتدرائيَّة الاستخدام، إلاَّ أن الخدمة الكنسيَّة الشرقيَّة التي لا زالت تحافظ أيضاً على الشَّكل الدَّيري الخالص نجدها بالتَّحديد في

الكنيسة القبطيَّة في مصر[١].

فالطَّقس القبطي الحالي هو في أساسه الممارسة الدَّيريَّة التي سادت في الإسقيط مع بعض التطوُّرات المتأخِّرة التي أُدخلت عليها، إذ يسبق طقس رفع البُخور؛ صلوات المزامير، وترتيل الأبصلموديَّة. فواضح من مضمون صلوات المزامير أنها خدمة ديريَّة خالصة نشأت في الأديرة، أما العناصر الكاتدرائيَّة في هذا الطَّقس فتتَّضح على وجه الخصوص في ترتيل أبصلموديَّة المساء[٢]، أي في تسبحة عشيَّة، ذلك لأن ترتيل الأبصلموديَّة في الكنيسة القبطيَّة بالذات، لا يعني ترتيل المزامير من سفر المزامير فحسب كما في سائر الطقوس الشَّرقيَّة الأخرى، ولكنه أيضاً خدمة تسبيح Sung Office . وهي خدمة تشبه أو تماثل ما يُعرف في الكنيسة البيزنطيَّة باسم " Asmatikos "، أي خدمة ترتيل كاتدرائيَّة قديمة نشأت أساساً من كنيسة آجيًّا صوفيا بالقسطنطينيَّة[٣].

ويحوي الطَّقس القبطي لصلوات رفع البُخور العناصر الليتورجيَّة التالية:

- صلوات افتتاحيَّة:
  - صلاة المزامير.
  - ترتيل الأبصلموديَّة.
- صلاة الشُّكر.
- دورة البُخور حول المذبح:
  - صلاة البُخور. (وهي تُقال الآن سراً).
  - التَّبخير حول المذبح مع ترديد الأواشي الصغار Short Intercessions . (وأصبحت تُقال الآن سراً).

1_ Robert Taft, S. J., *The Liturgy of the Hours in East and West*, U.S.A., 1986, p. 251, 249.

2_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 255.

3_ Orien. Chr. Per. (OCP), 48, (1982), p. 361 ff.

- أرباع النّاقوس:
  - السُّجود للثالوث، والسَّلام للكنيسة. (وهي مقدِّمة أرباع الناقوس الثابتة)[٤].
  - السَّلام لك يا مريم Praise of Mary . (وهي مقدِّمة أرباع النّاقوس الثابتة).
  - ابتهالات للقدِّيسين Supplications to the Saints . (وهي تكملة أرباع الناقوس).
- الأواشي الكبار Great Intercessions .
- مجموعة صلوات تنتهي بالذُّكصولوجيَّات وهي:
  - ''تفضل يارب ...'' في رفع بخور عشيَّة، أو تسبحة الملائكة (أي المجدلة الصُّغرى[٥]) ''المجد لله في الأعالي ...''، في صلوات رفع بخور باكر[٦].
  - الثلاثة تقديسات.
  - أبانا الذي في السَّموات.
  - السَّلام لك يا مريم.
  - الذُّكصولوجيَّات.
- دورة البُخور حول المذبح والكنيسة.
- قانون الإيمان (بمقدِّمته).
- طلبة ''اللَّهم ارحمنا''.
  - المرد كيرياليسون (يارب ارحم).

هنا تقال فصول من العهد القديم تعقبها طلبات في أيام الصَّوم المقدَّس الكبير في صلوات رفع بخور باكر.

- الإنجيل المقدَّس:

٤ـ سقط هذا العنصر من بين العناصر التي ذكرها الأب روبرت تافت.

٥ـ تُدعى ''تسبحة الملائكة'' في كل من الكنيستين القبطيَّة والسِّريانيَّة، وتُدعى ''المجدلة الصُّغرى'' في الكنائس الشرقيَّة الأخرى.

٦ـ سقط هذا العنصر من بين العناصر التي ذكرها الأب روبرت تافت.

• أوشيَّة الإنجيل.
• دورة الإنجيل حول المذبح
• آية من المزمور.
• هتاف هلليلويا.
• فصل الإنجيل المقدَّس.

◆ الأواشي الصِّغار.
◆ الصَّلوات الختاميَّة:

• صلاة التَّحليل للابن.
• تقبيل الصَّليب والإنجيل.
• قانون ختام الصَّلوات[٧].
• صلاة البركة الأخيرة.
• التَّسريح.

ولقد أثبت العالِم اللِّيتورجي وينكلر Winkler أن الطَّقس القبطي الحالي لصلوات رفع بخور عشيَّة لازال يحوي عناصر ليتورجيَّة لصلاة غروب كاتدرائيَّة قديمة[٨].

إذاً فالصَّلوات الافتتاحيَّة في خدمة رفع البُخور في عشيَّة وباكر في الكنيسة القبطيَّة هي صلاة المزامير، وترتيل الأبصلموديَّة، وهو ما يعنينا الآن في هذا الفصل الأوَّل.

٧_ نفس الحاشية السَّابقة.

8_ Winkler, *über die Kathedral Vesper*, p. 81_ 83.

أولاً: صلاة المزامير

"أوَّل كل شيء يصلُّون صلاة المزامير". هذا هو كل ما يذكره الأب القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي في مقدِّمة كتاب الخولاجي المقدَّس الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، والذي راجع نصَّه وحواشيه على عشرين مخطوط خولاجي أخرى، وذلك فيما يختص ببيان صلوات الكنيسة التي تقال قبل رفع بخور عشيَّة أو باكر[٩].

ومن المعروف اليوم أنه تُصلى مزامير السَّاعات التَّاسعة والغروب والنَّوم[١٠]. أو تُصلى مزامير الغروب والنَّوم فقط إن كان اليوم صوماً حيث تكون السَّاعة التَّاسعة قد صُلِّيت قبل تناول الطعام في السَّاعة التَّاسعة من النهار (الثالثة ظهراً). ويلاحظ القارئ أنه هو الطَّقس الدَّيري الخالص حتى اليوم. فبحسب التَّقليد الرَّهباني القديم يجتمع الرُّهبان في المائدة قبل السَّاعة الثالثة بعد الظُّهر بقليل (السَّاعة التَّاسعة)، ويصلُّون مزامير صلاة السَّاعة التَّاسعة معاً، قبل أن يجلسوا ليتناولوا طعامهم سوياً، بينما تُقرأ عليهم فصولٌ من كتاب بستان الرُّهبان. وبعد أن انتقل هذا الطَّقس الدَّيري إلى كنائس المدن، أصبحت السَّاعة التاسعة تُصلى بصفة دائمة إلى جوار ساعتي الغروب والنوم.

يبدأ الكاهن الصَّلاة بعبارة: **Ⲡⲟ̅ⲥ̅ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ⲁ̅ⲗ̅...** "يارب يارب[١١] ارحمنا، لليلويا ..."، ثم البسملة: "باسم الآب والابن والرُّوح

٩ـ كتاب الخولاجي المقدَّس أي كتاب الثلاثة قدَّاسات ...، وهو مصحَّح ومستوفي الترتيب عن يد القمص عبد المسيح صليب المسعودي البراموسي، طُبع في مصر بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ش/ ١٩٠٢أفرنكية، ص ٣

١٠ـ ويعقبها صلاة الستار في الأديرة.

١١ـ ترديد كلمة "يارب" مرَّتين سمة تميز الأدب العبري الذي انتقل إلى الأدب اللِّيتورجي المسيحي، كما نقرأ في العهد القديم نداء الرب: موسى موسى (خروج

القُدُس ...". والكنيسة حينما تبدأ صلاتها إلى الله - بنيابة الكاهن - بترديدها: "يارب يارب ارحمنا"، فكأنها تسمع بالإيمان صوته مجيباً: "ها أنذا، ها أنا أرحمكم"، لذا يكمِّل الكاهن قوله: "هلليلويا". ومن ثمَّ يكمل بقوله: ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲫⲓⲱⲧ... "باسم الآب والابن ..." حيث يرفع الصَّليب الذي في يده ويرشم به نفسه بمثاله، فكل خدمة تبدأ برشم الصَّليب إعلاناً للإيمان المسيحي بالثالوث، واعترافاً به.

وبعد الصَّلاة الربيَّة وصلاة الشُّكر والمزمور الخمسين تُوزَّع مزامير السَّواعي على المصلِّين في الكنيسة لتُقال سراً، أما فصل الإنجيل وقطع السَّواعي فتُقال جهراً[١٢]. حيث يقرأ فصل الإنجيل أحد المصلِّين أمام باب الهيكل الذي لا زال مغلقاً، حيث يُفتح باب الهيكل مع بداية صلوات رفع البُخور. أما قطع السَّواعي فيصليها أحد الحاضرين من الكهنة (أو الرُّهبان في الأديرة) من مكان وقوفه في الكنيسة.

والطَّقس المتَّبع الآن هو أن توزَّع مزامير صلاتي الغروب والنوم معاً كساعة واحدة، ويُقال إنجيل صلاة الغروب، ويعقبه قطع الغروب ثم فصل إنجيل صلاة النوم مباشرة، ويعقبه قطع صلاة النوم.

أما الطَّقس القديم الذي شاهدته بنفسي سواء في كنائس المدن أو

٤:٣)، أو إبراهيم إبراهيم (تكوين ١١:٢٢)، أو يعقوب يعقوب (تكوين ٢:٤٦)، أو صموئيل صموئيل (١ صموئيل ١٠:٣). وهو ما نقرأه في العهد الجديد أيضاً: يارب يارب (متى ٢١:٧)، أو يا سيِّد يا سيِّد (متى ١١:٢٥).

١٢ـ بعض هذه القطع تعود إلى أصل فلسطيني، دخلت إلى الكنيسة القبطيَّة وإلى الكنيسة البيزنطيَّة بنفس نصوصها تماماً. وإلى هذه الحقيقة أشار كل من العالم بومشتارك Baumstark، وكويك Quecke، وبورمستر Burmester، وآخرين. (Cf. Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 254).

ولتفصيلات أوفر، انظر للمؤلف: كتاب "الأجبية أي صلوات السَّواعي".

في كنائس الأديرة والذي ظل معمولاً به حتى أواخر السِّتينيَّات تقريباً من القرن العشرين، فهو أن مزامير صلاتي الغروب والنَّوم كانت توزَّع معاً كساعة واحدة، ويعقبها فصل إنجيل النَّوم فقط، ثمَّ صلاة: "تفضل يارب" مباشرة، حيث لا تُقال القطع. أما مرحلة التطوُّر التالية فكانت ترديد فصل إنجيل الغروب، ويعقبه مباشرة فصل إنجيل النَّوم، ويليها قطع صلاة النَّوم، أما قطع صلاة الغروب فكانت تُوزع سراً كأنها أحد المزامير. ثم أصبح إنجيل الغروب يعقبه قطع صلاة الغروب، ثم إنجيل صلاة النَّوم مباشرة، وبعدها قطع صلاة النَّوم. ولازالت آثار هذا الطَّقس القديم واضحة في ضم صلاتي الغروب والنَّوم معاً حتى اليوم.

أما سبب ذلك فهو أن الأجبية القبطيَّة لم تكن تعرف قطعاً لصلاتي الغروب والنَّوم إلاَّ متأخراً[١٣]، ولما كان التطوُّر الطَّقسي بطيئاً جداً، ولاسيَّما في الكنيسة القبطيَّة، فقد استغرق التحوُّل من الطَّقس القديم لصلوات الغروب والنَّوم إلى الطَّقس الحالي زمناً طويلاً.

ثانياً: ترتيل الأبصلموديَّة

طقس صلاة عشيَّة يتبع دائماً طقس اليوم التالي. فبدء اليوم الطَّقسي يكون عشيَّة اليوم السَّابق له. وهو التَّقليد اليهودي الذي انتقل إلى الكنيسة المسيحيَّة. أي أن غروب اليوم هو نهايته، حيث تكون عشيَّة ذلك اليوم (التي تعقب الغروب مباشرة) هي بداية اليوم التالي.

١٣ ـ لتفصيلات ذلك انظر: كتاب الأجبية أي صلوات السَّواعي.

بانتهاء صلوات السَّواعي تبدأ تسبحة العشيَّة بترتيل المزمور (١١٦) بلحنه الجميل. وهو المعروف بلحن **Ⲛⲓⲉⲑⲛⲟⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ** . ولكن الطَّقس القبطي يضيف على نص كلمات المزمور تمجيداً لإلهنا في بدايته ونهايته، مع إعطاء الذُّكصا للآب والابن والرُّوح القُدُس، وهي تُقال كلها باليونانيَّة، بالإضافة إلى تكرار كلمة "هلليلويا" ثلاث مرَّات.

أما نص المزمور مع الإضافات الطَّقسيَّة القبطيَّة عليه فهو:

"المجد لإلهنا.
سبِّحوا الرَّب يا جميع الأمم، ولتباركه كافة الشُّعوب،
لأن رحمته قد قويت علينا، وحق الرَّب يدوم إلى الأبد هلليلويا.
المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور آمين.
هلليلويا، هلليلويا.
المجد لإلهنا".

وجدير بالملاحظة أن عبارة "المجد لإلهنا" تتكرَّر كثيراً في الصَّلوات الليتورجيَّة في الكنيسة القبطيَّة. فهي تُقال في بداية كل إنجيل من أناجيل السَّواعي، وتُكرَّر مرَّتين في ختام المزمور الـ ١٥٠ الذي يُرتَّل في نهاية القدَّاس الإلهي أثناء توزيع الأسرار المقدَّسة، وهي بداية وخاتمة المزمور ١٥١ الذي يُرتَّل في ليلة سبت الفرح، وتُقال أيضاً بعد المزمور الخمسين الذي يعقب أرباع النَّاقوس في قدَّاسات اللَّقانات، وبعد ذُكصولوجيَّة باكر آدام في رفع بخور باكر في الثلاثة أعياد السيديَّة الكبرى.

ولقد لفت هذا الأمر انتباه العالم الليتورجي الأب روبرت تافت Robert Taft ، مما دفعه إلى القول بأن ترتيل الأبصلموديَّة في الكنيسة القبطيَّة قبل رفع البُخور لا يبدأ مباشرة بالمزمور ١١٦، ولكن يسبقه

"صلاة افتتاحيَّة ثابتة[١٤]". وذلك بعد أن لاحظ أن الخدمة الليتورجيَّة تبدأ دائماً بإعطاء الذُّكصا (المجد) لله أو للأقانيم الثلاثة مجتمعة.

وفي حين يُرتَّل المزمور الـ ١١٦ في معظم الطقوس الشرقيَّة عقب المزامير ١٤٨ـ ١٥٠، إلاَّ أنه في الكنيسة القبطيَّة يُرتَّل قبلها. كما نلاحظ أيضاً أن هذا المزمور الـ ١١٦، يسبق المزامير المذكورة في تسبحة عشيَّة فقط، دون تسبحة السَّحَر. فكل العناصر الليتورجيَّة التي تُقال في تسبحة عشيَّة هي نفسها التي تُقال في تسبحة السَّحَر، باستثناء أمرين:

أولهما: هذا المزمور الـ ١١٦ أي لحن **Ⲙⲓⲉⲑⲛⲟⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ** .

وثانيهما: أن صلاة المزامير تسبق تسبحة عشيَّة، ولكنها تعقب تسبحة السَّحَر (أي تسبحة الصَّباح).

وبانتهاء لحن المزمور الـ ١١٦ يُرتَّل الهوس الرابع وهو مزامير (١٤٨، ١٤٩، ١٥٠)، ولازال الهوس الرابع يُرتل بالقبطيَّة حتى اليوم في عموم الكنائس القبطيَّة. ومعظم الطقوس الشرقيَّة تعرف ترتيل هذه المزامير.

ثم تُرتَّل الإبصاليَّة. وتظل الإبصاليَّة في تسبحة عشيَّة تتبع اليوم الذي مساؤه يكون رفع البُخور، سواء كان واطس أو آدام، أما موضوعها وطريقة أدائها فتتبع طقس اليوم التالي إن كان عيداً سيِّدياً أو طقس الصَّوم الكبير، أو الطَّقس الكيهكي، أو الطَّقس الشَّعانيني لأحد الشَّعانين وعيدي الصَّليب، أو الطَّقس السَّنوي المعتاد، أو أحد أعياد العذراء أو الملائكة أو الشُّهداء والقدِّيسين[١٥].

وتُعرف الإبصاليَّة في المراجع الأجنبية باسم Poetic Refrains أي

14_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 255.

١٥ـ انظر: كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٤

أرباع موزونة ذات مرد(١٦).

ثم يعقب الإبصاليَّة ثيؤطوكيَّة اليوم الحاضر من الأسبوع. وبانتهائها يقولون الدِّفنار(١٧) الذي لليَّوم الحاضر من الشَّهر، وهو يُرتَّل بطريقة الأنتيفونا.

وتُرتَّل الثيؤطوكيَّة أو الدِّفنار (إما واطس أو آدام) طبقاً لليَّوم الذي مساؤه يكون رفع البُخور، أما موضوع الدِّفنار وطريقة لحنه فيكون طبقاً لليَّوم التالي، أي اليوم الذي بدايته يكون رفع بخور عشيَّة.
ثم ختام الثيؤطوكيَّات الواطس أو الآدام(١٨).

ويبدأ بعد ذلك مباشرة رفع البُخور. فرفع بخور عشيَّة يكون بعد المزامير وتسبحة عشيَّة كما ذكرنا غير مرَّة، أما رفع بخور باكر فيكون بعد تسبحة السَّحَر، ومزامير باكر، وذُكصولوجيَّة باكر آدام التي تعقب مزامير باكر مباشرة(١٩).

وتسبحة السَّحَر تُدعى أيضاً "تسبحة الصَّباح"، والتي تبدأ بالهوس الرَّابع أي المزامير (١٤٨ـ ١٥٠)، وهي التَّسبحة التي تعقب مباشرة تسبحة نصف اللَّيل. وبسبب أن تسبحة الصَّباح أصبحت مرتبطة ارتباطاً

16_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 255.

١٧ـ الدِّفنار من الكلمة القبطيَّة ⲁⲛⲧⲓⲫⲱⲛⲁⲣⲓ (أنتيفوناري) وهو خبر مختصر مع بعض مديح يخص اليوم الحاضر من الشَّهر إن كان عيداً سيدياً أو أحد أعياد العذراء والملائكة والرُّسل والشُّهداء والقدِّيسين، فهو كالسِّنكسار الذي يورد سير القدِّيسين ولكنه مختصر عنه مع إضافة مديح.

١٨ـ لم أتعرَّض هنا لعناصر تسبحة عشيَّة، إذ عرضتُ لها بتفصيل في كتاب "تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر"، فارجع إليها هناك إن رغبت.

١٩ـ عن موقع مزامير باكر قبل رفع البُخور في الأيام العادية، وموقعها داخل رفع البُخور في الأعياد السيدية الكبرى، انظر للمؤلف: كتاب: "الميلاد البتولي المجيد".

وثيقاً بتسبحة نصف اللَّيل، دون فاصل واضح يميِّز بدايتها، فقد ضاعت هويَّتها الذاتيَّة، حتى أصبح يُطلق اسم "تسبحة نصف اللَّيل" على تسبحة نصف اللَّيل الفعليَّة، وتسبحة السَّحَر التي تعقبها، وهو ما دفع الأب روبرت روبرت تافت Robert Taft لأن يقرِّر ببساطة - وهو غير محق في ذلك - أنه لا توجد تسبحة صباح[٢٠] There is no morning office . ثم يعود يكرِّر مرَّة ثانية بقوله: إن تسبحة عشيَّة هي بقايا تسبحة سَحَر كاتدرائيَّة[٢١]. وهي في الحقيقة تسبحة سَحَر كاتدرائيَّة كاملة انتقلت بكليتها إلى تسبحة عشيَّة لتسبق رفع البُخور في المساء كما سبقته تماماً في الصَّباح.

ولعل السَّبب الذي أربك الأب روبرت روبرت تافت Robert Taft هو أنه جعل من ترتيل المزامير بداية لتسبحة الصَّباح كما هو حادث في تسبحة عشيَّة التي يسبقها ترتيل المزامير أيضاً، ولذلك لم ير في تسبحة الصَّباح (تسبحة السَّحَر) سوى ذُكصولوجيَّة باكر آدام التي تعقب مزامير باكر، لذلك نجده يقول: "أما تسبحة الصَّباح التي تعقب صلاة باكر فلا نستطيع أن ندعوها خدمة تسبيح[٢٢]". ولقد عرضتُ لذلك الأمر بالشرح والتوضيح في كتاب "تسبحة نصف الليل والسَّحَر".

وأشير هنا إلى أن الأب أوجو زانيتي اليسوعي Ugo Zanetti قد وجد مخطوطاً في دير القدِّيس أنبا مقار بوادي النطرون يعود تاريخه إلى القرن الرَّابع عشر يحوي ترتيباً لتسبحة المساء الكاتدرائيَّة Kathedral evensong بحسب الطَّقس البيزنطي بعنوان: "صلاة السَّاعة الحادية عشر طبقاً لاستخدام مصر (أي القاهرة)" . ووجد أيضاً مخطوطات أخرى في نفس الدَّير المذكور تحوي توزيعاً لكتاب المزامير بحسب الطَّقس البيزنطي،

20_ Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 256.
21_ *Ibid*, p. 256.
22_ *Ibid*, p. 256.

يشمل المزمور ١٠٣ الافتتاحي، وبعض المزامير المنتخبة كما في صلاة الغروب الكاتدرائيَّة البيزنطيَّة وهي المزامير ١٤٠، ١٤١، ١٣٩، ١١٦.

ولقد وفَّيتُ ذلك الأمر شرحاً في كتاب: "الأجبية أي صلوات السَّواعي". أما ما يختص بطقس صلوات رفع البُخور؛ فيأتي الحديث عنه تفصيلاً في الفصول التالية.

الفَصل الثَّاني

صــلاة الشُّــــــكر

ودورة البُخور حول المذبح

بدء صلوات رفع البُخور

بعد الصَّلوات الافتتاحيَّة التي وردت في الفَصل السَّـابق، وبانتـهاء تسبحة عشيَّة يكون الشمَّاس قد عمَّر المجمرة بالفحم، وأوقدها، وأوقـد شمعتي المذبح، أما قنديل الشرقيَّة فهو موقد دائماً، وإلاَّ فيوقده الشمَّاس. ولا تُطفأ شمعتا المذبح إلاَّ بعد انتهاء الصَّلوات تماماً، أي بعد قول الكاهن (وكان قبلاً الشمَّاس) "امضوا بسلام[1]".

وإذا صار المذبح مهيأً هكذا، يتقدَّم الأب الكاهن ويكشف رأسه.

كشف الرأس قبل بدء الصَّلاة

كل الطقوس الشرقيَّة تعرف طقس كشف الرأس قبل بدء الصَّلاة، ولازالت الكتب الطَّقسيَّة في الكنيسة القبطيَّة تذكر ذلـك حـتى الآن. فيذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م: أوَّل ذلك يكشف الكاهن رأسه ويقـف أمام باب الهيكل[2].

١ـ يتسرَّع بعض الإخوة الشَّمامسة ويطفئون شمعتي المذبح (وقنديل الشرقيَّة) بينما لا زال الشَّعب يعطي الذُّكصا للثالوث القدُّوس الآب والابن والرُّوح القُدُس، ضمن طقس التَّسريح، فتكون الذُّكصا أمام مذبح مُطفأ الأنوار!! ومن المعروف أن النـور التَّقليدي للمذبح هما الشَّمعتان اللتان توضعان علي جانبيه، وليس أي مصـابيح كهربائيَّة أخرى.

٢ـ كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ١٧

وعادة كشف الكاهن لرأسه قبل بدء الصَّلاة نجـــدها واضـــحة في مصادرنا الطَّقسيَّة القديمة. ففي قوانين البابا خريســـتوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) الـــ ٦٦ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة: "لا يدخل أحد الكنيسة إلاَّ حافياً مكشوف الرأس". وهو ما يذكره أيضاً أنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في القرن العاشر الميلادي[٣]. ويذكر القانون ١٧ مـــن قوانين البابا غبريال الثاني بن تريك (١١٣١- ١١٤٥م) مـــا يلـــي: "... ويقفوا (أي الكهنة) حول المذبح في أوقات الصَّلاة بـــرؤوس مكشـــوفة خائفين الله ليسمعوا أو يجيبوا[٤]". وعند ابن سباع في القـــرن الثالـــث عشر: من يقرأ المزامير فيقرأها ورأسه مكشوف[٥].

ويذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م) في كتابه "التَّرتيب الطَّقسي[٦]"، على سبيل تقرير الحال، وكأنه أمر معروف في زمانـــه لا يحتاج إلى تنبيه، فيقول: "عندما يكشف الكاهن رأسه، يجب عليـــه أولاً أن يستبرئ أفكاره ..."، ثم يعود في موضع آخر ويقول: "فعندما يكشف

٣- كتاب سيَر البيعة المقدَّسة، الجزء الثالث، ص ١٦٦

4. O.H.E. KHS Burmester, *The Canons of Gabriel Ibn Turaik, LXX Patriarch of Alexandria*, in Orien. Christ. Periodica (OCP), Vol. 1, 1935, p. 34.

٥- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حقَّقه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مؤلَّفـــات المركـــز الفرنسيســـكاني للدراسات الشرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٦٦م، الباب ١٠٤

٦- اهتم البابا غبريال الخامس البطريرك الـــ ٨٨ من بطاركة الكنيســـة القبطيَّـــة بتنظيم الأمور الطَّقسيَّة وتسجيلها في مجموعة طقسية أصدرها ســـنة ١٤١١م تعـــالج موضوعات المعموديَّة، والزَّواج، وصلاة أبو تربو، ورفع البُخور، وقـــدَّاس القـــدِّيس باسيليوس، وقسمة الرُّهبان، وصلوات التَّجنيز، وتعمـــير الكـــأس، وتكـــريس أواني الخدمة، وتكريس الهياكل الجديدة. ولا يذكر المؤلف دائماً نصوص الصَّلوات، بـــل يكتفي بإيراد ترتيبها وما يجب أن يُقال فيها. وقد نُشرت هذه المجموعة سنة ١٩٦٢م، تحت اسم "التَّرتيب الطَّقسي".

الكاهن رأسه ويبتدئ أولاً يشارك إخوته الكهنة ويصافحهم[٧]...".

ويذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر ما يلي: "عندما يكشف الكاهن رأسه يجب عليه أولاً أن يستبرئ أفكاره ...[٨]".
كما يذكر مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر ما يلي: "عندما يكشف الكاهن رأسه ويشارك إخوته الكهنة في السَّلام ..."، ثمّ يعود نفس المخطوط ويقول: "... ثمّ يكشف الكاهن رأسه ويبتدئ أولاً يشارك إخوته الكهنة، ويصافحهم ..."[٩].

وفي حضور الأب البطريرك صلاة عشيَّة يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة أن الأب البطريرك يكشف رأسه ثمّ يصعد إلى الهيكل وجميع الكهنة يكشفون رؤوسهم معه، ثمّ يبتدئ صلاة الشُّكر. ويذكر نفس المخطوط تحت عنوان: "حضور الأب البطريرك في عشيَّة بدون كشف رأسه" ما يلي: "إذا حضر البطريرك عشيَّة إلى البيعة و لم يكشف رأسه فيأذن لأحد الكهنة أن يقرأ صلاة الشُّكر".

ويذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م ما يلي: "ينهض الأب البطريرك من على الكرسي، ويتقدَّم كبير قسوس البيعة أو الأرشيدياكون ويقبِّل الصَّليب ويعزم على الأبهات

٧ـ غبريال الخامس (الأنبا)، التَّرتيب الطَّقسي، حقَّقه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحيَّة الشرقيَّة، سلسلة دراسات شرقيَّة مسيحيَّة، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٤٦، ٤٧

٨- وهو نفس ما يذكره مخطوط رقم (١٣٤ طقس) ويعود إلى القرن الثامن عشر، وهو مخطوط خولاجي للقداسين الباسيلي والغريغوري من ترتيب الأب الأسقف أنبا ميخائيل أسقف سمنود.

٩- وهو ما يذكره أيضاً مخطوط رقم (١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م)، وهو الجزء الثاني من مخطوط ترتيب البيعة.

(أي الآباء) الكهنة بأن يكشفوا رؤوسهم. وإن كان ثمَّ أساقفة، يتقدَّم الكهنة الكبار بأخذ عمائمهم ضمن ستور، ويعطوا الأسقف الكبير ستر حرير يأخذ فيه عمامة البطريرك، وإن لم يكن أساقفة، فالكاهن الكبير يأخذ العمامة ضمن ستر حرير ...''[١٠].

وواضح هنا ضرورة كشف الرأس قبل بدء صلاة الشُّكر، ليس للكاهن المصلي فقط، بل لكل الكهنة الحاضرين أيضاً[١١]. أمَّا مصدر هذه الممارسة الطَّقسيَّة، أي كشف الرأس قبل بدء الصَّلاة، فهو ما ورد عنها في سفر الرؤيا حينما رأي القدِّيس يوحنا اللاَّهوتي الأربعة والعشرين قسيساً يطرحون أكاليلهم أمام العرش عندما يسبِّحون ويخدمون الرَّب[١٢].

وحتى السبعينيَّات من القرن العشرين كان لا يزال بعض الآباء الكهنة الأقباط القدامى يفعلون ذلك. ولكن بات واضحاً الآن أن هذا الطَّقس آخذ في الاندثار. وهو ما دفع المستشرق الدكتور أزولد بورمستر O.H.E. Burmester لأن يقول: ''والممارسة الفعليَّة الآن في الطَّقس القبطي ألاَّ يكشف الكاهن رأسه[١٣]''.

١٠- الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأول، تـوت، بابه، هاتور، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦

١١- وهو ما يقوله أيضاً مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير البراموس لسنة ١٥١٤م حيث يقول: ''يتقدَّم الكاهن الكبير أو أحد الأساقفة إذا كان حاضراً ويأخذ عمامة الأب البطريرك في ستر حرير، ويصعد البطريرك إلى الهيكل وجميع الكهنة مكشوفي الرؤوس معه ويبتدئ بصلاة الشُّكر ...''.

انظر: الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ١٣

١٢- انظر: رؤيا ٤:١٠؛ ١ كورنثوس ١١:٤

13- O.H.E. Khs Burmester, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société

ويقف الكاهن أمام باب الهيكل مبتدئاً الصَّلاة بقوله: ... Ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ ⲏⲙⲁⲥ أي: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل، أيها الثَّالوث المقدَّس ارحمنا، أيها الرَّب إله القوَّات كن معنا، لأنه ليس لنا معين في شدائدنا وضيقاتنا سواك(١٤)". وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فهو الذي يقولها، أما الكاهن فيقولها سراً.

ثم الصَّلاة الربيَّة.

السُّجود أمام الرَّب وتقبيل عتبة باب الهيكل

وبعد الصَّلاة الربيَّة أُورد فيما يلي نص ما يذكره القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي في مقدِّمة خولاجي سنة ١٩٠٢م، وما يقابله عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ـ ١٤٢٧م) في كتابه "التَّرتيب الطَّقسي"، وهو المرجع الرئيسي الذي اعتمد عليه القُمُّص عبد المسيح المسعودي في معظم الحواشي التي أوردها بالخولاجي المذكور.

ما يذكره القُمُّص عبد المسيح صليب البراموسي

يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م: "بعد ذلك يسجد (الكاهن) لله تعالى أمام باب الهيكل المقدَّس ويقول: نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصَّالح والرُّوح القدس لأنك أتيت وخلَّصتنا.

ثم يضرب ميطانية نحو إخوته الكهنة، وميطانية لناحية الشَّمامسة وهو يقول: باركوا عليَّ. ها الميطانية. اغفروا لي.

---

d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967, p. 35.

١٤ـ نص هذه الطلبة تعرفها أيضاً الكنيسة اليونانيَّة في طروبارية تُقال في صلاة النَّوم الكبرى Great Compline "أيها الرَّب إله القوَّات كن معنا، لأنه ليس لنا معين في شدائدنا سواك".

Cf. O.H.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church...*, *op. cit.*, p. 320.

ثم يصافح إخوته الكهنة ويسألهم السَّماح والمساعدة له في الدُّعاء والطلب عنهم وعنه وعن سائر الشَّعب، وبمصافحته لهم تشهد قلوبهم أنه طيِّب الخاطر من قِبَلهم، وأنهم طيبو الخاطر من قِبَله وبينهما صلح.

ثم يعود فيقف أمام باب الهيكل بخشوع ويبسط يديه وخلفه الشمَّاس عن يمينه (ويمسك الشمَّاس الصَّليب في يده كلما وقف لتلاوة الإبروسات ههنا وفي كل وقت).

ثم أن الكاهن يُنذر الشمَّاس أن ينذر الشَّعب للصلاة[١٥]...".

ما يذكره البابا غبريال الخامس

يقول البابا غبريال الخامس[١٦]: "يبتدئ (الكاهن) أولاً يشارك إخوته الكهنة ويصافحهم، فإن بمصافحتهم لهم تشهد قلوبهم أنه طيب الخاطر من قِبَلهم، وهم طيبو الخاطر من قِبَله.

ثم يتَّجه إلى أمام هيكل الرَّب ويخضع للرَّب برأسه على الأرض، وهو يقول كاملة: نسجد لك أيها المسيح ...

ويقبِّل عتبة باب المذبح بفيه. ثم يلتفت إلى يمين المذبح ويضرب مطانوة لإخوته الكهنة وهو يقول: باركوا عليَّ، ها ميطانية. اغفروا لي.

ويضرب مطانوة إلى الشَّمامسة ناحيتهم وهو يقول: باركوا عليَّ.
ثم ينذر الكاهن الشمَّاس أن ينذر الشَّعب للصَّلاة[١٧]...".

١٥ـ كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ١٩، ٢٠.
١٦ـ سأورد النُّصوص التي يذكرها كتاب التَّرتيب الطَّقسي مصحَّحة لغوياً تسهيلاً على القارئ، ولاسيَّما من جهة الهمزة. والعبارات القبطيَّة التي ترد في الكتاب المذكور سأترجمها إلى العربيَّة مباشرة ما لم تكن ضرورة لغير ذلك.
١٧ـ البابا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٤٧

والفرق بين ما يذكره خولاجي سنة ١٩٠٢م، وما يذكره البابا غبريال الخامس هو فيما يلي:

- يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م أن الكاهن يصافح إخوته الكهنة بعد أن يسجد للرَّب أمام باب الهيكل وبعد أن يضرب ميطانية لإخوته الكهنة وللشَّمامسة، بينما يذكر البابا غبريال أن الكاهن يصافح إخوته الكهنة أولاً قبل كل شئ[١٨].

- يذكر البابا غبريال الخامس أن الكاهن يقبِّل عتبة باب المذبح بفيه[١٩]، وهو ما لم يذكره القُمُّص عبد المسيح البراموسي.

- يذكر الخولاجي أن الكاهن يضرب ميطانية ناحية إخوته الكهنة، دون توضيح أكثر من ذلك، أما البابا غبريال الخامس فيذكر أن هذه الميطانية تكون لإخوته الكهنة القائمين عن يمين المذبح (أي الجهة القبليَّة منه). فهذا هو مكان وقوف الكهنة، وهو ما يؤكده لنا القانون رقم (١٧) من قوانين البابا غبريال الثاني بن تريك (١١٣١- ١١٤٥م) الذي يذكر أن وقوفهم يكون حول المذبح[٢٠]. ويذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والذي تعود نساخته إلى سنة ١٤٤٤م أنه

١٨- وهذا ما تذكره كثير من مخطوطاتنا القديمة، مثل مخطوط خولاجي رقم (١٣٤ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار (القرن الثامن عشر)، وهو من ترتيب الأب الأسقف أنبا ميخائيل أسقف سمنود.

١٩- مثل مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م. (انظر: الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ٦، ١٢). وأيضاً مخطوط خولاجي رقم (١٣٤ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار (القرن الثامن عشر)، وهو من ترتيب الأب الأسقف أنبا ميخائيل أسقف سمنود.

٢٠- نلاحظ هنا أن مكان وقوف الكهنة في الكنيسة في أوقات القدَّاس قد تغيَّر عدة مرَّات: فكان في شرقيَّة الهيكل على الدَّرَج حول الأسقف، ثم حول المذبح، ثم عن يمين المذبح، ثم الوقوف خارجاً في الجهة البحريَّة من الخوروس وأمام الهيكل.

في حالة حضور الأب البطريرك في الكنيسة يقف الكهنــة أمــام بــاب المذبح، أمَّا الأساقفة فيقفون على جناح المذبح من هاهنا ومن هاهنا(٢١).

- بحسب كتاب التَّرتيب الطَّقسي يضرب الكاهن ميطانيــة مــرَّة لإخوته الكهنة شرقاً، وأخري للشَّمامسة غرباً. ولكن بعد أن تغيَّر محــل وقوف الكهنة وصار خارج الهيكل إلى جوار الشَّمامسة فصار الكــاهن يضرب ميطانية لإخوته الكهنة وللشَّمامسة في آن واحد، وهو ما يذكره كتاب الخولاجي المقدَّس.

ولا ذكر هنا لمشاركة شعبيَّة من أي نوع، ولقد كان القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أكثر دقَّة من غيره حين يقول: "يتقدَّم الكــاهن أولاً، فيضرب المطانية إلى هيكل الرَّب، ثم إلى رفقته، **ثم إلى الشَّعب** ...(٢٢)".

أما يوحنا بن أبي زكريا بن سباع (القرن الثالــث عشــر) فيــذكر بخصوص سِجود الكاهن قبل بدء الصَّلاة فيقول: "يسجد أمام هيكل الله تعالى مرَّة واحدة إن كان غير يوم الأحد. وإن كان يوم أحــد أو عيــد سيدي فلا يكون سجود بل خضوع انحناء ثلاث مرَّات، ثم بعد ذلــك السُّجود لشعب الله الذي صار عليهم مقدَّماً وشفيعاً حتى لا تكبر نفسه عليهم، وكذلك الشمَّاس من بعده" (٢٣).

توضيح لعبارة: "باركوا عليَّ"

الله هو الذي يبارك الإنسان وكل ما له، سواء مباشرة أو بواســطة

٢١- الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ٦

٢٢- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كــبر، الجــزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

٢٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٧٨

من ينيبه الله في ذلك من بني البشر، وهم الآباء الكهنة. وهو ما يمتلئ به الكتاب المقدس بعهديه.

أما مباركة الإنسان لله فهي شائعة جداً في كل الأسفار الكتابيَّة مثل قولنا: «أباركُ الرَّب في كل وقت، وفي كل حين تسبحته في فمي ...» (مزمور ٣٤:١). أو قولنا: «باركي يا نفسي الرَّب، كل ما في باطني ليبارك اسمه القدُّوس، باركي يا نفسي الرَّب، ولا تنسي كل حسناته ...» (مزمور ١٠٣:٥).

ومباركة الإنسان لله تعني الاعتراف بحسنات الرَّب ومراحمه، وتقديم الشُّكر والحمد له سواء من أجل خيرات الأرض أو من أجل الإنسان نفسه.

فالشُّكر من أجل خيرات الأرض نقرأه في التَّقليد الرَّسولي (٢١٥م): "ليسرع كل واحد لكي يقدِّم للأسقف باكورة ثمار غلته. فيقدِّمها الأسقف ويبارك الله عليها، ويذكر اسم الذي أتى بها قائلاً: نشكرك أيها الرَّب الإله، ونقدِّم لك باكورة الثِّمار ..." (٢٨:١، ٢، ٣).

والشُّكر من أجل الإنسان نفسه نقرأه في قوانين هيبوليتس (القرن الخامس)، حين يقول القانون: "ويضع الأسقف يده على المتعمِّدين كلهم، ويصلي هكذا ويقول: نباركك أيها الرَّب الإله ضابط الكل، لأنك جعلت هؤلاء مستحقين أن يولدوا دفعة أخرى" (١٩:٢٠).

ومباركة الإنسان لله تعني أيضاً إعطاء المجد للثالوث. ففي كتاب التَّقليد الرَّسولي نقرأ: "في كل تبريك يقول (الكاهن): لك المجد أيها الآب والابن مع الروح القدس في الكنيسة المقدَّسة، الآن وكل أوان وإلى كل آباد الدهور. آمين" (٦:٤).

والبركة تعني أيضاً الإكثار والنُّمو لخيرات الأرض وثمرها. "نشكرك أيها الرَّب الإله ضابط الكل، لأنك جعلتنا مستحقين أن ننظر إلى هذه الثِّمار التي أخرجتها الأرض في هذه السَّنة. بارك عليها يارب كإكليل السَّنة التي لصلاحك. ولتكن شبعاً لفقراءِ شعبك" (قوانين هيبوليتس ٣٦:٢).

وهذا هو مضمون ما يردِّده الكاهن في القدَّاس حين يرشم القُدسات قائلاً: "مُباركٌ الله الآب ضابط الكل، مُبارَكٌ ابنه الوحيد يسوع المسيح، مُباركٌ الرُّوح القُدُس".

وليس الإنسان فقط هو الذي يبارك الله، بل الملائكة أيضاً وكل الخليقة، كما في قول المزمور «رنِّمي للرَّب يا كل الأرض ...» (مزمور ٩٦:١). وأيضاً: «باركوا الرَّب يا جميع ملائكته المقتدرين قوَّة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه، باركوا الرَّب يا جميع جنوده خدَّامه العاملين مرضاته» (مزمور ١٠٣:٢٠، ٢١). والهوس الثالث من تسبحة نصف اللَّيل ما هو إلاَّ مباركة الخليقة كلها لله، أي السَّموات وكل من فيها وما فيها، والأرض وكل من عليها وما عليها، حين تسبِّحه وتزيده علواً إلى الآباد.

أما العبارة التي يقولها الكاهن: "باركوا عليَّ، ها ميطانية، اغفروا لي". فهي تأتي ضمن بركة الإنسان للإنسان. وبحسب التَّقليد الكنسي الذي يخضع للتَّقليد الكتابي، أن بركة الإنسان للإنسان لا تكون إلاَّ من الآباء للأبناء، والكاهن باعتباره أب الجماعة فهو الذي يمنح البركة للشَّعب، وليس العكس.

فإبراهيم أب الآباء الذي وعده الرَّب بقوله: «أباركك، وأعظِّم اسمك، وتكون بركة» (تكوين ١٢:٢) قد حاز هو نفسه هذه البركة

بواسطة كاهن الله العلي: «وملكي صادق ملك ساليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال مبارك أبرآم من الله العلي مالك السَّموات والأرض» (تكوين ١٤:١٨، ١٩).

والرَّب نفسه قد أوصى موسى أن تكون مباركة الشَّعب بواسطة هارون الكاهن وبنيه الكهنة طبقاً لطقس محدَّد، برغم أن موسى كان يتكلَّم مباشرة مع الله وجهاً لوجه، وكان ينقل تعليمات الرَّب إلى هارون، أما مباركة الشَّعب فقد ظلَّت من اختصاص أخيه الكاهن، أو بني أخيه الكهنة، فيقول سفر العدد: «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم هرون وبنيه قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم يباركك الرَّب ويحرسك ويضيء الرَّب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرَّب وجهه عليك، ويمنحك سلاماً، فيجعلون اسمي عل بني إسرائيل وأنا أباركهم» (عدد ٦:٢٢- ٢٧).

ويتَّضح هنا جلياً أن الكاهن يبارك الشَّعب باسم الرب. فالبركة التي يبارك بها الكاهن الشَّعب تأتي فاعليتها حينما ينطق الكاهن اسم الرَّب بالبركة. أي أن الرَّب نفسه هو الذي يبارك بواسطة الكاهن، ولكن في ذات الوقت لا غنى عن الكاهن لكي تجتاز بركة الرَّب إلى الشَّعب. ولعله من أبدع الصَّلوات الليتورجيَّة التي توضِّح هذا المعنى هو ما ورد في ليتورجيَّة التَّقليد الرَّسولي: "يا الله ضابط الكل ... بارك الكلَّ بالمسيح، الذي به لك معه ومع الرُّوح القُدُس، المجد والقدرة، الآن وكل أوان وإلى أبد الدُّهور، آمين" (فصل ٧).

ومن الكتاب المقدَّس نجد أن بركة الإنسان للإنسان - على سبيل الحصر - لا تكون إلاَّ من داخل الأبوَّة كبركة الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب لبنيهم، أو من داخل الكهنوت، كبركة هارون وبنيه للشَّعب، وهي البركة الشَّائعة بالأكثر، أو لأحد الأنبياء، مثل صموئيل على اعتبار

أن النبي ينطق البركة بفم الله. إلى جانب البركة التي بارك بها داود الملك أو سليمان الملك الشَّعب كملكين ممسوحين مسحة مقدَّسة بالزَّيت المقدَّس بواسطة أحد الأنبياء.

نخلص إلى القول أن الله يبارك الإنسان وكل الخليقة العاقلة وغير العاقلة، وأن الإنسان وكل الخليقة تبارك الله، أما الإنسان في مباركته للإنسان ببركة الرَّب فتكون عن طريق من ينيبهم الله في ذلك. وهكذا فإن نطق الكاهن بعبارة "باركوا عليَّ" تعني أنه يوجِّه خطابه إلى إخوته الكهنة وليس إلى الشَّمامسة أو الشَّعب. لأنه بحسب قوانين الرُّسل القبطيَّة "الأسقف يبارِك ولا يُبارك عليه،... ويقبل الأولوجيَّة[٢٤] (البركة) من الأساقفة، وليس من القسوس. والقسيس يبارك، ولا يُبارك عليه، ويقبل الأولوجيَّة (البركة) من الأسقف، ومن شريكه القسيس، الشمَّاس لا يبارك، ولا يعطي أولوجيَّة (البركة)، ويأخذها من الأسقف ومن القسيس" (القانون ٥٧١:١، ٣، ٤).

وإن ما يؤكِّد ذلك هو أن الكاهن أثناء صلواته وفي حضور كاهن آخر، أو كهنة آخرين، يكرِّر عبارة "بارك"، أو "باركوا"، وهو يوجِّهها للكهنة فقط دون الشَّمامسة والشَّعب.

إذاً؛ فعبارة "باركوا عليَّ، ها ميطانية، اغفروا لي" يختص الجزء الأوَّل منها "باركوا عليَّ" بخطاب موجَّه إلى الكهنة فقط، وليس إلى الشَّمامسة أو الشَّعب. أما الجزء الأخير وهو: "ها ميطانية اغفروا لي" فهي طلبة توافق أن يطلبها الكاهن من كل الحاضرين الصَّلاة في الكنيسة.

يقف الكاهن أمام باب الهيكل، وينتحي قليلاً إلى النَّاحية البحريَّة

٢٤ـ الأولوجيَّة، أي البركة، أو بالتَّحديد لقمة البركة.

منه[٢٥]، ويقف الشمَّاس إلى خلف ويمين الكاهن[٢٦]، ماسكاً الصَّليب في يده كلّما وقف لتلاوة الإبروسات ههنا وفي كل وقت[٢٧].

وأن يمسك الشمَّاس صليباً عند ترديده للإبروسات، هو ما يذكره القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي، ولم يرد شئ عن ذلك عند البابا غبريال الخامس[٢٨]. ومن المعروف أن للمذبح صليباً واحداً فقط، وهو الصَّليب الذي تتمَّم به كل الخدمة، وهو يتنقّل بين الكاهن والشمَّاس حيث لا يحدث أي تداخل بينهما في استخدامه في نفس الوقت.

توضيح لعبارة: "ها ميطانية"

بادئ ذي بدء أشير أولاً إلى التَّرجمة الدقيقة لعبارة ⲓⲥ ⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ (يس تي ميطانيا). فعبارة "ها ميطانية" ليست ترجمة عربيَّة للنَّص القبطي المذكور، بل تعريباً له فحسب. إذ تأتي هذه العبارة القبطيَّة في اللّهجة البحيريَّة هكذا ⲓⲥ ⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ (يس تي ميطانيا)، وهو ما تذكره كل الكتب الكنسيَّة التي بين أيدينا والتي تستخدم هذه اللّهجة البحيريَّة. كما

٢٥ـ وهو تعبير تقوي على أننا احتزنا النَّهار كله كعبيد بطالين، لم نفعل شيئاً من الصَّلاح، فوقفنا إلى جوار قائمة باب الهيكل بمشاعر الإنسان الخاطئ الذي يطلب إلى الله أن يحسبه ضمن أصحاب السَّاعة الحادية عشرة. وهكذا كان يعلِّم مثلث الرَّحمات نيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربية السابق، والمتضلِّع في طقوس وألحان الكنيسة القبطيَّة.

٢٦ـ هذا في الطَّقس القبطي، أما في الطَّقس البيزنطي فيقف الشمَّاس عن يمين الكاهن أمام الباب الملوكي

انظر: القدَّاس الإلهي ليوحنا ذهبي الفم، منشورات النور، ١٩٦٦م، ص ٤

٢٧ـ كتاب الخولاجي المقدَّس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٢٠

٢٨ـ يلزم التنويه هنا أننا حين نذكر ما يقوله القمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي، فنعني ما يقوله في حواشي خولاجي سنة ١٩٠٢م، وإن ذكرنا ذلك الخولاجي فقط فنحن نعني أيضاً أن هذا ما يقوله الأب المذكور. ونفس الشئ ينطبق على البابا غبريال الخامس وعلى كتابه "التَّرتيب الطَّقسي".

تأتي هذه العبارة في اللّهجة القبطيَّة الصعيديَّة بنفس النطق السَّابق ذكره، هكذا: ⲉⲓⲥ ⲧⲉⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ . وهذا التَّعبير هو في الحقيقة اصطلاح قبطي يعني في كلا اللّهجتين البحيريَّة والصعيديَّة: "أسأل – I beg". فتكون التَّرجمة الدَّقيقة لهذه العبارة الكثيرة التِّكرار في صلواتنا الليتورجيَّة هو: "باركوا عليَّ، أسأل، اغفروا لي"(٢٩).

ولقد اتَّفقت كل مصادرنا الطَّقسيَّة قديمها وحديثها على أن الكاهن في بدء الصَّلاة يسجد لله أمام باب الهيكل، ويقبِّل عتبة باب الهيكل بفمه، وهو يقول: "نسجد لك أيها المسيح ...".

ويذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والذي تعود نساخته إلى سنة ١٤٤٤م في حديثه عن نزول الأب البطريرك إلى الكنيسة للصَّلاة ما يلي: "ويبتدئون أمامه بالقراءة وهم نازلين البيعة ... إلى أن ينتهوا إلى باب المذبح (أي الهيكل) يأخذ الأسقف أو الكاهن الكبير القضيب من الأب البطريرك، **ويضرب البطريرك الميطانية لمذبح الله، ويقبِّله بفيه**، ثمَّ يأخذ القضيب ويتوجَّه يقف مكانه بالخوروس ..."(٣٠).

وبعد هذا السجود لله عند عتبة باب الهيكل، افترقت مخطوطات الخولاجيَّات إلى قسمين:

القسم الأوَّل منها – ويمثلها مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر – يقول بأن الكاهن يلتفت إلى إخوته الكهنة ويضرب لهم ميطانية وهو يقول "باركوا عليَّ، ها ميطانية، اغفروا لي"، ويفعل نفس الشئ للشَّمامسة. وهو الطَّقس الذي يذكره البابا غبريال الخامس والذي ينقله عنه الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.

٢٩- معوض داود عبد النور، قاموس اللغة القبطيَّة، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٨٥
٣٠- الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ٥

أمَّا القسم الثاني من المخطوطات — ويمثله مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر — فيذكر أن الكاهن يلتفت إلى ناحية الكهنة والشَّمامسة ويخضع لهم سائلاً لهم أن يساعدوه في الطلبة، ثمَّ يقول: "إشليل، إفلوجيسون، إيريني باسي"[٣١]، وإذا قال ذلك يطامن رأسه للكهنة، ويلتفت يرشم الشَّعب بعلامة الصَّليب ... الخ.

وهنا يتَّضح لنا أن ممارستين طقسيتين: **الممارسة الطَّقسيَّة الأولى** هي سجود الكاهن أمام الرَّب على عتبة باب الهيكل، ثمَّ سجوده إلى الأرض مرَّة أخرى لإخوته الكهنة والشَّمامسة. أمَّا **الممارسة الطَّقسيَّة الثانية** فهي سجود الكاهن أمام الرَّب على عتبة باب الهيكل، ثمَّ يخضع برأسه بانحناءة إلى ناحية الكهنة والشَّمامسة.

ففي الممارسة الطَّقسيَّة الأولى تُرجمت عبارة ⲓⲥ ϯⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ (يس تي ميطانيا) إلى "ها ميطانية"، أي ميطانية كاملة إلى الأرض. وفي الممارسة الطَّقسيَّة الثانية تُرجمت نفس هذه العبارة إلى "أسأل".

ولو أخذنا تعبير "يضرب ميطانية" الذي يذكره البابا غبريال الخامس، ومن بعده الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م على أنه لا يعني ميطانية كاملة إلى الأرض، بل انحناءة رأس فقط، يكون ابن سباع هو المصدر الطَّقسي الوحيد الذي ذكر صراحة أن الكاهن يسجد إلى الأرض سجوداً كاملاً للكهنة والشَّمامسة والشَّعب، بعد سجوده لله.

لقد سادت الممارسة الطَّقسيَّة الأولى في كنائس الأديرة حتى اليَّوم، بينما انتشرت الممارسة الطَّقسيَّة الثانية في كنائس المدن. ففي كنائس

٣١- النص بين القوسين مترجم مباشرة من القبطيَّة، حيث يرد النَّص القبطي فقط في مخطوط الخولاجي رقم (ط ١٤٧).

المدن، وحتى اليَّوم، يسجد الكاهن لله أمام باب الهيكل سجوداً كاملاً، أي يعمل ميطانية كاملة Prostration ، ثم يلتفت غرباً ويعمل انحناءة امتثال (أو ما يُعرف في الكنيسة البيزنطيَّة باسم ميطانية صغيرة Obeisance) لإخوته الكهنة وباقي الإكليروس[٣٢]، وكل الشَّعب[٣٣].

وهكذا تتَّفق الممارسة الثانية مع المفهوم المتَّسع للميطانيا، بأنها لا تعني فقط السجود الكامل إلى الأرض، بل تعني أيضاً انحناءة الرأس.

بدء صلاة الشكر

يخاطب الكاهن الشمَّاس بقوله بالقبطيَّة ϢⲖⲎⲖ (إشليل) أي "صلِّ"، فينادي الشمَّاس بوضوح على كل الشَّعب بقوله باليونانيَّة ἐπὶ προσευχὴν στάθητε أي "للصَّلاة قفوا".

وجدير بالذكر أن كل ممارسة طقسيَّة يمارسها الشَّعب سواء كانت صلاة، أو وقوف، أو ركوع، أو سجود، أو إنصات، أو انصراف، تكون دائماً بنداء من الشمَّاس موجَّه إلى الشَّعب. وهو وضع فريد تتميَّز به الليتورجيَّة القبطيَّة، حيث لا غنى أبداً عن دور الشمَّاس في الخدمة الليتورجيَّة فيها. لذلك فإن معظم - إن لم يكن كل - إبروسات (مردَّات) الشمَّاس تكون باللغة اليونانيَّة، وهي اللغة التي كان يفهمها الشَّعب قديماً، فلا عجب إذاً إذا تُرجمت مردَّات الشمَّاس إلى اللغة العربيَّة، أو اللغة الوطنية التي تتمَّم بها الليتورجيَّة، حتى يمكن للشَّعب أن يفهم قوَّة النِّداء الموجَّه إليه فيمتثل له.

32_ O.H.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church..., op. cit.*, p. 50.

33_ O.H.E. Burmester, *Vesting Prayers And Ceremonies Of The Coptic Church*, in Orien. Christ. Periodica (OCP), vol. 1, 1935, p. 305.

ولدينا مثال على ذلك من الكنائس الشرقيَّة الأخرى، ففي مخطـــوط سرياني محفوظ بمكتبة الفاتيكان تحت رقم (٤١) وهو كتاب ليتورجيَّات يعود إلى القرن الرَّابع عشر، نجد أن مرد الشمَّاس الإنجيلي يـــأتي مـــرَّة باليونانيَّة، وأخرى بالسِّريانيَّة بالتناوب حتى يفهم الشَّـــعب. وفي هـــذا المخطوط وردت المردَّات اليونانيَّة منسوخة بالحروف السِّريانيَّة.

بعد أن يقف الشَّعب للصَّلاة، يخاطبهم الكاهن وهو يرشمهم بعلامة الصَّليب قائلاً: Εἰρήνη πᾶσιν (إيريني باسي) أي "سلام للجميع"، أو ما هو معروف بـــ "السَّلام لجميعكم".

ويذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م وهو ينقل بتصـــرُّف عـــن كتـــاب التَّرتيب الطَّقسي للبابا غبريال الخامس: "عندما يقول الكـــاهن Ìрнин πᾱсι يطامن رأسه نحو إخوته الكهنة ويلتفت إلى الغرب ويرشم الشَّعب بيده اليمنى بمثال الصَّليب". ولكن البابا غبريال الخامس يذكر هنا أمـــراً بالغ الأهميَّة لا زال يُمارس حتى اليَّوم في كنائسنا، برغم أن خولاجي سنة ١٩٠٢م كان قد أغفله. فيقول كتاب التَّرتيب الطَّقسي للبابـــا غبريـــال الخامس: إن الكاهن حين يطامن رأسه نحو إخوته الكهنة يقـــول كلمـــة ϵⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ أي "بـــارك" إن كـــان كاهنـــاً واحـــداً. (أو يقـــول ϵⲩⲗⲟⲅⲓⲧⲉ أي "باركوا" لأكثر من كاهن)، وذلك قبـــل أن يقـــول Ιрнин πᾱсι أي "سلام للجميع". أي أنه في حالة وجـــود كهنـــة في الكنيسة غير الكاهن الخديم، فإن هذا الأخير ينطق بعبارة ϵⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ Ιрнин πᾱсι أي "بارك. ســـلامٌ للجميـــع"، أو ϵⲩⲗⲟⲅⲓⲧⲉ Ιрнин πᾱсι أي "باركوا. سلامٌ للجميع". وهنا يسبق الكاهن فيطلب مـــن الكهنة الحاضرين أن يباركوا الشَّعب حين يحني رأسه نحـــوهم ويطلـــب إليهم قائلاً: باركوا. ومن ثمَّ يلتفت إلى الشَّعب ويباركهم هو بإعطائهم السَّلام برشمهم علامة الصَّليب. وهذا كله يكون بعـــد مـــرد الشـــمَّاس

"للصلاة قفوا".

إلاَّ أن عبارة الكاهن "بارك" أو "باركوا" قد تزحزَّحت إلى الأمام قليلاً عن موضعها حين نسمع الكاهن اليَّوم في الكنيسة يقول: ϣⲗⲏⲗ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ أي "صلِّ. بارك"، في حالة وجود كـاهن واحـد، أو يقول: ϣⲗⲏⲗ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲧⲉ أي "صلِّ. باركوا"، في حالة وجود أكثر من كاهن. فالنداء الأوَّل موجَّه إلى الشمَّاس، والطلب الثاني موجَّـه إلى الكاهن أو الكهنة الحاضرين الخدمة.

وإنه لمن العجيب حقاً أن يظل هذا التَّقليد معمولاً به في الكنيسـة حتى الآن برغم أن الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م ـ والمعُتـبر المرجـع الأوَّل لطقس القدَّاس الإلهي، وبرغم ما له من تـأثير طـاغ في بعـض ممارسات أخرى ـ قد أغفل ذكر ذلك.

وهكذا في كل مرَّة يلتفت الكاهن ليرشم الشَّعب بعلامة الصَّـليب يطامن رأسه أولاً إلى ناحية إخوته الكهنـة دون أن يقـول "بـارك أو باركوا"، لأنه يقولها فقط في بدء كل صلاة. وبدء أي صلاة يتقـدَّمها دائماً نداء الشمَّاس: "للصلاة قفوا".

أما إذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فهو الـذي يقـول "سلام للجميع"، دون عبارة "بارك" أو "باركوا" التي يقولها للكهنة.

ويقول القس سمعان بن كليل (القرن الثاني عشـر): "إن الكـاهن عندما يرشم الشَّعب قائلاً السَّلام لجميعكم، فهو لا يقدِّم السَّـلام مـن عنده، وإنما برشم الصَّليب يرفع عقولهم إلى الذي يعطـي السَّـلام، أي الملك المبارَك القدُّوس الذي قال: «السَّلام على جميعكم» بعـد قيامتـه المحيية، وهو حاضر في وليمته الكهنوتية والملوكية، ويصافح ضـيوفه

والمدعوين إلى عشائه عندما يمد لهم صولجان ملكه، أي الصَّليب المكرَّم ... المتكلم هو الكاهن، ولكن الواهب هو ربنا يسوع الذي وصفه بولس بأنه السَّلام نفسه" (٣٤).

أما جواب الشَّعب فيكون دائماً "ولروحك أيضاً". وهنا يلزم الإشارة إلى أن الشَّعب كله مجتمعاً يمكنه أن يقول للكاهن أو للأسقف "ولروحك أيضاً" أي ولروحك السَّلام أيضاً. لأنه إن اجتمعت الكنيسة فعليها حتماً واجب الصَّلاة من أجل الرُّعاة، حتى إلى الصَّلاة لله ليهبهم السَّلام أيضاً، وهي نقطة جديرة بالاهتمام سنعود إليها مرة أخرى عند حديثنا عن القدَّاس الإلهي.

وورد في خولاجي أنبا بطرس أسقف بابليون (القرن الثالث عشر): "ولا يرشم الشَّعب على الكاهن علامة الصَّليب عندما يقول: ولروحك أيضاً. لأن المؤمن يرشم ذاته بالصَّليب من حيث أنه قد نال هذا في المعموديَّة والميرون، ولكنه لا يرشم غيره، لأن رشم الغير هو نوال قوَّة الصَّليب في سر الكهنوت" (٣٥).

صلاة الشُّكر

وهي الصَّلاة التي نفتتح بها كل خدمة ليتورجيَّة في الكنيسة. ويتخلَّل صلاة الشُّكر مردَّان للشَّماس: الأوَّل هو: "صلوا"، والثاني هو: "اطلبوا لكي يرحمنا الله ويتراءف علينا ...". أما جواب الشَّعب على معظم مردَّات الشمَّاس فتكون دائماً: "يارب ارحم". ففي كل مرَّة يأمر فيها

٣٤ـ معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٤٦
٣٥ـ المرجع نفسه، ص ٦٢

الشمَّاس بقوله: صلُّوا ... أو اطلبوا ...، يكون جواب الشَّعب: يـــارب ارحم. ومرد "يارب ارحم" هو المرد الذي سمعته السَّـــائحة الأســـبانيَّة إيجيريا (القرن الرابع الميلادي) في كنيسة أورشليم في صلاة الغروب Vespers.

ولكن يبدو أن هناك ما يدعونا إلى الظّن بأن المرد "آمين" كان هو المرد الأقدم، ثم حل محله منذ وقت مبكّر مرد "يارب ارحم"، ذلك لأن إيجيريا عندما سمعت هذا المرد الأخير ذكرته كشئ جديد يصل إلى أذنيها، فجذب انتباهها(٣٦). وكان المرد في صـــلوات الأواشـــي أي الطلبـــات التوسليَّة Litany في الطّقس الآشوري والذي تردِّده كل الجماعـــة هـــو "آمين"، وهو المرد الذي يستمد أصولهُ من ليتورجيَّة المجمع اليهودي. أمَّا في الشَّرق اليوناني فإن المرد "كيرياليسون ـ يارب ارحم" قد اكتســـب موافقة عامة بين جميع الطقوس، إذ يردِّده كل طقس بلغته الوطنية(٣٧).

وفي أثناء صلاة الشُّكر يرشم الكاهن ثلاثة رشومات:

فعندما يقول: "... انزعها عنا(٣٨)... " يلتفت إلى إخوته الكهنـــة ويطامن رأسه ناحيتهم، ويرشم على ذاته مثال الصَّليب(٣٩).

36_ Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, p. 46.

37_ *Ibid.*, p. 75.

٣٨ـ أي مؤامرات الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين.

٣٩ـ هذا ما يذكره نصاً البابا غبريال الخامس، ويتَّضح هنا أن وقوف الكهنة غير الخادمين خدمة القدَّاس كان في داخل الهيكل وليس خارجه كما هو حـــادث الآن. وما يؤكِّد ذلك أن الرَّشم الثاني يبدأه البابا غبريال بقوله: "يلتفت إلى الغرب ويرشم كل الشَّعب ...". ولما تبدَّل مكان وقوف الكهنة، وأصبح من غير الممكن تنفيذ ما يذكره البابا غبريال، فقد اكتفى القُمُّص عبد المسيح فيما يختص بالرَّشـــم الأول أن يقول: "يطامن الكاهن رأسه إلى الشَّرق ويرشم ذاته بمثال الصَّـــليب ..."، وعلـــى ذلك فلم يكن من معنى هنا لأن يطامن الكاهن رأسه شرقاً حين يرشم ذاته بالصَّليب، فالأصل في الطَّقس أن الكاهن كان يطامن رأسه لإخوته الكهنة الموجودين في يمـــين

وعندما يقول: "وعن سائر شعبك[٤٠]..." يلتفت إلى الغرب، ويرشم كل الشَّعب بمثال الصَّليب[٤١]، لكي تبطل علامة الصَّليب المحيي أفعال الشياطين، ليس لأنهم كائنين في الكنيسة، ولكن أفعالهم تظل في النفوس التي تدنست. هؤلاء يزرعون الشِّقاق في الكنيسة، ويدنِّسون المحبَّة الأخويَّة، لاسيَّما بالنَّميمة. من أجل ذلك يرشم الكاهن الشَّعب داعياً إياهم إلى اليقظة الروحيَّة، وإلى أن يحفظوا ثوب معموديَّتهم غير دنس.

وعندما يقول: "وعن هذه المائدة[٤٢]..." يلتفت إلى الشَّرق، ويرشم على المذبح. واعلم أن هذه المائدة طاهرة في كل شئ، ولكن لأننا نحن الذين نضع الصَّعيدة فلا تكون هذه الصَّعيدة مقبولة إلاّ بالوحدة والسَّلام وأُلفة المحبَّة التي يصنعها الصَّليب المحيي. ونحن عندما نتدنَّس بأفعال المضاد إبليس لا نعود نرى على المائدة خبز الحياة النَّازل من السَّماء الواهب الحياة، لذلك يرشم الكاهن المائدة لكي تستنير عيون الشَّعب كله، ويعلم أنه سوف يشترك في طهارة الصَّليب وقوَّة القيامة بالتمسُّك بوصيَّة الحياة أي المحبَّة[٤٣].

وتتَّفق كل الخولاجيَّات المخطوطة والمطبوعة على هذه الرشومات المصاحبة لصلاة الشُّكر.

الهيكل، أي عن يساره بينما هو متَّجه شرقاً.

٤٠ـ إذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً هو الذي يرشم الشَّعب بالصَّليب، ويقول: وعن سائر شعبك.

٤١ـ هذا ما يذكره البابا غبريال الخامس، أما القُمُّص عبد المسيح فيضيف: "يلتفت إلى الغرب **عن يمينه**، ويرشم ...".

٤٢- في رفع بخور عشيَّة يقول: "وعن هذا الموضع"، وفي رفع بخور باكر يقول: "وعن هذه الكنيسة"، وفي القدَّاس الإلهي بعد تقدم الحمل يقول: "وعن هذه المائدة".

٤٣ـ معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ٦٣، ٦٤

بانتهاء صلاة الشُّكر، يذكر القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي أن الكاهن ''**يقبِّل عتبة باب المذبح (الهيكل) بيده**، ويصعد إلى الهيكل برجله اليُمنى، ويطامن برأسه على المذبح ويقبِّله بفمه''، وهي واحدة من الممارسات الطَّقسيَّة الحديثة نوعاً التي انتشرت في بعض الأرجاء دون بعضها الآخر. أما البابا غبريال الخامس في كتابه ''التَّرتيب الطَّقسي''، فلم يذكر تلك العادة، بل يقول صراحة: ''أما الكاهن **فيقبِّل عتبة المذبح (الهيكل) بفيه**، ويصعد إلى الهيكل برجله اليُمنى، ويطامن برأسة على الهيكل (المذبح) ويقبله بفيه[٤٤]...''.

ولم تذكر مخطوطات الخولاجيات أن الكاهن يقبِّل عتبة باب الهيكل **بيده**، حيث يذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر ما يلي: ''... يكمل صلاة الشُّكر إلى آخرها. ثمَّ يقبِّل عتبة باب المذبح. ويصعد برجله اليمنى ويقبل المذبح بفاه (بفيه) ...''. وهو نفس ما يذكره مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر[٤٥].

دورة البُخور حول المذبح، وأرباع النَّاقوس

هناك طقسان يمارَسان معاً وفي نفس الوقت في هذه المرحلة من صلوات رفع البُخور: الطَّقس الأوَّل هو دورة البُخور حول المذبح، والطَّقس الثاني هو ترتيل أرباع النَّاقوس.

والدِّراسة التاريخيَّة لهذه المرحلة الطَّقسيَّة من رفع البُخور توضِّح لنا

---

٤٤ ـ البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٤٨

٤٥ - أمَّا مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م)، فهو الوحيد الذي يقول: ''يكمل بقيَّة الشبهموت إلى آخرها. وعند نهايتها يقبل عتبة الهيكل بيده''.

جلياً أن طقس أرباع النَّاقوس هو طقس صار متوازياً مع طقس أسبق منه، وهو طقس دورة البُخور حول المذبح، حتى جعل من هذا الأخير طقساً صامتاً، أي أنه أصبح يُتمَّم بواسطة كل من الكاهن والشمَّاس على مرأى من الشَّعب فقط دون مسمع منه، أو مشاركة له.

دورة البُخور حول المذبح

بعد أن يسجد الكاهن أمام باب الهيكل ويُقبِّل عتبته، يصعد إليه[٤٦]، ويُقبِّل المذبح بفيه. فيقدِّم له الشمَّاس المجمرة، فيتناولها بيده اليسرى حسب ترتيب البابا غبريال الخامس، أو يمسكها الشمَّاس كما يذكر القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي[٤٧]. فيأخذ الكاهن دُرج البُخور بيده اليمني ويلتفت إلى ناحية إخوته الكهنة[٤٨]، ويطامن رأسه ويقول: ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲧⲉ أي "باركوا"، وإن كان كاهناً واحداً فيقول: ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ أي "بارك". فيطامنون رؤوسهم ويجاوبونه: ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ أي "بارك أنت". فيضع دُرج البُخور مكانه، ويرشمه بمثال

٤٦ـ الصعود إلى الهيكل يكون دائماً بالقدم اليمني والوجه ناحية الشَّرق، والخروج منه يكون بالقدم اليسرى والوجه ناحية الشَّرق أيضاً.

٤٧ـ من الآن فصاعداً، عند ذكرنا للأب القُمُّص المذكور سنكتفي بعبارة "القُمُّص عبد المسيح" لنشير بها إلى الأب القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي.

٤٨ـ يذكر البابا غبريال: "... ويلتفت إلى ناحية إخوته الكهنه عن يمين المذبح ..."، وهو تأكيد لما سبق أن ذكرته منذ قليل، أن وقوف الكهنة غير القائمين بالخدمة هو في داخل الهيكل وعن يمين المذبح. أما القُمُّص عبد المسيح فذكرها: "... ويلتفت إلى إخوته الكهنة عن اليمين ...". أي يلتفت غرباً من جهة اليمين إلى إخوته الكهنة، وهي الممارسة التي قلَّ الالتزام بها اليوم، بعد أن ابتعد وقوف الكهنة عن المذبح.

الصَّليب ويقول: "باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس إله واحد[٤٩]".

ثم يرفع البُخور يداً أولى ويقول: "مباركٌ الله الآب ضابط الكل آمين".
ثم يرشم الدُّرج مرَّة ثانية مثال الصَّليب، ويرفع البُخور يداً ثانية وهو يقول: "مباركٌ ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين" [٥٠].

ثم يرشم الكاهن الخديم دُرج البُخور رشماً ثالثاً بمثال الصَّليب، ويرفع البُخور يداً ثالثة وهو يقول "مباركٌ الرُّوح القُدُس المعزي آمين".

ثم يرفع البُخور يدين بغير رشم تتمَّة خمسة أيادي وهو يقول: "مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدُّوس الآب والابن والرُّوح القُدُس الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور آمين"[٥١].

هذا الجزء من الصَّلوات على قدر عال من الأهميَّة إذ تَسمَّى الطَّقس كله به، أي "طقس رفع البُخور". وإن مباركة الثالوث القدُّوس الآب والابن والرُّوح القُدُس، يكون دائماً هو محور الصَّلاة وأساسها، والذي تنبني عليه بقيَّة الصَّلوات الأخرى. فطقس تقديم الحمل يبلغ ذروته عند مباركة الآب والابن والرُّوح القُدُس، وهو نفس ما يحدث في القدَّاس

٤٩ـ ذكر القُمُّص عبد المسيح أن الكاهن يضع إصبعه على درج البُخور عندما يقول ذلك، وهو ما لم يشر إليه البابا غبريال الخامس.

٥٠ـ وإن كان معه كاهن شريك أو أكثر، فلا يرشم الرَّشم الثاني ولا يرفع اليد الثانية، لكن الرَّشم الثاني ورفع البُخور في اليد الثانية للشَّريك إن كان الكهنة كثيرين أو قليلين، فاليد الثانية لهم جميعاً واحداً بعد واحد.
أما إن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً، فيقدِّم إليه الكاهن درج البُخور، ويقدم الشمَّاس المجمرة، فيرشم الدُّرج ويرفع البُخور إلى الشورية كالعادة، وفي الرشَّم الثاني يعطي للكاهن البُخور في يده، فيضعه هذا الأخير في الشورية بدون رشم وهو يقول: "مباركٌ ابنه الوحيد ...".

٥١- هنا يضيف مخطوط ترتيب البيعة برقم (١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م) ما يلي: "ثمَّ يرشم صليباً واحداً على المجمرة، ثمَّ يقف الكاهن ووجهه إلى الشَّرق وهو يقول أوشيَّة بخور صلاة عشيَّة ...".

الإلهي عند الرشومات على الخبز والخمر.

أليس غريباً حقاً أن يتحوَّل هذا الجزء من الطَّقس في صلاة رفع البُخور، وما يليه من دورة البُخور حول المذبح، إلى طقس سري لا نسمع فيه الكاهن وهو يصلي مباركاً الله، أو مصلياً الأواشي؟ برغم أن كل الكتب الطَّقسيَّة قديمها وحديثها لا يشير إلى أن هذه الممارسة هي ممارسة سريَّة، أي أنها ليست محسوبة ضمن الصَّلوات السريَّة.

إن تطوراً قد طرأ على هذه الجزئيَّة من الطَّقس، لأن دورة الكاهن بالبُخور حول المذبح ومقابله الشمَّاس لا زالت حتى اليَّوم تحوي في مضمونها أنها خدمة طقسيَّة جهاريَّة، يردِّد فيها الشمَّاس إبروسات (مردَّات) تبدأ بكلمة "صلُّوا ..." موجِّهاً نداءه إلى الشَّعب.

وفي السُّطور القادمة سأُورد في المتن ما يذكره البابا غبريال الخامس في (ص ٤٩، ٥٠) من كتابه "التَّرتيب الطَّقسي"، عن دورة البُخور حول المذبح، بعد أن أصلحتُ فقط منطوق الكلمات هجائياً، وترجمتُ العبارات القبطيَّة إلى العربيَّة، وقسَّمتُ الكلام إلى جمل وفقرات للتَّسهيل على القارئ. أما في الهامش فأُورد ما يذكره القُمُّص عبد المسيح البراموسي خلافاً لما يقوله كتاب "التَّرتيب الطَّقسي". أو تعقيبات على النَّص في المتن.

فبعد أن يضع الكاهن خمس أيادي بخور في الشورية كما سبق أن ذكرنا، يقف في مكانه ووجهه للشَّرق ويبتدئ بأوشيَّة رفع بخور عشيَّة[٥٢]. فيقول بالقبطيَّة ϢⲗⲏⲗⲒ (إشليل) أي "صلِّ"، يجاوبه

٥٢- يذكر القُمُّص عبد المسيح في (٣٥) من خولاجي سنة ١٩٠٢م أن الكاهن يقول أوشية بخور عشيَّة "**سراً**" للابن. وهي إضافة من عنده.

الشمَّاس باليونانيَّة ἐπὶ προσευχὴν στάθητε أي ''للصَّـلاة قفـوا''، فيقول الكاهن باليونانيَّة Εἰρήνη πᾶσιν (إيريني باسـي) أي ''السَّـلام للكُـل''، فيجاوبـه الشَّـعب قـائلين: Καὶ τῷ πνεύματί σου أي ''ولروحك أيضاً''(٥٣).

فيقول الكاهن أوشية بخور عشيَّة، وهي: ''أيها المسيح إلهنـا العظـيم المخوف ...''، إلى عند قوله: ''... وصعيدة (وذبيحة) طـاهرة''. فيقـول الشمَّاس ''صلُّوا من أجل ذبيحتنا والذين قدَّموها''، ثم يقول الكاهن تتمَّـة هذه الأوشيَّة المذكورة.

وعندما يقول الكاهن: ''نسألك يا سيِّدنا، اذكـر يـارب سـلام كنيستك الواحدة ...'' كاملة، يقول الشمَّاس الإبروسات(٥٤). ثم يقبِّل الكاهن المذبح بفيه(٥٥) ويتوجَّه إلى الجانب القبلي وهو يقـول: ''هـذه الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقاصيها''، إلى عند ذكر البطريرك يقول

٥٣ـ واضح هنا أن تطوُّراً قد طرأ على هذا الجزء من الطَّقـس؛ إذ لمـن يقـول الشمَّاس ''للصَّلاة قفوا''، فمرد الشمَّاس هنا موجَّه لجماعة من الناس أي الشَّـعب. فكلمة στάθητε تعني ''قفوا أنتم'' في صيغة جمع المخاطبين. ثم لمن يقول الكـاهن: ''السَّلام للكل''؟. فكلمة πᾶσιν أي ''الكل''، تعني أن الكاهن يعطي السَّلام لكل الحاضرين، أما محاولة جواب الشمَّاس على الكاهن بقوله: ''ولروحك أيضاً'' نيابـة عن الشَّعب فهي لسد ثغرة حدثت بعد أن توقَّف دور الشَّعب في هذا المرد المختـص به وحده.

وينهج مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر نفس مـا ينهجـه كتـاب الترتيب الطَّقسي. أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر فقد جعل مـن أوشيَّة بخور عشيَّة صلاة سريَّة، فيقول عن هذه الأوشيَّة: ''وعند كمال ذلك يقـف مكانه ويقرأ هذا السِّر''.

٥٤ـ أي مرد سلام الكنيسة ''صلوا من أجل سلام الواحدة الوحيدة ...'' ولاحظ هنا أيضاً وفي المردَّات التالية أن الشمَّاس يقول: ''صلُّوا ...''، فالنداء موجَّه إلى الشَّعب.

٥٥ـ يضيف القُمُّص عبد المسيح: ''أو يسجد فوقه برأسه لله''.

الشمَّاس: "صلُّوا من أجل رئيس كهنتنا ..."، ثم يقول الكاهن "بالحفظ احفظه لنا ..." وهو متَّجه إلى مكان الشمَّاس[٥٦] في القدَّاس ووجهه إلى الغرب[٥٧]. (ثم) يقول[٥٨]: "اذكر يارب اجتماعاتنا ..."، يقول الشمَّاس: "صلُّوا من أجل هذه البيعة المقدَّسة واجتماعاتنا"، ثم يقول الكاهن: "أعط أن تكون لنا ..." **وهو ماشي** مكانه أولاً إلى الشَّرق[٥٩]. (ثم) يقول: "قم أيها الرَّب ..." **وهو ماشي** إلى مكان الشمَّاس للغرب[٦٠]. (ثم) يقول: "أما شعبك ..." **وهو ماشي** إلى مكانه للشَّرق[٦١]. (ثم) يقول[٦٢]: "هذا الذي يليق بك معه ومع الرُّوح ..." ويكمل بها الدَّورة الثالثة. ثم يقبل المذبح بفيه وينزل من المذبح برجله اليسرى ووجهه للشَّرق ويعطي البُخور أمام المذبح ثلاث دفوع.

فمن النَّص السَّابق ذكره والذي يعود إلى القرن الخامس عشر، وطبقاً لكتاب التَّرتيب الطَّقسي للبابا غبريال الخامس، وهو المرجع الرئيسي الذي نقل عنه القُمُّص عبد المسيح المسعودي كل الحواشي تقريبا

٥٦ـ هذه الملاحظة في غاية الأهميَّة، لأنها تطلعنا على أن مكان الشمَّاس في خدمة القدَّاس الإلهي كان لازال حتى القرن الخامس عشر الميلادي في نفس مكانه الطَّقسي القديم الذي نقرأ عنه في مصادر القرون الأولي، وهو الجهة الشرقيَّة من المذبح.

٥٧ـ وهكذا بحسب ترتيب البابا غبريال الخامس يكون الكاهن قد ردَّد أوشيَّة سلام الكنيسة، وأوشيَّة الآباء في أثناء انتقاله من غرب المذبح إلى شرقه أي في خلال النصف الأول من الدَّورة الأولي.

٥٨ـ الكاهن سيبدأ الآن أوشيَّة الاجتماعات وهو واقف شرقي المذبح ووجهه إلى الغرب في مواجهة الشَّعب.

٥٩ـ هنا تكتمل الدَّورة الأولي حول المذبح.

٦٠ـ هنا يكتمل النصف الأول من الدَّورة الثانية حول المذبح.

٦١ـ بذلك تكتمل دورتان كاملتان حول المذبح.

٦٢ـ هذه الذُّكصا الأخيرة التي سيقولها الكاهن تستغرق ـ بحسب ترتيب البابا غبريال الخامس ـ كل الدَّورة الثالثة.

التي أوردها في الخولاجي الذي طُبع في سنة ١٩٠٢م، نستطيع أن نتعرَّف بسهولة على الفرق بين ما يذكره البابا غبريال الخامس وما يذكره القُمُّص عبد المسيح بخصوص طقس دورة البُخور حول المذبح.

فالبابا غبريال الخامس يعطي لأوشيَّة الاجتماعات كل الثلاث دورات حول المذبح باستثناء نصف الدَّورة الأولى التي يصلي الكاهن في أثنائها أوشيتي السَّلامة والآباء. أما القُمُّص عبد المسيح فقد ذكر ترتيباً آخر، حين صارت أوشية الاجتماعات تبدأ مع بداية الدَّورة الثانية. أي أننا أمام ممارستين طقسيتين على الأقل في هذه الجزئيَّة من صلوات رفع البُخور، سادت الواحدة وتوارت الأخرى.

ثم أن القُمُّص عبد المسيح قد ذكر أن الكاهن حين ينتقل في الدَّورة الثانية إلى شرقي المذبح ويجعل وجهه إلى الغرب **يبخِّر ويقول:** "بيوت صلاة بيوت طهارة ...". ثم ينتقل إلى غربي المذبح ويجعل وجهه إلى الشَّرق **ويبخِّر ويقول:** "قم أيها الرَّب الإله ...". ثم ينتقل إلى شرقي المذبح ويجعل وجهه إلى الغرب ويبخِّر ويقول: "وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف ...". ثم ينتقل إلى غربي المذبح ويجعل وجهه إلى الشَّرق **ويبخِّر ويقول:** "بالنِّعمة والرأفات ...".

وهنا يتَّضح الفرق بين ما يذكره القُمُّص عبد المسيح وبين ما يذكره البابا غبريال الخامس، في طقس دورة البُخور حول المذبح، وإن كان بنفس منطوق الصَّلوات. ذلك أن الأوَّل قد حدَّد أن صلاة الكاهن لأوشية الاجتماعات - وكذا أوشية الآباء - حول المذبح تكون في أماكن محدَّدة منه، إما شرقه أو غربه، أما البابا غبريال الخامس فقد جعل الكاهن يردِّد الأواشي أثناء سيره سيراً منتظماً حول المذبح حين كرَّر ثلاث مرَّات أن الكاهن يصلي الأواشي **"وهو ماشي"**، على أن تبدأ

أوشية الاجتماعات في وقت محدَّد من الدَّورات الثلاث وفي مكان محـــدَّد من المذبح. فلا توقُّف إذاً في أثناء الدَّورات الثلاث عند شرق المـــذبح ثم عند غربه لكي **يبخِّر الكاهن ويقول** ... وهو ما لم يشر إليه البابا غبريال الخامس في حين أكَّد عليه القُمُّص عبد المسيح البراموسي ثلاث مرَّات.

ويمكن أن نوجز طقس دورة البُخور حول المذبح في الفقرات التالية:

- كانت دورة البُخور حول المذبح طقساً جهارياً على مسمع مـــن الشَّعب كله، وقد حدث تطوُّر لهذا الجزء من الطَّقس قبل القرن الخامس عشر، حين صار طقساً يقول الكاهن صلواته سراً بعد أن انشغل الشَّعب بطقس آخر دخل على التَّوازي مع طقس دورة البُخور حول المذبح وهو طقس ترتيل أرباع النَّاقوس.

- الطَّقس الذي يورده كتاب الخولاجي الذي طُبع ســـنة ١٩٠٢م، عن دورة البُخور حول المذبح، به بعض التطوُّر عن نفس الطَّقس كما يرد في كتاب "التَّرتيب الطَّقسي" للبابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م).

- يدور الشمَّاس حول المذبح مقابل الكاهن ممسكاً في يده صـــليباً، كما ذكر القُمُّص عبد المسيح حين يقول: "يمسك الشمَّاس الصَّليب في يده كلما وقف لتلاوة الإبروسابات[٦٣] ". أما البابا غبريال فلـــم يـــذكر ذلك، ولكن في إشارة طقسيَّة تعود إلى القرن الثاني عشـــر المـــيلادي، نعرف أن الشمَّاس يحمل الصَّليب والبشارة معاً، أو شماسان يحمل أحدهما الصَّليب وإلى جواره شماس يحمل البشارة. "فالطواف بالبشارة والصَّليب يحملهما شماسان أو شماس واحد، ويقف رافعاً الإنجيل بيده ومعه الصَّليب الكبير دلالة على أنهم يحرسون البيعة التي يصلون من أجل سلامها بقـــوة

٦٣ـ كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٢٠

كلمة الله وبسر الصَّليب المجيد[٦٤]".

- لم يعد هناك من داعٍ لأن يردِّد الشمَّاس الإبروسـات في أثنـاء دورانه مقابل الكاهن حول المذبح، لأن الشَّعب يرتِّل أرباع النَّـاقوس، وكانت المردَّات في أصلها موجهة إلى الشَّعب المشارك في الصَّلاة.

- ترتيل الأواشي حول المذبح هو تعبير عن حضور الرَّب في وسط كنيسته التي انتشرت في كل أرجاء المسكونة. فهذه الثلاث أواشي هـي أعمدة حياة الشَّركة المقدَّسة في الكنيسة التي تقوم على السَّلام السَّمائي وسلام بطريرك الكنيسة، وسلام اجتماعاتها وشعبها، لكي تكون بحسب مشيئة الله المقدَّسة، ونمو شعب الله ليس لمجرد الكثرة فحسب، بل لأجل أن يصنع الكل إرادة الله المقدَّسة. فطلبة الكنيسة هي من أجـل شـعب يكمِّل ويتمِّم مشيئة الله وإرادته.

ويذكر الرَّاهب القس سمعان بن كليل (القرن الثاني عشـر) سـبب الدوران حول المذبح أثناء ترديد الأواشي فيقول: "في العتيقة كانت المحلَّة تضرب خيامها حول خيمة الاجتماع، وكان الله حقاً في وسط شـعبه، ولما صارت النِّعمة بتجسُّد ربِّنا يسوع المسيح الذي «سكن فينا» أي في وسطنا، صارت الأواشي التي تقال حول المـذبح (السَّـلامة والآبـاء والاجتماعات) لأنها حدود البيعة وهي ليست حدوداً منظـورة لعـيني الجسد، وإنما هي الحدود والتُّخُم الذي وضعه الآباء الرُّسل، فصارت هذه الصَّلوات تقال بالطواف حول المذبح دلالة على حضور الرَّب في وسط الكنيسة[٦٥]...". ولأن قبول الصَّلوات والطلبات تكون بوساطة المذبح الذي من عنده نبدأ وإليه ننتهي، لسبب الذبيحة الروحانيَّة غير الدمويـة

٦٤ـ معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٦٧
٦٥- نفس المرجع، ص ٦٦

المرفوعة عليه كل حين، ذبيحة الابن، ربّنا يسوع المسيح.

بعد انتهاء دورة البُخور يُقبِّل الكاهن المذبح بفيه، ويترل من الهيكل برجله اليسرى ووجهه إلى الشَّرق(٦٦)، ويعطي البُخور أمام المذبح (الهيكل) إلى الشَّرق ثلاث أياد(٦٧).

- في اليد الأولى: نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس لأنك أتيت وخلَّصتنا.
- في اليد الثانية: وأنا كمثل كثرة رحمتك أدخل إلى بيتك وأسجد نحو هيكلك المقدَّس.
- في اليد الثالثة: أمام الملائكة أرتِّل لك وأسجد نحو هيكلك المقدَّس.

أما القُمُّص عبد المسيح فيضيف ما لم يذكره البابا غبريال الخامس فيقول: "ثم يبخِّر إلى جهة بحري قائلاً لأجل العذراء والدة الإله: نعطيك السَّلام مع جبرائيل الملاك قائلين: السَّلام لك يا ممتلئة نعمة الرَّب معك.

وفي بعض النُّسَخ للعذراء ثلاث أياد.
- اليد الأولى: افرحي يا مريم الحمامة الحسنة التي ولدت لنا الله الكلمة. نعطيك السَّلام ...
- اليد الثانية: السَّلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقيَّة الحقانيَّة، السَّلام لفخر جنسنا، ولدت لنا عمانوئيل.

٦٦ـ يضيف القُمُّص عبد المسيح "ويكون الشمَّاس قد نزل من الهيكل قبله".
٦٧ـ يضيف القُمُّص عبد المسيح "وفي كل يد يخضع برأسه".
ويذكر البابا غبريال الخامس في ذلك أيضاً: أنه "إن كان ثمَّ مهل والإكليروس يرتلون ⲦⲈⲚⲞⲨⲰϢⲦ كالعادة يقول (الكاهن) قدام الإنجيل (وصحتها: "المذبح" وهي خطأ من الناسخ) وهو يعطي البُخور ...". وإن تعبير "يرتلون كالعادة" يهمنا غاية الأهميَّة لأنه يوضح لنا أن أرباع النَّاقوس التي تبدأ بكلمة ⲦⲈⲚⲞⲨⲰϢⲦ أي "نسجد ..." كانت طقساً معتاداً في ذلك الوقت أي في القرن الخامس عشر.

ـ اليد الثالثة: نسألك اذكرينا أيتها الشَّفيعة الأمينة أمام ربِّنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا".

ولم يذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر سوى الثلاث أيادي بخور إلى جهة الشَّرق، أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر فيقول بعد ذكره لهذه الثلاث أيادي بخور إلى جهة الشَّرق ما يلي: "ثمَّ يرفع البُخور بباب الهيكل للأيقونة".

ثم يكمِّل البابا غبريال ـ وينقل عنه القُمُّص عبد المسيح ـ بقوله: "ثم يلتفت إلى إخوته الكهنة ويعطيهم البُخور دفعة واحدة، وهو واقف مكانه. وكذلك ناحية الشَّمامسة. وإن كان رفع البُخور والشَّعب سكوت من غير ترتيل عند نزوله من المذبح، لا يعطي البُخور كما شرحنا من إعطاء البُخور أولاً[٦٨]".

واضح هنا أنه بانتهاء دورة البُخور حول المذبح يخرج الكاهن من الهيكل ليصلي أوشيَّة الرَّاقدين إن كان هو رفع بخور عشيَّة، أو أوشية المرضى إن كان هو رفع بخور باكر، حيث تبدأ الأوشيَّة مباشرة بعد انتهاء الشَّعب من ترتيل أرباع النَّاقوس. حتى إلي حد أنه يمكن أن تُلغى الثلاث أياد بخور عند باب الهيكل كما يذكر كل من البابا غبريال الخامس وينقل عنه القُمُّص عبد المسيح الذي راجع حواشي الخولاجي على حوالي عشرين خولاجي مخطوط.

وما يهمُّنا في ذلك هو أن نتعرَّف على مراحل تطوُّر طقس رفع

---

٦٨ ـ البابا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٥٠
وهو نفس ما يذكره مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر. أمَّا مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر فيقول: "يكون الشَّعب يرتِّل ويقول Ⲧⲉⲛ ⲟⲩⲱϣⲧ وما يلائم. وعند تمام ذلك يقول الكاهن أوشيَّة المتنيحين ...".

البُخور في هذه الجزئيَّة، فيذكر البابا غبريال الخامس أن الكاهن يعطي ثلاث أياد بخور أمام باب الهيكل إن كان ثم مهل، أما إن كان رفع البُخور والشَّعب سكوت من غير ترتيل، فإنه عند نزوله من الهيكل لا يعطي البُخور كما شرحنا بل يقول أوشية الأموات[٦٩]. وهنا نلاحظ الآتي:

- أرباع النَّاقوس في القرن الخامس عشر كانت طقساً معتاداً في بعض الكنائس دون بعضها الآخر.

- كانت أرباع النَّاقوس أرباعاً قليلة تنتهي أحياناً قبل أن ينتهي الكاهن من دورة البُخور حول المذبح.

- طقس القرن الخامس عشر يفيد أن دورة البُخور حول المذبح جهاراً، يعقبها مباشرة - بعد أن يخرج الكاهن من الهيكل - أوشية الرَّاقدين في رفع بخور عشيَّة. أما ما يتخلَّل ذلك من طقوس أخرى فهي إضافات دخلت فيما بعد على هذا الطَّقس القديم.

وهنا وقبل أن أنتقل إلى أرباع النَّاقوس، أود أن أشير إلى أمر لم يتطرَّق إليه كتاب طقسي من قبل، وهو أن قس كنيسة المعلقة شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) يذكر في الباب السَّابع عشر من كتابه: "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة[٧٠]" ثلاث دورات بالبُخور على الشَّعب، وليس دورة واحدة:

الأولى: بعد صلاة الشُّكر.

الثانية: عند صلاة "تفضَّل يارب أن تحفظنا في هذا اليَّوم ...".

الثالثة: عند تقبيل الإنجيل المقدَّس بعد قراءته.

٦٩ـ البابا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٥٠

٧٠ـ المخطوط الذي أنقل عنه تمت نساخته سنة ١٤٤٩مسيحيَّة. وعلى ذلك فهو قريب من زمن تدوين الكتاب الأصلي.

فيقول تحت عنوان: "فصل في ترتيب رفع البُخور" ما نصه:
"... يرفعه بعد الشبهمات (أي صـــلاة الشُّـــكر) ... وادا فـــرغ الكاهن من تبخير الشَّعب جميعه الرجال والنســـاء وامـــاكن الهياكـــل وايقونات الشُّهداء والقدِّيسين يعود الى الهيكـــل ...(٧١) ولـــيكن رفـــع البُخور أولاً بمقدار اوفر، وثانياً بتوسط، واخيراً باقلال لينفذ عند فـــراغ وقته ولا يفضل منه شئ عن الحاجة. وان فضل فليُصعد ويحفظ رمـــاده ويُلقى في البحر. **والدفعة الثانية التي يبخر الكاهن كالاول ويطـــوف على الشَّعب، في الصَّلاة عند قولهم** ⲁⲣⲓⲕⲁⲧⲁⲝⲓⲟⲓⲛ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ **(تفضـــل يارب)**(٧٢). وعند تقبيل الانجيل(٧٣). (و) ادا لم يكن مع القس المقدس قس آخر يحمل المجمرة على الهيكل فيحملها اكبر الشمامســـة الّـــدين (الـــذين) يخدمون معه(٧٤)...".

٧١ـ تكملة ما يذكره ابن كبر هنا سنورده لاحقاً عند الحديث عن دورة البُخـــور حول المذبح والكنيسة في الفصل التالي مباشرة. بحسب موضعه الطَّقسي الحالي.

٧٢ـ هذه العبارة في غاية الأهميَّة، لأنها توضِّح جلياً أن هناك طوافين بالبُخور.

٧٣ـ هذا هو الطواف الثالث بالبُخور على الشَّعب في صلوات رفع البُخور عنـــد ابن كبر (طقس القرن الرابع عشر). وهو يتم بعد قراءة فصل الإنجيل المقدَّس.

٧٤ـ هنا يُنهي ابن كبر الحديث عن دورات البُخور في صلوات رفـــع البُخـــور، لينتقل إلى الحديث عن أوقات رفع البُخور في القدَّاس.



الفَصل الثّالث

أربــاع النَّــاقوس

معنى أرباع النَّاقوس وأصلها

يرتل الشَّمامسة والشَّعب "أرباع النَّاقوس" في أثناء دورة البُخــور حول المذبح، ودُعيت بهذا الاسم لأنها تُرتَّل بمصاحبة النَّاقوس أي الدُّف. و"الرُّبع" في المصطلح الكنسي القبطي هو فقرة تتكــوَّن مــن أربعــة استيخونات، أي أربعة جمل ملحَّنة[١].

ولقد ورد ذكر أرباع النَّاقوس عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "التَّرتيب الطَّقسي" الذي وضعه سنة ١٤١١م، ولكن لم يرد ذكرها عند القس شمس الرِّئاسة أبــو البركــات ابــن كــبر (+ ١٣٢٤م)، في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة".

أما أصل أرباع النَّاقوس فهي تلك العشرة أرباع التي ترد في مقدِّمة ذكصولوجيَّة باكر آدام. فهذه الذكصولوجيَّة في أصولها الأولى كانــت تبدأ بربع " Ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲁ̀ⲫⲙⲏⲓ - أيها النُّور الحقيقي، الذي يضئ لكل إنسان آت إلى العالم ..."، قبل أن تُلحق عليها هذه العشرة أرباع التي نجدها الآن في بدايتها[٢].

١ـ انظر للمؤلِّف: كتاب: "معجم المصطلحات الكنســيَّة"، ضــمن سلســلة "مقدِّمات في طقوس الكنيسة".

٢ـ قد أثبتُ ذلك تفصيلاً في كتاب "الميلاد البتولي المجيد"، فارجع إليه إن رغبت.

أنواع أرباع النَّاقوس وطرق ترتيلها

لقد بادر أقلاديوس بك يوحنا لبيب في مستهل القــرن العشــرين بتسجيل هذه الأرباع وطرق ترتيلها في كتاب الأبصلموديَّة السنويَّة التي قام بطباعتها لأوَّل مرَّة في سنة ١٩٠٨م، فنهجت كافة الأبصـــلموديَّات السنويَّة التي طُبعت على مدى القرن العشرين على نهجه سواء في نـــص أرباع النَّاقوس أو في بيان أنواعها وأسلوب أدائها[٣]، باستثناء أبصلموديَّة واحدة تولَّت طباعتها جمعية نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكســيَّة لأوَّل مرَّة في سنة ١٩٤٩م، حين عدَّلت وأضافت كثيراً من هـــذه الأربـــاع، وألغت أنواعها الثلاثة، مكتفية بنوع واحد منها، وبالتالي طقس ختامها الذي يتغيَّر مع كل نوع منها، كما بطُل تماماً استخدام أحد هذه الأنواع الثلاثة وهو النَّوع الثاني منها، وبالتالي طريقة أدائه، ولما كانــت هـــذه الأبصلموديَّة الأخيرة قد طُبعت عشر طبعات على مدي النِّصف الأخـــير من القرن العشرين، فقد طغت بما أوردته عن أربـــاع النَّـــاقوس، علـــى ممارسات هذا الجزء من الطَّقس في عموم الكنائس القبطيَّة.

وفي السُّطور التالية نعرض لأرباع النَّاقوس كما ذكرها أبصـــلموديَّة سنة ١٩٠٨م، والتي صُحِّحت ورُوجعت على نسخة قداسة البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤ - ١٩٢٧م)، وعلى نسخة نيافة الأنبا إيساك مطران بـــني سويف والبهنسا.

٣ـ وهذه الأبصلموديَّات هي:
١ ـ أبصلموديَّة أقلاديوس بك يوحنا لبيب، سنة ١٩٠٨م.
٢ ـ أبصلموديَّة القس مينا البراموسي، سنة ١٩٠٨م.
٣ ـ أبصلموديَّة جمعية نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المركزيَّة، سنة ١٩٤٩م.
٤ ـ أبصلموديَّة القُمُّص عطا الله أرسانيوس المحرقي، سنة ١٩٦٠م.
٥ ـ الطبعة الثانية من أبصلموديَّة أقلاديوس لبيب، سنة ١٩٨٦.

أرباع النَّاقوس لها مقدمة بأرباع ثابتة، يعقبها أرباع تتغير بحسب المناسبات الكنسية، سواء كانت أصواماً أو أعياداً.

أرباع النَّاقوس الثابتة

وهذه الأرباع الثابتة تنقسم إلى قسمين:

+ **القسم الأول:** إما ربعان يختصان بالأيام الواطس (الأربعاء — السَّبت)، أو ثلاثة أرباع تختص بأيام الآدام (الأحد ـ الثلاثاء).

الأرباع الواطس:

- نسجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الثَّالوث المقدَّس المساوي في الجوهر.
- السَّلام للكنيسة بيت الملائكة. السَّلام للعذراء التي ولدت مخلِّصنا.

الأرباع الآدام:

- تعالوا فلنسجد للثالوث المقدَّس الذي هو الآب والابن والرُّوح القُدُس.
- نحن الشُّعوب المسيحيين لأن هذا هو إلهنا الحقيقي.
- لنا رجاء في القدِّيسة مريم، (أن) الله يرحمنا بشفاعتها.

فهي أرباع تبدأ دائماً بالسُّجود للثالوث، ثم إعطاء السَّلام للكنيسة، وللعذراء القدِّيسة مريم.

+ **والقسم الثاني:** أي القسم الثاني من هذه الأرباع الثابتة ربعان يختصان أيضاً بالعذراء القدِّيسة مريم، ويرتَّلان في كل أيام الأسبوع الواطس والآدام، وهما:

- السَّلام لكِ يا مريم الحمامة الحسنة التي ولدت لنا الله الكلمة.
- السَّلام لكَ يا مريم سلام مقدَّس. السَّلام لك يا مريم أم القدُّوس.

أرباع النَّاقوس المتغيرة

ثم تتوالى بعد ذلك أرباع النَّاقوس التي تتغيَّر مع المناسبات الكنسيَّة، وهي على ثلاثة أنواع.

النَّوع الأول من أرباع النَّاقوس

وهي أرباع تتكوَّن من أربعة استيخونات، ويكون الإستيخيون الأوَّل دائماً هو: ϨΙΤΕΝ ΝΙΠΡΕCΒΙΑ أي: "بشفاعات ..." أو ϨΙΤΕΝ ΝΙΕΥΧΗ أي: "بصلوات ...". وينتهي كل ربع بالاستيخون الرابع: Πο̄ς ἀριϩⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ أي: "يارب انعم لنا بغفران خطايانا".

مثل:

- بشفاعات والدة الإله القدِّيسة مريم يارب أنعم لنا بغفران خطايانا.
- بشفاعات رؤساء الملائكة الأطهار ميخائيل وغبريال وروفائيل وسوريال يارب أنعم لنا بغفران خطايانا.
- بشفاعات الأربعة الحيوانات غير المتجسِّدين والأربعة والعشرين قسيساً يارب أنعم لنا بغفران خطايانا ....
- بصلوات سادتي الآباء الرُّسل وبقية التَّلاميذ يارب أنعم لنا بغفران خطايانا ...

وتورد أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب أحد عشر ربعاً من هذا النَّوع من أرباع النَّاقوس تختص بالعذراء ورؤساء الملائكة، والأربعة حيوانات غير المتجسِّدين، والأربعة والعشرين قسيساً، والكراسي والربوبيَّات والقوَّات والشاروبيم والسارافيم، والعساكر الملائكيَّة، والطغمات السمائية، ويوحنا المعمدان، والـ ١٤٤ ألفاً والبتول الإنجيلي، والآباء الرُّسل، ومار مرقس، ورئيس الشَّمامسة اسطفانوس، ومار جرجس.

فكانت أرباع النَّاقوس "هيتينيات" أي تشفعات وطلبات للعذراء والسَّمائيين والرُّسل والقدِّيسين.

وتُختم هذه الأرباع بالربع Ⲉⲑⲣⲉⲛϩⲱⲥ ⲉ̀ⲣⲟⲕ وهو:
"لكي نسبِّحك مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس لأنك أتيت وخلَّصتنا".

وكان هذا النَّوع الأوَّل هو الأكثر استعمالاً في الكنيسة منذ القديم، قبل أن تنتشر الأبصلموديَّة السنويَّة التي طبعتها جمعية نهضة الكنائس في سنة ١٩٤٩م، حيث قد ألغت الأبصلموديَّة المذكورة هذا النَّوع من أرباع النَّاقوس، فتأمَّل.

النَّوع الثاني من أرباع النَّاقوس

وهي أرباع يبدأ الإستيخيون الأوَّل من كل ربع منها بعبارة Ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ̀ أي: "بشفاعات ..."، أو Ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲉⲩⲭⲏ أي: "بصلوات ..."، وينتهي بعبارة: Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲁ̀ⲣⲓϩ̀ⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ أي: "يارب انعم لنا بغفران خطايانا"، مثل النَّوع الأول.

إلاَّ أن أرباع هذا النَّوع الثاني ليست أربعة إستيخونات فقط كما في النَّوع الأوَّل، بل هي أرباع طويلة يصل الرُّبع الواحد منها إلى أكثر من عشرين إستيخونا.

وهي - كما ترد في أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب - أربعة أرباع طويلة للغاية، وتُختم هذه الأرباع أيضاً كما في النَّوع الأوَّل بالرُّبع الذي بدايته: Ⲉⲑⲣⲉⲛϩⲱⲥ ⲉ̀ⲣⲟⲕ وهو: "لكي نسبِّحك مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس لأنك أتيت وخلَّصتنا".

وتحوي هذه الأرباع إلى جانب أسماء السَّمائيين ويوحنا المعمدان كماً كبيراً من أسماء الشُّهداء والقدِّيسين إلى جانب ذكر جميع مصاف الشُّهداء وصفوف لباس الصَّليب والأبرار والصدِّيقين، وقدِّيسي هذا اليوم كل واحد باسمه.

والآن نشير إلى طريقة ترتيل هذا النَّوع الثاني من أرباع النَّاقوس. فكل ربع من هذه الأرباع الطويلة يبتدئ بأربعة إستيخونات يفصل كل إستيخون منها علامة (⁘) كما هو معتاد لدينا، ولكن في نهاية الإستيخون الرابع من هذا النَّوع الثاني لا توضع نقطة (.) بل توضع علامة (⁘⁘)، وبعد ذلك يُرتَّل باقي هذا الرُّبع الطويل إستيخونان إستيخونان بنغمة الإستيخونين الثاني والثالث من الرُّبع الأوَّل. فتجد أن العلامة (⁘) بعد الإستيخون الخامس يعقبها العلامة (⁘⁘) في نهاية الإستيخون السَّادس، ثم تتكرَّر العلامة (⁘) بعد الإستيخون السَّابع، ويعقبها العلامة (⁘⁘) بعد الإستيخون الثامن، وهكذا إلى نهاية الرُّبع الذي يُختم بإستيخون Πϭ̅ϲ̅ ⲁ̀ⲣⲓϩⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ أي: "يارب انعم لنا بغفران خطايانا".

أما أبصلموديَّة جمعية نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بدءًا من الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩م، فقد أوردت ملخَّصاً لهذا النَّوع الثاني من أرباع النَّاقوس ودعته باسم "مختصر أرباع النَّاقوس السنوي[٤]" وضمَّت كل أسماء الشُّهداء والقدِّيسين الذين يشملهم هذا النَّوع الثاني في ربع واحد فقط، وحذفت أسماء كثير من السَّمائيين والشُّهداء والقدِّيسين[٥]،

---

٤ ـ أوردت الأبصلموديَّة المذكورة ضمن "مختصر أرباع النَّاقوس" ما يُقال في شهر كيهك، وما يُقال في الخمسين المقدَّسة، ولكل منهما ربعاً واحداً مطولاً، وهو ما لم يرد ذكره في الأبصلموديَّات الأخرى التي طُبعت على مدى القرن العشرين.

٥ ـ فحذفت أسماء: الكراسي والربوبيات والقوَّات والشاروبيم والسارافيم. وبقية التلاميذ. وكذلك لقب رئيس الشَّمامسة المبارك الشَّهيد الأوَّل (إسطفانوس)، وأيضاً أسماء الشُّهداء لاونديوس وبنيكاروس وقزمان وإخوته وأمهم، وأنبا سرابامون

ووضعت بعضاً منها ضمن النَّوع الثالث من أرباع النَّاقوس والذي أسمته فقط "أرباع النَّاقوس". وألغت العلامات السَّابق ذكرها بين الإستيخونات، فبات من المتعذّر فهم كيفيَّة ترتيل هذا النَّوع من أرباع النَّاقوس، فكان مآله أن أُلغي استخدامه كليةً.

النَّوع الثالث من أرباع النَّاقوس

وهي أرباع تبدأ بكلمة Ⲭⲉⲣⲉ أي "السَّلام ..."، ولا يوجد لهذا النَّوع الثالث ختاماً محدَّداً لكل ربع منها، وهذه الأرباع مثل:

- السَّلام لميخائيل رئيس الملائكة. السَّلام لغبريال المبشِّر.
- السَّلام للشاروبيم، السَّلام للسارافيم، السَّلام لجميع طغمات السَّمائيين.
- السَّلام لسادتي الآباء الرُّسل، السَّلام لتلاميذ ربِّنا يسوع المسيح ...
- السَّلام لأبينا أنطونيوس سراج الرَّهبنة، السَّلام لأبينا أنبا بولا حبيب المسيح ....
- السَّلام لأبينا أنبا باخوم صاحب الشَّركة، وتادرس تلميذه، وأولاده الرُّهبان ...

وتُختم هذه الأرباع بـ Ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ϯϩⲓⲣⲏⲛⲏ أي "يا ملك

الأسقف، وإبصادي وغلينيكوس وأنبا بيروه، وأتوم ويوحنا وسمعان، وبربارة ويوليانة ودميانة، وأنبا أنطونيوس والبار أنبا بولا، والثلاثة مقارات القدِّيسين، وأولادهم لباس الصَّليب، وأنبا باخوم وتادرس تلميذه، وأنبا شنودة رئيس المتوحِّدين وأنبا ويصا تلميذه، وسيديَّ الأبوين القمصين أنبا يوحنا وأنبا دانيال، وسيديَّ الأبوين محبي أولادهما أنبا بيشوي وأنبا بولا. وأبوينا القدِّيسين الروميين مكسيموس ودوماديوس، والـ ٤٩ شهيداً شيوخ شيهات، والقوي القديس أنبا موسى ويحنس كاما، وأنبا صموئيل المعترف ويسطس وأبللو تلميذيه، وأنبا برسوما العريان وأبينا أنبا رويس، وصفوف لباس الصليب والأبرار والصديقين.

السَّلام ..."، وهي خمسة أرباع:

- يا ملك السَّلام أعطنا سلامك قرِّر لنا سلامك واغفر لنا خطايانا.
- فرِّق أعداء الكنيسة وحصِّنها فلا تتزعزع إلى الأبد.
- عمانوئيل في وسطنا الآن بمجد أبيه والرُّوح القُدُس.
- ليباركنا كلنا ويطهِّر قلوبنا ويشفي أمراض نفوسنا وأجسادنا.
- نسجد لك أيها المسيح، مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس، لأنك أتيت وخلَّصتنا.

وكان الاختيار للمصلي بأن يقول أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة، حتى يترل الكاهن من الهيكل، فيترك باقي الأرباع ويختم إما بربع **Ⲉⲑⲣⲉⲛϩⲱⲥ ⲉ̀ⲣⲟⲕ** أي: "لكي نسبِّحك مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس لأنك أتيت وخلَّصتنا "إن كان يرتِّل النَّوعين الأوَّلين، أو بأرباع **Ⲡ̀ⲟⲩⲣⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ϯϩⲓⲣⲏⲛⲏ** "يا ملك السَّلام ..." إن كان يرتِّل النَّوع الثالث حيث يبتدئ بها قبل نزول الكاهن من الهيكل بقليل، حتى يكمِّلها.

وعلى المرتِّلين أن يقولوا ما يخص صاحب الكنيسة أو صاحب الدَّير، فإن لم يوجد وقت حتى يصلُّوا في التَّرتيل إلى اسمه، فليقدِّموه عن محله. وإن كان اسمه غير مكتوب بالأبصلموديَّة، فليذكروه حسب معرفتهم، سواء كان بربع من الذُّكصولوجيَّة أو برُبع من المجمع أو بغير ذلك.

إشارة طقسيَّة طواها النسيان

يكشف لنا مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والذي تم نساخته في سنة ١٩١٠م عن أمر طواه

النِّسيان، فتحت عنوان: "ترتيب رفع بخور باكر للكهنة[٦]" يقول ما نصه: "وبعد قراءة الشبهموت ترتل الشَّمامسه كيرياليصون وتتلوها بطريقتها بالنَّاقوس إن كان ذلك نهار الأحد ⲁ̀ⲙⲱⲓⲛⲓ ⲙⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ أو يوم عيد. وإن كان بطول السَّنه فتقال كيرياليصون لا غير".

وتحت عنوان: "حضور الأب البطريرك في البيعة عشيَّة"، فيقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) إن "الشَّمامسة ترتِّل ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ باللَّحن كالعادة بالنواقيس".

ويذكر نفس المخطوط المذكور في موضع آخر، وتحت عنوان: "حضور البطريرك عشيَّة بدون كشف رأسه" ما يلي: "إذا حضر البطريرك عشيَّة إلى البيعة و لم يكشف رأسه، فيأذن لأحد الكهنة أن يقرأ صلاة الشُّكر. وبعدها لا تقال كيرياليصون بل يسكت الشَّعب، والكاهن يأخذ درج البُخور ويقبِّله ويناوله للبطريرك، فيرشمه البطريرك ويقول كالعادة، ويناوله للقِّس، فيبتدئوا يقولون كيرياليصون لا غير".

فواضح مما سبق ذكره لمخطوط ترتيب البيعة والذي يعود إلى أوائل القرن العشرين، أن أرباع النَّاقوس تقال في صلاة رفع بخور باكر في يوم الأحد والأعياد فقط، كما تُقال في رفع بخور عشيَّة إذا كان الأب البطريرك حاضراً ومصلياً بدءًا من صلاة الشُّكر، أمَّا إن كان حاضراً فقط، فلا تُقال أرباع النَّاقوس، بل كيرياليسون فقط.

أو بتعبير آخر أنه بطول أيام السَّنة - باستثناء الآحاد والأعياد وحضور الأب البطريرك الكنيسة مصلياً - تقال كيرياليسون فقط، وهي كيرياليسون التي ندعوها اليوم "كيرياليسون الصِّيامي" والتي أصبحت

٦- أي رفع بخور باكر الذي يصليه الكاهن، وليس الأب البطريرك أو الأسقف.

تُقال فقط في رفع بخور باكر أيام الصَّوم المقدَّس الكبير بدون آحاده.

وليس هذا فحسب، بل إن أرباع النَّاقوس تُقال في يـوم الأحـد والأعياد الكنسيَّة بعد ترتيل كيرياليسون، وهو ما يذكره مخطوط ترتيب البيعة السَّابق ذكره. أو بمعنى آخر فإن ترتيل كيرياليسون يتم في صلوات رفع بخور باكر على مدى السَّنة كلها بدون اسـتثناء، أمَّـا في الآحـاد والأعياد الكنسيَّة فيُضاف بعدها أرباع النَّاقوس. وهذا هو السَّبب الذي من أجله نرتِّل أرباع النَّاقوس مسبوقة دائماً بكلمة "كيرياليسـون" في البداية، برغم أنه لا يرد تدوين هذه الكلمة في بداية أرباع النَّاقوس في أي كتاب طقسي، من كتب صلوات الكنيسة.

وهكذا يتَّضح لنا عنصراً ليتورجياً سنوياً أصبح قاصراً في استخدامه على فترة الصَّوم المقدَّس الكبير فقط. وليس هذا العنصـر الليتـورجي فحسب، بل هناك عناصر ليتورجيَّة أخرى كانت سنويَّة أي تُقال علـى مدار السَّنة، أصبحت قاصرة على فترة الصَّوم المقدَّس الكبير. أو بتعـبير أكثر دقة، أصبح الصَّوم المقدَّس الكبير حافظاً لعناصر ليتورجيَّـة قديمـة كانت تُقال من قبل على مدار السَّنة الطَّقسيَّة(٧).

٧- هذا ما سيرد شرحه في كتاب "الصَّوم المقدَّس الكبير".



الفَصل الرَّابع

الأواشي الكبـــــار

الأواشي الكبار Great Intercessions هي الأواشي الـــتي يصـــلّيها الكاهن بعد الانتهاء من ترتيل أرباع النَّاقوس، وهي تختلف في رفع بخور عشيَّة عنها في رفع بخور باكر.

الأواشي التي تقال في رفع بخور عشيَّة

بعد الانتهاء من ترتيل أرباع النَّاقوس، يصليٍّ الكاهن في رفع بخـــور عشيَّة، أوشيَّة الرَّاقدين أو المتنيِّحين. إلاَّ أن كثيراً من الكنائس قد درجت مؤخراً على عادة أخرى، حيث تصليَّ أوشيَّة المرضي بدلاً مـــن أوشـــيَّة الرَّاقدين في الأعياد السيديَّة وفي الخماسين المقدَّسة.

وقد انتشر هذا الطَّقس في النصف الثاني من القرن التَّاسع عشـــر، وكانت البداية البعيدة له هي إشارة وردت في مخطوط يعود إلى القـــرن الثالث عشر، وُجد بدير السيِّدة العذراء (السِّـــريان)، حيـــث يـــذكر المخطوط المذكور أنه تُقال أوشيَّة المرضي أو الأموات، فكانت هي البذرة التي ألقاها الناسخ وترك السِّنين ترويها. ومن هنا نشأ التردُّد بين أوشيَّتي المرضي أو الرَّاقدين.

وهناك إشارة أخرى وردت في مخطوط وُجد في كنيسة العذراء بحارة زويله بالقاهرة يعود إلي سنة ١٨٢٠م تقول صراحة: إن أوشيَّة المرضي هي التي تُقال وليست أوشيَّة الأموات.

ولم يكن يوجد سوى هاتين النُسختين فقط السباق ذكرهما، اللّتين أشارتا إلى ذلك التردُّد بين الأوشيَّتين من بين عشرات المخطوطات الأخرى، كما يقول الأستاذ يسي عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطي سابقاً.

وإن رجعنا إلى مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) والمحفوظ في مكتبة الدّار البطريركيَّة بالقاهرة، والذي تمت نساخته سنة ١٩١٠م عن مخطوطات أقدم منه نقرأ ما يلي بخصوص رفع عشيَّة عيد الميلاد المجيد: "... وبعد ذلك يقول الكاهن أوشيَّة الأموات[1]. وتقال Ⲁⲣⲓⲕⲁⲧⲁⲍⲓⲟⲓⲛ Ⲡ̄ⲟ̄ⲥ.. (أي: تفضَّل يارب ...)".

ويذكر مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٨ طقوس) والمؤرخ بتاريخ ١٦٢٧ش/ ١٩١١م ما يلي بخصوص ترتيب باكر سبت الفرح: "... ثم يقول الكاهن أوشيَّة المرضى إلى نهايتها، يُقال Ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲁⲫ̀ⲙⲏⲓ بالناقوس إلى عند Ⲙⲉⲕⲛⲁⲓ ⲱ̀ ⲡⲁⲛⲟⲩϯ تقال Ⲁⲛⲟⲛ ϩⲱⲛ وبعد ذلك يقول الكاهن أوشيَّة الأموات إلى نهايتها ...".

ويذكر أيضاً نفس المخطوط المذكور رقم (١١٨ طقوس) ترتيب ما يُقال في عشيَّة يوم أحد القيامة (أي مساء يوم عيد القيامة)، فيقول ما يلي: "... ويُرفع البُخور كالعادة، ويجلسون الأب البطريرك إن كان حاضراً وتُقال بعد Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ (أي أرباع النّاقوس) Ⲙⲏⲛ ϫⲁⲣ ϧⲉⲛ

١- وهو نفس ما يذكره مخطوط ترتيب البيعة بمكتبة الدّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط ترتيب البيعة بمكتبة دير البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط ترتيب البيعة بكنيسة الملاك ميخائيل بسبرباي لسنة ١٨٦٨م.

انظر: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثاني، كيهك، طوبة، أمشير، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٢، ٣٣، ٣٤

ⲛⲓⲛⲟⲩϯ ويكمل كالعادة. ثمَّ يقول الكاهن أوشيَّة الأمــوات. وبعــده ⲁ̀ⲣⲓⲕⲁⲧⲁⲝⲓⲟⲓⲛ (تفضَّل يارب ...) ويطاف بالبُخور البيعة ...".

هذا من جهة ما تذكره مخطوطاتنا في هذا الشأن، أمَّا مــا تــذكره كتبنا الطَّقسيَّة المطبوعة، فمن بين عشرين خولاجياً قديماً بحــث فيهــا القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م)، يــذكر في إحدى حواشي كتاب الخولاجي المقدَّس الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، قائلاً:

"إن البعض الآن في الأيام الفرحيَّة يقولون أوشــيَّة المرضــي في صلاة عشيَّة بدل أوشيَّة الأموات، ويقولونها أيضاً في صــلاة بــاكر، ولكننا لم نجد ذكر قراءتها في عشيَّة كما مرَّ، في أحــد الخولاجيَّــات البتَّة، بل بالعكس رأينا في كتاب ترتيب كل السَّــنة — قــديم - أن أوشيَّة الأموات تقال في عشيَّة عيد الميلاد، وعشية نهار أحد القيامة. وأما عشيَّة عيد الغطاس والصعود والعنصرة، فقال يُرفــع البُخــور كالعادة، ولم يقل تُقال أوشيَّة المرضى(٢)".

وهذا التنبيه السَّابق قد ورد بنصه في كتاب الخولاجي المقدَّس الذي طُبع بإذن حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السَّادس في أغسطس سنة ١٩٥٩م على نفقة القُمُّص عطا الله أرسانيوس المحرَّقي (ص ٥٦).

وتكرَّر مرَّة أخرى بنصِّه في كتاب الخولاجي المقدَّس الذي قامــت بطبعه لجنة التَّحرير والنَّشر بمطرانيَّة بني سويف والبهنسا في سنة ١٩٨٤م. والذي هو في الحقيقة نسخة مصوَّرة من خولاجي سنة ١٩٠٢م.

هذا ما يذكره كتاب الخولاجي المقدَّس في طبعاته المختلفة، أما مــا يذكره كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة في طبعاته المختلفة في هــذا الأمــر،

٢ـ كتاب الخولاجي المقدَّس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٥٧

فكان أولها أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب التي طُبعت في سنة ١٩٠٨م، ولم تشر إلى أي تعليمات طقسيَّة في مقدِّمتها، وبعدها صدرت الأبصلموديَّة المقدَّسة السنويَّة التي طُبعت على نفقة القس مينا البرموسي وكيل بطركخانة إسكندريَّة في مارس من نفس السَّنة، أي سنة ١٩٠٨م. وأشارت في سبع صفحات منها في المقدِّمة إلى بعض التَّعليمات الطَّقسيَّة المختصَّة بالتَّسبحة فقط[٣]، دون التطرُّق إلى طقس رفع بخور عشيَّة أو باكر.

ثم ظهر كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة السنويَّة، والذي قامت بطبعه جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المركزيَّة بالقاهرة، لأوَّل مرَّة في سنة ١٩٤٩م، وذلك بعد أن انقضت مدَّة ٤٠ سنة على ظهور أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب[٤]، وتحوي ثلاث صفحات كاملة في بدايتها حاوية تعليمات طقسيَّة ومن بين هذه التَّعليمات، يرد النَّص التالي تحت عنوان: "تسبحة عشيَّة عيدي الميلاد والغطاس":

"... وتُقال أرباع النَّاقوس بطريقة الفرح، **ثم يقول الكاهن أوشيَّة المرضى** ...". وهي أوَّل إشارة طقسيَّة عن أوشيَّة المرضى في الأعياد السيديَّة ترد في كتب الكنيسة الطَّقسيَّة المطبوعة التي تُستخدم للصَّلاة في

٣- وهي تسبحة عشيَّة ونصف اللَّيل، وصلاة باكر وترتيب تسبحة برامون الميلاد وعيدي الميلاد والغطاس، وتسبحة ليلة سبت الفرح، وتسبحة ليلة عيد القيامة.

٤- تذكر مقدِّمة هذه الأبصلموديَّة: "... ولما كانت التَّسابيح والتَّماجيد التي وضعها آباء الكنيسة أودعوها كتباً خطيَّة، فقد اهتم الطيِّب الذكر والخالد الأثر المرحوم أقلاديوس يوحنا لبيب بك (عام ١٦٠٦ش - ١٩٠٨م) بجمعها ومراجعتها على نسختي مثلث الرَّحمات الأنبا كيرلس الخامس والمتنيِّح الأنبا إيساك مطران كرسي بني سويف والبهنسا حينذاك، ثم طبعها في كتاب أسماه "كتاب الأبصلموديَّة السنويَّة المقدَّسة". ولما رأت الجمعيَّة أن نسخ الطبعة المذكورة فضلاً عن نفاذها، وعن عدم جودة ورقها **ينقصها الكثير من الذكصولوجيَّات وأرباع النَّاقوس**، فكَّرت في إعادة طبعها، مع إكمال نقصها وتهذيب ألفاظها، وترتيب أبوابها ... وقد قيَّض الله لجنة من حضرات الشَّمامسة ... أعضاء الجمعيَّة تحت إشراف المعلم ميخائيل جرجس كبير مرتلي الكنيسة المرقسيَّة الكبرى لإتمام هذا العمل.

داخل الكنيسة. ثم كانت الطبعة الثانية من أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب التي طُبعت سنة ١٩٨٦م حين نقلت بالنَّص هذه التَّعليمات الطَّقسيَّة ووضعتها في مقدِّمة الأبصلموديَّة المذكورة.

ولقد شاعت أوشيَّة المرضى بدلاً من أوشيَّة الرَّاقدين في عشيَّة الأعياد السيديَّة، بعد صدور النَّشرة الطَّقسيَّة التي أصدرها مثلث الرَّحمات قداسة البابا كيرلس السَّادس (١٩٥٩- ١٩٧١م) والموقَّعة باسمه "كيرلس بنعمة المسيح بابا الكرازة المرقسيَّة". فقد ورد تحت رقمي (٩، ١٠) ضمن البند الثاني من هذه النَّشرة الطَّقسيَّة، "ملاحظات على طقوس الصَّلوات" ما يلي:

٩- تُصلىَّ أوشيَّة المرضى في باكر ما عدا السُّبوت. كذلك في عشيَّة أيام الفرح، والأعياد السيديَّة، وفي أمسية الآحاد الواقعة من عيد القيامة إلى الأحد الرَّابع من هاتور.

١٠- تُصلى أوشيَّة الرَّاقدين في عشيَّة الأيام السنويَّة، وباكر السَّبت، على مدار السَّنة. وفي أمسية الآحاد الواقعة من شهر كيهك إلى القيامة.

وفي مايو سنة ١٩٩١م أقرَّ المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة بأن تُعطى لأوشيَّة الرَّاقدين أولويَّة قبل أي أوشيَّة أخرى في الصَّلاة على المنتقلين، حتى في الخمسين المقدَّسة، ولا مانع من إضافة أوشيَّة المرضى إذا سمح الوقت(٥).

وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ، وفي جلسة المجمع المقدَّس

٥- سكرتارية المجمع المقدس، القرارات المجمعية في عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث الـ (١١٧)، القاهرة، الطبعة الأولى، نوفمبر ١٩٩٦م. الطبعة الثانية، نوفمبر ٢٠٠١م، ص ٨٥

للكنيسة القبطيَّة في مايو سنة ٢٠٠١م ورد في تقرير لجنة الطقوس طلب قداسة البابا شنوده الثالث أن يتم تذكير الأحبار أعضاء المجمع المقدَّس بأن قرار المجمع السَّابق صدوره بخصوص طقس أوشـيَّة الرَّاقـدين في أيـام الخمسين كان هو السَّماح بأن تقال أوشيَّة الرَّاقدين في أيام الخمسين في حال وجود جثمان المتوفى في حالة الصَّلاة عليه في الكنيسة. ولا مانع من أن تقال معها أوشيَّة المرضى حسب المعتاد في أيام الخمسين. وأن ذلك لا يعني التَّصريح بأوشيَّة الرَّاقدين في تلك الأيام في الظروف العاديَّة، لأننا في الخمسين نحتفل بقيامة السيِّد المسيح من الأموات، والأواشي دائماً تتناسب مع طقس المناسبات(٦).

واضح هنا أن التردُّد أو التنقُّل بين أوشيَّة الرَّاقدين وأوشيَّة المرضـى ظل قائماً حتى سنة ٢٠٠١م، وأيهما يجب أن تقال في أيام الفرح؟. ومن ثمَّ كان قرار المجمع المقدَّس السَّابق ذكره.

ولازلنا حتى اليوم نصلي أوشيَّة المتنيِّحين أي الرَّاقدين في قدَّاس الماء في ليلة عيد الغطاس المجيد وهو عيد سيِّدي كبير، وذلك ضـمن السَّـبع أواشي الكبار التي تُقال في قدَّاس الماء، كما تذكر كل مخطوطاتنا وكتبنا الطَّقسيَّة المطبوعة أيضاً.

ولقد أورد خولاجي القدِّيس سرابيون صـديق البابـا أثناسـيوس الرَّسولي صلاة مبدعة تُقال من أجل الميت والمنقول للدفن، والتي يظـن العلماء أنها صلوات مصريَّة قديمة عرفتها كنيسة مصر قبل زمن القـدِّيس سرابيون (القرن الرَّابع) تقول:

"يا الله الذي له سلطان الحياة والموت، يا إله الأرواح وسيِّد كـل

٦- سكرتارية المجمع المقدَّس، القرارات المجمعيَّة في عهد صاحب القدَّاسة والغبطة البابـا شنوده الثالث، من سنة ١٩٧١حتى سنة ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠١م، ص ٩٤

جسد، يا الله الذي يميت ويحيي، الذي يُهبط إلى الجحيم ويُصعد، الذي يخلق روح الإنسان فيه، الذي يتسلَّم قلوب القدِّيسين وينيِّحها، الذي يبدِّل ويحوِّل ويغيِّر شكل خلائقه بحسب ما هو عادل ومفيد. أنت وحدك غير قابل للفساد وغير المتغيِّر الأبدي.

نتوسَّل إليك من أجل رقاد ونياح عبدك هذا (أو عبدتك هذه) نيِّح نفسه وروحه في مراعيك، في مواضع الرَّاحة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع قدِّيسيك. أما الجسد فأقمه في اليوم الذي حدَّدته كمواعيدك غير الكاذبة، لكي تعطيه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه في مراعيك المقدَّسة.

لا تذكر زلاته وخطاياه، واجعل أن يكون خروجه سلامياً ومباركاً. اشف أحزان المحزونين بروحك المعزي وامنحنا جميعاً نهاية صالحة، بابنك الوحيد يسوع المسيح الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُس إلى آباد الدُّهور[٧]".

ونورد هنا مقابلة بسيطة بين نص صلاة الرَّاقدين في خولاجي سرابيون، وما يقابلها في أوشيَّة الرَّاقدين كما نصليها اليوم.

صلاة الرَّاقدين عند سرابيون	أوشيَّة الرَّاقدين كما نصليها اليوم
نتوسَّل إليك من أجل رقاد ونياح عبدك، نيِّح نفسه وروحه في مراعيك، في مواضع الرَّاحة.	اذكر يارب عبيدك الذين رقدوا ... نيِّح نفوسهم جميعاً... علهم في موضع خُضرة، على ماء الرَّاحة.

٧ـ مترجمة عن اليونانيَّة من
F.E. Brightman, *The Sacramentary of Serapion of Thmuis,* The Journal of Theological Studies, Vol. 1, London, 1900.

صلاة الرَّاقدين عند سرابيون	أوشيَّة الرَّاقدين كما نصليها اليوم
مع إبراهيم وإسحق ويعقوب	في حضن آبائنا القدِّيسين إبراهيم وإسحق ويعقوب
وجميع قدِّيسيك.	في نور قدِّيسيك.
أما الجسد فأقمه في اليوم الذي حدَّدته،	أقم أجسادهم في اليوم الذي رسمته،
كمواعيدك غير الكاذبة.	كمواعيدك الحقيقيَّة غير الكاذبة.
كي تعطه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه في مراعيك المقدَّسة.	وليستحقوا ملكوت السَّموات، وأعطهم وإيانا نصيباً وميراثاً.
لا تذكر زلاته وخطاياه ...	اللّهم تفضَّل اغفر لهم ...

الأواشي التي تقال في رفع بخور باكر

أما في رفع بخور باكر فتقال أوشيَّة المرضى ويعقبها أوشيَّة المسافرين. ويقول البابا غبريال الخامس في كتابه "الترتيب الطَّقسي": "وإن كان عقب صلاة باكر خدمة القدَّاس، فلا يقول (الكاهن) أوشيَّة المسافرين، لكنه يصعد إلى المذبح بعد قراءة أوشيَّة المرضي ويقول أوشيَّة القرابين، ولكن يوم السَّبت خاصة في صلاة باكر لا يقول أوشيَّة المرضى ولا المسافرين، لكن أوشيَّة المتنيِّحين لا غير[٨]".

فواضح هنا وبكل بساطة أنه إن كانت خدمة القدَّاس الإلهي منفصلة عن صلاة رفع بخور باكر، فيُصلي أوشيَّتا المرضى والمسافرين، أما إن كانت صلوات رفع بخور باكر متَّصلة بالقدَّاس فتُصلى أوشيَّتا المرضى

٨ـ البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٥٩

وبعدها أوشيَّة القرابين بدلاً من أوشيَّة المسافرين. وما ذكره هنا البابا غبريال لا تشذ عنه أي استثناءات سواء في قدَّاسات الأيام أو قداسات الآحاد والأعياد.

وقد اجتهد البعض في تفسير ما سبق ذكره بطرق أخرى، ولكن يظل قول البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م) هو المختصر المفيد. فيذكر القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي:

"على رأي البعض، تُقال أوشيَّة القرابين بدل أوشيَّة المسافرين إذا كان اليوم عيداً سيِّدياً أو الأحد، أو كان القربان حاضراً في الكنيسة. وفي بقية الأيام تُقال في القدَّاسات قبل الإبركسيس. وأيضاً في بعض الخولاجيَّات قيل: تُقال أوشيَّة القرابين في أيام الفطر وأوشيَّة المسافرين في أيام الصَّوم. ويظهر أن معاني هذه الأقوال يتَّفق بعضها مع بعض ... هذا بغض النَّظر عن بعض كنائس الآن لا تفصل خدمة القدَّاس عن رفع البُخور في الصَّوم أيضاً، ولكنها لم تكن هكذا في أيام من قال أن هذه تُقال في أيام الفطر، وتلك في أيام الصَّوم".

كانت صلوات رفع بخور باكر صلوات يوميَّة في الكنيسة سواء أعقبها قدَّاس أم لا، وقوانين الكنيسة القديمة صارت تحض المؤمنين على المواظبة على حضورها كل يوم. ولذلك فقد شملت هذه الخدمة إلى جانب الصَّلوات، قراءات كثيرة من العهدين القديم والجديد، إلى جانب فصل من الإنجيل المقدَّس، ولازال طقس رفع بخور باكر في الصَّوم المقدَّس الكبير شاهداً على ذلك.

فمنذ القرن الثالث الميلادي نقرأ في كتاب التَّقليد الرَّسولي (الترتيب الكنسي المصري):

"وعندما يجتمع الكل، فليعلِّموا الذين في الكنيسة وهكذا بعد أن

يصلُّوا فليمضِ كل واحد إلى العمل المعيَّن له" (٢:٣٣)[٩].

وأيضاً: "فلا يتأخَّر واحد منكم عن المضيِّ إلى الكنيسة، الموضع الذي فيه التَّعليم ... فليسرع كل واحد في الذهاب إلى الكنيسة، الموضع الذي يفيض فيه الرُّوح" (٣:٣٥).

وأيضاً: "وإن كان ثَمَّ كلام وعظ فليختاروه لهم، ويمضوا يسمعون كلام الله الذي يثبِّت النَّفس، ويسرعون بالذَّهاب إلى الكنيسة الموضع الذي فيه يزهر الرُّوح" (٢:٣١).

فلم يكن مألوفاً أن تكون هناك صلوات في الكنيسة المحليَّة ويتغيَّب واحد من المؤمنين القاطنين في منطقة خدمة هذه الكنيسة. "فليهتم كل واحد بأن يمضي إلى الكنيسة في كل الأيام التي تكون فيها الصَّلوات" (قوانين هيبوليتس القبطية ٣:٢٦).

وفي قوانين هيبوليتس القبطيَّة التي ترقى إلى القرن الخامس الميلادي نقرأ: "إذا كانت مفاوضة في بيعة لأجل كلام الله، فليسرع كل واحد ويجتمع إليه. وليعلموا أن الأفضل لهم أن يسمعوا كلام الله أكثر من كل افتخار هذا العالم. وليحسبوا أنها خسارة عظيمة لهم إذا عاقتهم ضرورة عن أن يسمعوا كلام الله، بل ليتفرَّغوا للكنيسة مرَّات كثيرة. ليقدروا أن يخرجوا الحقد الذي للعدو" (قوانين هيبوليتس القبطية ١:٢٦).

إذاً فقد كانت أوشيَّة المسافرين هي الأوشيَّة التي تصلِّيها الكنيسة يومياً من أجل المؤمنين الذين سيذهبون إلى أعمالهم بعد حضورهم صلوات رفع بخور باكر. أما إن كان القدَّاس سيبدأ بعد رفع بخور باكر مباشرة، فمعنى هذا أن المؤمنين سيبقون في الكنيسة، فلم يكن إذاً من

٩ـ انظر أيضاً قوانين الرُّسل القبطية (١:٤٥).

ضرورة أن تُصلىَّ هذه الأوشيَّة، وعلى ذلك فتُقال بدلاً منها أوشيَّة القرابين، والسؤال لماذا؟ لأن المؤمنين كانوا في حال حضورهم القدَّاس الإلهي يحضرون معهم تقدماتهم حتماً إلى الكنيسة مهما كانت قليلة.

فالصدقة لازمة لكل واحد، وأوشيَّة القرابين تُصلىَّ في الكنيسة من أجل الذين قدَّموا بالفعل قرابينهم ونذورهم إليها، آخذة في اعتبارها أيضاً الذين يريدون أن يقدِّموا وليس لهم. وتقليد الكنيسة الجامعة في ذلك هو ألاَّ نظهر أمام الرَّب في بيته فارغين.

وتقول قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة في ذلك:
"الرَّب ليس محتاجاً إلى قرابين، ولكنه يريدنا أن نطلبه، وهو لا يتعلَّق بالأشياء، ولكنه متعلِّق بنا. فماذا نصنع بما لنا إذا لم نشارك الله فيما هو لنا؟. فحتى لو كان واحد فقيراً مثل أرملة إيليا، أو مريضاً مثل المقعد الذي كان يتصدَّق، يجب أن يكون عنده ما يقدِّمه لله عن نفسه، حتى ولو كان الذي يعطيه قليلاً، فإنه يكون له تذكار. لأن ليس الذي يعطي الذَّهب للهيكل هو الذي يُذكر فقط، بل والذي يعطي كوز فخَّار، أو خبزاً، أو قليل خمر، أو وعاءً للماء، أو حتى الذي يملأ حوض الماء للتغطية[١٠]، فإن الله يذكره مثل الذي يعطي مالاً كثيراً كقوَّته" (القانون ٣٤).

وعند ابن كبر (+ ١٣٢٤م): "ليكتب الشَّمامسة أسماء من يأتي بالقرابين حياً كان أو ميتاً ليذكروهم[١١]".

١٠ـ ماء التغطية أي الماء الذي يشربه المتناول بعد تناوله الجسد والدم الكريمين، ونقرأ عند ابن كبر: "ولا يغط أحدٌ قربانه بخبز قبل التَّسريح. وماء التغطية لا يُرمى منه شئ من الفم". (كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧).

١١ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء

وهكذا يتَّضح أن طقس الكنيسة يخدم الاحتياجات الفعليَّة لأولادها، وهذا هو الأساس الذي أنبنى عليه الطّقس. فإن كانوا مسافرين فإنها تصليٍّ من أجل أن يسهِّل الرَّب طريقهم ليعودوا سالمين، وإن كانوا يقرِّبون قرابينهم، للرَّب، فإنها تصليٍّ من أجل أن يقبلها الرَّب منهم.

وهذا عينه ما تفعله الكنيسة حينما تصلي أوشيَّة المرضى. فلم تكن الكنيسة تصلي من أجل المرضى فحسب، بل كان عليها أن تعول الفقراء منهم، الذين ليس لهم أحد يعولهم، وتسهر على خدمتهم ورعايتهم حتى يصلوا إلى تمام الشِّفاء، ومن أجل هذا خصَّصت لخدمة المرضى واحداً دعته "وكيل الكنيسة".

ففي القانون الثمانين من قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة[١٢] نقرأ:

"ومن أجل المرضى الذين في الموضع المقدَّس إذا كان عندهم من يعولهم فلا يثقّلوا على الكنيسة. وإن كانوا فقراء فليهتم بهم وكيل الكنيسة التي يرقدون فيها كمثل أولاد، ويحتفظ بهم كمثل أواني الكنيسة، عارفاً أن الله يسأله عنهم أكثر من الأواني المقدَّسة لأنهم صورته ومثاله. وقد صار إنساناً من أجل هؤلاء لكي يخلّصهم وينجيهم، لاسيَّما أنهم سكَّان معه في بيته حتى يشفيهم. وآخرون أيضاً إذا احتاجوا مداواة ورعاية فليعطهم برحمة وهو فرحان بشفائهم. وأنت أيها الوكيل تعرف أن البشر هم أحباؤه، فاصنع معهم الخير كقوتك ولاسيَّما المرضى".

وبعد انتهاء الكاهن من صلاة الأواشي الكبار، يبدأ للتَّو طقسان

الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧.

١٢- انظر للمؤلف: كتاب "قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة"، القاهرة، يناير ٢٠٠٣م.

متوازيان:

الأوَّل هو ترديد الشَّمامسة والشَّعب لمجموعة صلوات تنتهي بالذكصولوجيَّات.

والثاني هو دورة الكاهن بالبُخور حول المذبح والكنيسة.

الفَصل الخَامس

الذُّكصولوجيَّات ودورة البُخور في الكنيسة

مجموعة صلوات تنتهي بالذُّكصولوجيّات

في رفع بخور عشيَّة يُقال: "تفضَّل يارب أن تحفظنا في هذا اليـــوم ونحن بغير خطيَّة ...". و"اليوم" المقصود هنا هو اليوم الطَّقسي الـــذي يبدأ من الآن في وقت صلاة عشيَّة، وينتهي في غروب اليوم التالي، فـــلا يستغرب أحدٌ إذاً أن يشمل نص هذه الصَّلاة التي تُرتل في المساء تعـــبير "هذا اليوم"، إذ يكون اللَّيل قد بدأ يرخي سدوله.

ولقد أشار كل من ابن كبر والبابا غبريال الخامس إلى هذه الصَّلاة، والتي تعرفها أيضاً الطقوس الشَّرقيَّة. وهي صلاة بديعة المبنى والمعنى، تُعتبر نموذجاً لصلواتنا حين نقدِّمها أمام الله، مبتدئين إياهـــا بمباركـــة اسمـــه القدُّوس. ونسيج هذه الصَّلاة هو طلبات تقويَّة ممزوجـــة بشـــواهد كتابيَّة من غير تكلُّف. وقد أوردتُ شرحاً تفصيلياً لهذه الصَّـــلاة مـــع مقارنة لنِّصها بين الكنيستين القبطيَّة والبيزنطيَّة، في كتاب: "الأجبية أي صلوات السَّواعي".

أما في رفع بخور باكر فتُقال: "تسبحة الملائكة" ودُعيت كـــذلك لأنها تبدأ بالعبارة التي رتَّلها الملائكة يوم ميلاد المسيح «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السَّلام وبالنَّاس المسَّرة». فيبدأ المصلِّي بقوله: "فلنسبِّح مع الملائكة قائلين: المجد لله ..."، وهذا هو اسمهـــا في الطَّقســـين القبطـــي والسِّرياني، أما الطَّقس البيزنطي فيدعوها: "المجدلة الصُّغرى"، وتُعـــرف في الطَّقس اللاَّتيني باسم Gloria in Excelsis . فهي إذاً تسبحة تعرفها كل

الكنائس التَّقليديَّة شرقاً وغرباً. ولقد أصبحت هذه التَّسبحة جزءاً رئيسياً في صلاة الصَّباح Matins في الشَّرق المسيحي.

أما تكملة هذه التَّسبحة فهي من وضع البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وهكذا ورد عنوانها في كافة الأبصلموديَّات المطبوعة[١] "تسبحة الملائكة تُقال في باكر، وتكملتها لأنبا أثناسيوس الرَّسولي بابا وبطريرك الإسكندريَّة".

وأقدم إشارة تصل إلينا عن نص هذه التَّسبحة نجدها في مخطوط إسكندراني يعود إلى القرن الرَّابع. ولقد قام الأب برنارد كابيل D. Bernard Capelle بدراسة هذا النَّص، وعمل تحليل مستفيض لكل كلمة منه، مع مقارنته بنصوص أخرى[٢]، وخلص إلى أن هذا النَّص الإسكندراني هو النَّص الأصيل والسَّليم لهذه التَّسبحة.

وقد أوردتُ شرحاً تفصيلياً لنص هذه التَّسبحة مقارناً مع نصها في الطقوس الشرقيَّة المختلفة، في كتاب: "الأجبية أي صلوات السَّواعي".

وسواء في رفع بخور عشيَّة أو باكر، وبعد "تفضَّل يارب ..."، أو "فلنسبِّح مع الملائكة ..." يصلُّون الثلاثة تقديسات، والصَّلاة الربيَّة.

أما عن الثلاثة تقديسات فهي صلاة طقسيَّة تعرفها كل الكنائس

١ـ باستثناء أبصلموديَّة جمعية نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة – مع الأسف – إذ اكتفت بالعنوان: "تسبحة الملائكة تقال في باكر" !.

٢ـ ورد نص هذه التَّسبحة في الفصل ٤٧ من الكتاب السَّابع من المراسيم الرسولية. أما الفصل ٤٨ من نفس الكتاب فيورد لحن المساء حاوياً (المزمور ١٢١:١)، وفصل تسبحة سمعان الشيخ Nunc Dimittis (لوقا ٢:٢٩ـ ٣٢).

Cf. Robert Taft, S. J., *op. cit.*, p. 45.

أيضاً، إلاَّ أنها صلاة تميِّز العبادة الأرثوذكسيَّة، إذ تتكرَّر كثيراً خلال الصَّلوات الليتورجيَّة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة. وأقدم إشارة موثَّقة تصلنا عنها تعود إلى القرن الخامس الميلادي(٣).

وبعد ذلك يقولون: "السَّلام لك نسألك ...".

السَّلام لكِ نسألكِ Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲧⲉⲛϯϩⲟ

يدعو القس شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر هذه الصَّلاة: "مديحة للعدرى"، ويدعوها أيضاً: "دكصالاجيا (ذُكصولوجيَّة) السَلم (السَّلام) لكِ نطلبُ اليك(٤)...".

وفيما يلي نص هذه الذُّكصولوجيَّة للعذراء:

- السَّلام لك نسألك أيَّتها القدِّيسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين، والدة الإله أم المسيح.
- اصعدي صلاتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا.
- السَّلام للتي ولدت لنا النُّور الحقيقي المسيح إلهنا، العذراء القدِّيسة.
- اسألي الرَّب عنَّا ليصنع رحمة مع نفوسنا ليغفر لنا خطايانا.
- أيتها العذراء مريم والدة الإله القدِّيسة الشَّفيعة الأمينة لجنس البشريَّة.
- اشفعي فينا أمام المسيح الذي ولدته، لكي ينعم لنا بغفران خطايانا.
- السَّلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقيَّة الحقانيَّة. السَّلام لفخر جنسنا، ولدت لنا عمَّانوئيل.
- نسألك اذكرينا أيتها الشَّفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر

٣- قدَّمتُ دراسة مستفيضة لهذه الصَّلاة في كتاب: "الأجبية أي صلوات السَّواعي"، ويمكن للقارئ العزيز أن يرجع إليها إن رغب، وذلك في الفصل الثاني من الباب الرَّابع في الكتاب المذكور، وهو عن صلاة باكر.

٤ ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٦.

لنا خطايانا.

وهذه الصَّلاة المعزِّية التي نطلب فيها شفاعة العذراء القدِّيسة، نصلّيها دائماً في بداية كل يوم، سواء في البيت أو في الكنيسة. فتُصلّى في الأجبية في صلاة باكر النَّهار، أما في الكنيسة فتُصلى في صلوات كل من رفع بخور باكر ورفع بخور عشيَّة.

وهي ثمانية أرباع، مقسَّمة إلى أربعة أقسام، كل قسم منها ربعان، الأوَّل إعطاء السَّلام للعذراء، والثاني طلب شفاعتها أمام الرَّب ليغفر لنا خطايانا. ويُرتّل الرُّبعان الأخيران منها باللَّحن حسب المناسبة الكنسيَّة، حيث يتبدَّل اللَّحن على خمس نغمات على مدار السَّنة الطَّقسيَّة (السَّنوي، الفرايحي، الكهيكي، الصِّيامي، الشَّعانيني)، ويعقبها مباشرة الذُّكصولوجيَّات.

وهنا تبدأ الذُّكصولوجيَّات بحسب الطَّقس الحالي، أما في القديم، فيتَّضح لنا من القراءة المدقّقة لما يذكره القس شمس الرئاسة أبو البركات، في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" أن طقس رفع البُخور في باكر بعد قطعة "السَّلام لك نسألك ..." كان يشتمل على إبصاليَّة اليوم، وثيؤطوكيته، وختام الثيؤطوكيَّات حتى إن كانت هذه العناصر قد قيلت في تسبحة السَّحَر. ولا ينبغي أن يستغرب القارئ من ذلك، فحتى اليوم نمارس طقساً شبيهاً بذلك في صلوات رفع بخور باكر سبت الفرح، وهو ما يدعونا إلى تأكيد ما سبق أن ذكرناه غير مرَّة، أن المناسبات الكنسيَّة الأكثر تقديساً هي التي حفظت لنا أقدم الطقوس وأعرقها.

فيقول ابن كبر في الباب السَّادس عشر متحدِّثاً عن طقس رفع البُخور في باكر، تحت عنوان: "ترتيب الصَّلوات بالبيعة القبطيَّة بالدِّيار المصريَّة" ما نصه:

"... يُرفع البُخور، ويُقال تسبحة الملايكه، ويُقال تلوهـا مديحـة للعدرى من ذكصالاجيا السَلم لكِ نطلب إليـك Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲧⲉⲛϯϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟ ويُقال تلوها ابصالي ذلك النهار وتاوضوكيته. وان كانت قد قيلت في صلاة نصف الليل فالاخف ان لا تكرّر باكراً. ومن الناس من يعيـد اللُبش الاخير منها فقط. ويختصرون الابصالي فلا يقولون الاّ ثمانية ارباع من اخرها من حرف الى حرف Ⲱ : وارباعاً يسيرة من Ⲡⲉⲕⲛⲁⲓ ⲱ Ⲡⲁⲛⲟⲩϯ وان كان تم دفناري فيُطرح منه ما يختص بدلك اليـوم. وان كان دلك النهار تدكار اخد من الشهداء او القديسين او الملايكه فيُقرا مهما تيسر من الدكصالاجيه المختصه به".

هذه ملاحظة عابرة توضِّح لنا كيف ينمو الطَّقس الكنسي كـأي كائن حي، لأن عدم النُّمو يعني في الحقيقة الموت. ولكن نمو الطَّقـس أو تطوُّره لا يعني في ذات الوقت إخلال بالأصول، أو مجـاراة لرغبـة في التَّجديد لمجرد التَّجديد. ولقد كان لباباوات الكنيسة القبطيَّة الفضل دائماً في التمسُّك بالتَّقليد الكنسي كما تسلَّموه، معتـبرين أن عملـهم الأوَّل والأساسي ينحصر في تسليم الوديعة التي ائتمنوا عليها دونمـا زيـادة أو نقصان. والآن عودة إلى تكملة طقس رفع البُخور في عشية وباكر.

الذُّكصولوجيَّات

الذُّكصولوجيَّات في الكنيسة القبطيَّة هي مدائح قبطيَّة موزونة شعراً في تمجيد وتسبيح السيِّد المسيح في الأعياد السيديَّة، أي التي تختص بالسيِّد المسيح، أو في تمجيد وتطويب العذراء، والسَّمائيين، ويوحنا المعمـدان، والرُّسل، والشُّهداء، والقدِّيسين، في أعيادهم.

والذُّكصولوجيَّات في الكنيسة القبطيَّة على نوعين: إما واطـس أو

آدام، فنقول: ذكصولوجيَّة واطس، أو ذكصولوجيَّة آدام. وكل من هذين النَّوعين يمكن أن يُقال في أي يوم من أيام الأسبوع دون التقيُّد بأن اللَّحن الواطس يختص بأيام من الأسبوع دون اللَّحن الآدام الذي يختص بأيام أخرى منه.

فالذُّكصولوجيَّات الواطس والتي يحويها كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة السنويَّة(٥)، كلها في النَّص القبطي البحيري، وتُقال في صلوات رفع بخور عشيَّة وفي رفع بخور باكر على مدار السَّنة الطَّقسيَّة. ويتغيَّر لحنها خمس مرَّات على مدار السَّنة الطَّقسيَّة.

أما الذُّكصولوجيَّات الآدام، والتي يحويها كتاب التَّماجيد، فلا يتغيَّر لحنها على مدار السَّنة الطَّقسيَّة، وهي تُقال في تماجيد العذراء والشُّهداء والقدِّيسين(٦). وهناك ذكصولوجيَّة آدام تُقال دائماً بعد مزامير صلاة باكر وقبل رفع بخور باكر مباشرة (كما هو مستقر في طقسنا الحالي)، وتُدعي "ذكصولوجيَّة باكر آدام" في كتاب الأبصلموديَّة السنويَّة المقدَّسة.

وبالإضافة إلى كتابي الأبصلموديَّة المقدَّسة والتَّماجيد، فقد وُجدت الذُّكصولوجيَّات أيضاً في الكتب التالية:

- كتاب "الثيؤطوكيَّات كترتيب شهر كيهك"

Πιϫωⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲕⲁⲧⲁ ⲧⲁⲝⲓⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲁⲃⲟⲧ Ⲭⲟⲓⲁⲕ

---

٥ ـ أول كتاب أبصلموديَّة مقدَّسة سنويَّة مطبوع هو ما قام بطبعه القُمُّص مينا البراموسي في الإسكندريَّة سنة ١٩٠٨م، ومعه وفي نفس السَّنة كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة السنويَّة التي قام بطبعها أقلاديوس بك لبيب في القاهرة.

٦ ـ يكون تمجيد القدِّيسين في أعيادهم عقب انتهاء صلوات رفع بخور عشيَّة.
Cf. Yassa Abd Al _ Masih, (BSAC), t. IV, *op. cit.*, p. 102.

لروفائيل الطوخي، وطبعه في روما سنة ١٧٦٤م(٧).

- كتاب ''خدمة تكريس الكنيسة والمذبح''، وذلك بحسب الطَّقس القبطي. ونشره الأب هورنر G. Horner أسقف سالسبري في لندن سنة ١٩٠٢م.

- كتاب ''دلاَّل وترتيب جمعة الآلام وأحد الفصح المجيد''، وطُبع في القاهرة سنة ١٩٢٠م.

ولقد أورد العلاَّمة الطَّقسي التَّقي الأستاذ يسى عبد المسيح (١٨٩٨- ١٩٥٩م) ثبتاً بكل الذُّكصولوجيَّات الواطس والآدام التي تُقال في الكنيسة القبطيَّة، بالنَّص القبطي البحيري، حيث أورد لكل ذُكصولوجيَّة كل من الرُّبعين الأوَّل والأخير منها، بالإضافة إلى ذكر عدد الأرباع، والكلمات اليونانيَّة التي وردت في كل ذُكصولوجيَّة(٨). معتمداً في ذلك على كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة الذي طُبع سنة ١٩٠٨م، وكتاب التَّماجيد المقدَّسة الذي طُبع في القاهرة سنة ١٩٢٢م.

ولقد أشار القس شمس الرِّئاسة ابن كبر (+ ١٣٢٤م) إلى الذُّكصولوجيَّات ثلاث مرَّات في كتابه ''مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة'' وذلك في الفصول (١٦، ١٨، ١٩).

ولدينا إشارة وثائقيَّة عن استخدام الذُّكصولوجيَّات في الكنيسة في القرن الثاني عشر، وذلك في صلوات تنصيب البطريرك البابا غبريال الثاني بن تريك (١١٣١- ١١٤٥م) البطريرك السَّبعون من بطاركة الكنيسة

٧- نقلت أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب عن هذا الكتاب ذُكصولوجيَّة الرَّسولين بطرس وبولس، والذُّكصولوجيَّة الثانية لمار مرقس الرَّسول، فقط.

8- Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church*, cited by Bulletin de la Société d'Archéologie Copte (BSAC), t. IV, 1938, p. 20- 74.

القبطيَّة، حيث جاء فيها: "ويقولوا قانون الابصـــلموديه والذكصــلجيه (الذُّكصولوجيَّة)"، وكذلك في طقس رسامة الأسقف وردت عبــارة: "بعد فروغ السهر والأبصلمودية والذكصلجية (الذكصولوجية)[٩]".

ولقد وصلت إلينا بعض الذُّكصولوجيَّات القليلة في نصها القبطــي الصَّعيدي الذي يعود إلى القرن التَّاسع الميلادي[١٠]، وذلك في الجــزئين الثالث عشر[١١] والرَّابع عشر[١٢] من مجموعة مرجــان للمخطوطــات القبطيَّة، ويعود تاريخها إلى سنة ٦٠٩ ش/ ٨٩٢م، أي القــرن التاســع الميلادي. وجدير بالذِّكر أن الذُّكصولوجيَّات التي وردت في الجزء الرَّابع عشر من هذه المجموعة قد تُرجمت إلى اللَّهجة القبطيَّة البحيريَّــة، إلاَّ أن كثيراً من الذُّكصولوجيَّات في لهجتها القبطيَّة البحيريَّة قد أُلِّفت في زمــن متأخِّر فيما بعد القرن التاسع، وليس لها أصل قبطي صعيدي[١٣].

الذُّكصولوجيَّات في الكنيسة اليونانيَّة

أما في الكنيسة اليونانيَّة، فهناك كثير من الألحان والتَّسابيح التي تُقال للشُّهداء والقدِّيسين أيضاً، ولكنها لا تُسمى ذكصولوجيَّات بمثل تسميتها في الكنيسة القبطيَّة. ولكن في المقابــل هنــاك في الكنيســة اليونانيَّــة ذكصولوجيتان مشهورتان:

9_ Yassa Abd Al_Masih, *op. cit.*, (BSAC), t. IV, p. 99.

10_ Yassa Abd Al _ Masih, *op. cit.*, (BSAC), t. V, p. 177.

١١ _ عنوان هذا الجزء الثالث عشر بالقبطيَّة، وترجمته: "كتاب التَّفاسير المقدَّسة".

١٢ _ عنوان هذا الجزء الرَّابع عشر بالقبطيَّة، وترجمته: "كتاب الــدِّفنار المقــدَّس للشُّهداء وأعياد القدِّيسين حسب ترتيب آباء الكنيسة".

١٣ _ لتفصيلات أوفر عن الذُّكصولوجيَّات، انظر للمؤلِّف: كتــاب: "تســبحة نصف اللَّيل والسَّحَر".

The Great Doxology – ʽΗ Δοξολογία Μεγάλη :الجدلة الكُبرى

وتُسمى في اليونانيَّة "ذكصولوجيًّا ميغالي" وتبدأ بعبارة Δόξα σοι τῷ δείξαντι τό φῶς أي: "المجدُ لك يا مُظهر النُور". وهي تُقال في نهاية صلاة السَّحَر ὄρθρος (١٤) للآحاد، والأعياد السيديَّة، وتذكارات كبار القدِّيسين. وتُرتَّل أيضاً في نهاية قدَّاس أحد الشَّعانين في التطواف الكبير بالشُّموع وسعف النخيل. ولها ثمانية ألحان مختلفة طبقاً لدورة الألحان الثمانية المعروفة في الطَّقس البيزنطي.

The Small Doxology –`Η Δοξολογία Μικρὰ :الجدلة الصُّغرى

وتُسمى في اليونانيَّة "ذكصولوجيًّا ميكرا"، وتبدأ مباشرة بعبارة "المجد لله في العُلى ...(١٥)" وهي جزء من صلاة السَّحَر التي تُقال في الأيام العاديَّة للأسبوع (من الاثنين إلى الجمعة). وتُقال في صلاة النَّوم الصُّغرى، وتذكارات بعض القدِّيسين. وهي تُقال أيضاً في صلاة النَّوم الكُبرى في الصَّوم الأربعيني المقدَّس. وتُتلى بدون ترتيل.

والجدول التالي يورد نص هاتين الذكصولوجيتين الشَّهيرتين.

الجدلة الكُبرى	الجدلة الصُّغرى
المجد لك يا مظهر النُّور.	
المجد لله في العُلى، وعلى الأرض السَّلام، وفي النَّاس المسرَّة.	

14_ Yassa Abd Al _ Masih, *Doxologies in the Coptic Church,* cited by Bulletin de la Société d'Archéologie Copte (BSAC), t. IV, 1938, p. 107.

١٥ـ الجزء الأخير من الصَّلاة التي تسبقها مباشرة يبدأ بعبارة Σοὶ δόξα πρέπει أي: "يليق بك المجد ...". ونصها هو: "يليق بك المجد أيها الرَّب إلهنا، وإليك نرفع المجد أيها الآب والابن والروح القدس. الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين."

المجدلة الكُبرى	المجدلة الصُّغرى

نسبِّحُك. نباركُك. نسجد لك. نمجِّدُك. نشكرُك لأجل عظم مجدك.

أيها الرَّب الملك. الإله السَّماوي، الآب القدير. أيها الرَّب الابن الوحيد يسوع المسيح. ويا أيها الرُّوح القُدُس.

أيها الرَّب الإله، يا حمل الله، يا ابن الآب، الرَّافع خطيَّة العالم ارحمنا. يا رافع خطايا العالم تقبَّل تضرُّعنا. أيها الجالس عن يمين الآب وارحمنا.

لأنك أنت وحدك قدُّوسٌ. أنت وحدك الرَّب يسوع المسيح. لمجد الله الآب آمين.

في كل يوم أباركك وأسبِّح اسمك إلى الأبد. وإلى أبد الأبد.

أهِّلنا يارب أن نُحفظ في هذا اليوم بلا خطيَّة.

مباركٌ أنت يارب إله آبائنا ومسبَّح وممجَّد اسمك إلى الدُّهور آمين.

لتكن رحمتك يارب علينا بحسب اتكالنا عليك.

مباركٌ أنت يارب علمني حقوقك (ثلاثاً).

يارب ملجأً كنتَ لنا جيلاً فجيلاً. أنا قلتُ يارب ارحمني واشف نفسي لأني خطئتُ إليك.

يارب إليك لجأتُ، علِّمني أن أعمل مشيئتك. لأنك أنت إلهي.

لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نعاين النُّور. أبسط رحمتك للذين يعرفونك.

المجدلة الكُبرى	المجدلة الصُّغرى
قدوسٌ الله. قدوسٌ القوي. قدوسٌ الذي لا يموت. ارحمنا (ثلاثاً).	أهِّلنا يارب أن نُحفظ في هذا اليوم[١٦] بلا خطيَّة.

١٦– في صلاة النَّوم الصُّغرى يقال: "... في هذه اللَّيلة".

المجدلة الكُبرى	المجدلة الصُّغرى
المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين آمين.	مباركٌ أنت ياربُّ. إله آبائنا. ومسبَّح وممجَّد اسمك إلى الدُّهور. آمين. لتكن يارب رحمتك علينا بحسب اتكالنا عليك. مباركٌ أنت يارب علِّمني حقوقك (ثلاثاً). رحمتك يارب إلى الأبد. فلا تعرض عن أعمال يديك. لك ينبغي التَّسبيح، لك ينبغي النَّشيد. لك ينبغي المجد. أيها الآب والابن والرُّوح القدُس. الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين. آمين.

دورة البُخور حول المذبح والكنيسة

بعد نهاية الأوشيَّة، وفي أثناء ترديد الشَّعب لمجموعة الصَّلوات السَّابق ذكرها، والتي تنتهي بالذُّكصولوجيَّات، يصعد الكاهن إلى الهيكل ويقبِّل المذبح بفيه، ويرشم دُرج البُخور رشماً واحداً بمثال الصَّليب، وهو يقول: "مجداً وإكراماً ..."، ويرفع في المجمرة يد بخور واحدة. ثم يعطي البُخور ثلاث أيادي للشَّرق، وهو أمام المذبح، ويقول كما ذكرنا سابقاً، ثم يقبِّل المذبح بفيه[١٧] ويدور حوله بالبُخور دورة واحدة، وينزل منه ويعطي البُخور قدام باب الهيكل ثلاث أيادي كما شُرح سابقاً.

١٧ـ هذا التَّقبيل الثاني للمذبح كما ذكره كتاب "الترتيب الطقسي"، وكتاب "الخولاجي المقدس" لا يُمارس الآن.

عند هذا الحد من الطَّقس نجد أن المرحلة التالية من الطَّقس وهي ترتيب دورة البُخور في الكنيسة كما تمارسه الكنائس حالياً هو ما تذكره بعض مخطوطات الخولاجيَّات مثل مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر. وما يذكره أيضاً القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي في الخولاجي المقدَّس الذي طُبع سنة ١٩٠٢م حيث يقول في ذلك: "وهذه هي البُخورات المستعملة في عشيَّة وباكر والبولس والإبركسيس(*) (١٨)"، أي أنه الطَّقس المعمول به في أواخر القرن التاسع عشر. أما كلٍ من القس شمس الرِّئاسة ابن كبر، والبابا غبريال الخامس فيوردان ترتيباً وإن كان واحداً في أساسياته مع ما يذكره الخولاجي المطبوع، غير أنه مختلف عنه قليلاً في بعض تفصيلاته.

فنلاحظ أن دورة البُخور عند ابن كبر[١٩] هي أكثر بساطة مما يذكره عنها البابا غبريال الخامس، وما يذكره هذا البابا عنها هو أكثر بساطة مما يشير إليه القُمُّص عبد المسيح المسعودي بخصوصها.

فعند ابن كبر نقرأ ما نصه: "... ويبخر المذبح دايراً حوله ثَلَث دورات، ثم باب الحجاب، ثم البطريرك ويدعو له بالحفظ والحراسة وكبت الاعداء، ويقبّل الصليب من يده، ومن بعده من كان حاضراً من الاساقفة ويدعو لهم بما يقارب دعا البطرك الا ادا كانوا في كراسيهم فيُبجَّلون اكثر. ثم من بعدهم القمامصة ثم القسوس ثم الاراخنة ثم

١٨ـ هذه النَّجمة (*) التي يضعها القُمُّص عبد المسيح في نهاية ما يورده من بعض تعليمات طقسيَّة في الخولاجي الذي راجعه، تعني أنه هو الذي يذكر ذلك بحسب ما هو معروف في زمانه و لم ينقله عن الخولاجيَّات القديمة التي نقل عنها.

١٩ـ سبق أن ذكرتُ في الفصل السَّابق أن هناك ثلاث دورات بالبخور على الشَّعب في صلوات رفع البخور. والذي أصبح دورة واحدة على الشَّعب عند البابا غبريال الخامس، وهو يريك مقدار التنظيم الكبير الذي أجراه البابا غبريال الخامس على الطقس القبطي.

الشمامسة. والشمامسة يقبِّلون يده وهو يباركهم.

ويُستحب اعتراف الانسان بخطيئته وطلبه المغفرة عند وقت تبخيره سراً بوجيز من اللفظ. فقد قال بعضهم ان اخراج البُخور للشعب يــنزل منزلة الدبيحة الذي كان يخرج في العتيقة الى خارج. ويعترف من يقدمه بخطيئته في ادنه، ثم يقرّب عنه.

وادا فرغ الكاهن من تبخير الشعب جميعه الرجال والنساء واماكن الهياكل وايقونات الشهدا والقديسين، يعود الى الهيكل ويطلع فوق قدس الاقداس كانَّه يرفع خطايا الشعب للاله، ويبخر الهيكل ثم البطريرك فقط. وان لم يكن حاضراً فالاسقف والاَّ فمن يكون حاضراً من الكهنة. ويومي بالمجمرة الى بقية الشَّعب ...“ (بخطئه).

إذاً فعند ابن كبر يكون ترتيب دورة البُخور كالآتي:

- الدوران بالبُخور حول المذبح ثلاث مرات.
- رفع البُخور أمام باب الهيكل.
- تقديم البُخور للبطريرك أو الأسقف أو الكهنة الحاضرين.
- تبخير الأراخنة والشَّمامسة.
- تبخير الشَّعب جميعه رجالاً ونساءً.
- التبخير أمام الهياكل وأيقونات الشُّهداء والقدِّيسين.
- العودة للهيكل والوقوف أمام المذبح للصَّلاة.
- دورة واحدة حول المذبح.
- تقديم البُخور للبطريرك وحده مرَّة ثانية، أو الأسقف، وإلاَّ فمن يكون حاضراً من الكهنة.
- يومئ بالمجمرة إلى بقية الشَّعب.

والجدول التالي هو مقارنة بين ما يذكره البابا غبريال الخــامس في

طقس دورة البُخور في الكنيسة[٢٠]، وما يذكره القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي في نفس هذا الطّقس[٢١].

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
... ويعطي البُخور أمام المذبح من الخارج، ويعطي ثلاث أيادي وهو يقول كما شُرح أولاً.	... يبخِّر أمام باب المذبح أي باب الهيكل إلى الشَّرق ثلاث أياد وهو يقول ...
ثم بعد ذلك إن كانت صورة العذراء قريبة منه، يعطيها البُخور ثلاث أيادي وهو يقول: نعطيك السَّلام مع غبريال ... بكمالها، (ثم) اشفعي	ثم يبخِّر إلى جهة بحري قائلاً لأجل العذراء والدة الإله: نعطيك السَّلام مع جبرائيل الملاك قائلين السَّلام لك يا ممتلئة نعمة الرَّب معك. أو يبخِّر إلى جهة بحري ثلاث أياد قائلاً في الأولى: افرحي يا مريم الحمامة الحسنة التي ولدت لنا الله الكلمة. نعطيك السَّلام ... اليد الثانية: السَّلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقيَّة الحقانيَّة، السَّلام لفخر جنسنا، ولدت لنا عمانوئيل. اليد الثالثة: نسألك اذكرينا أيتها الشفيعة الأمينة أمام ربنا يسوع المسيح

٢٠ ـ البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣

٢١ ـ كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٧٣ ـ ٨٤

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
	ليغفر لنا خطايانا.
	ثم يبخِّر غرباً قائلاً: السَّلام لمصاف الملائكة وساداتي الآباء الرُّسل، وصفوف الشُّهداء وجميع القدِّيسين.
	وقبلياً قائلاً: السَّلام ليوحنا ابن زكريا، السَّلام للكاهن ابن الكاهن.
	وشرقاً قائلاً: فلنسجد لمخلِّصنا محب البشر الصَّالح، لأنه تراءف علينا وأتى وخلَّصنا.
وكل ملاك أو شهيد أو قدِّيس يعطيه البُخور باسم صاحب القونه (الأيقونة) قائلاً: أطلب من الرَّب عنَّا ...	
	إذا كان الأب البطريرك أو المطران أو الأسقف حاضراً يعطيه البُخور ثلاث أياد.
	أوَّل يد بعدما يقبِّل الصَّليب الذي بيده يقول: الرَّب يحفظ حياة وقيام أبينا المكرَّم رئيس الكهنة أنبا فلان.
	اليد الثانية: حفظاً احفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سلاميَّة.

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
	اليد الثالثة: وأخضع جميع أعدائه تحت قدميه سريعاً.
	ثم يقبِّل الصَّليب قائلاً: اطلب من المسيح عنا ليغفر لنا خطايانا.
ثم يلتفت إلى حيث إخوته الكهنة، ويعطي كل واحد البُخور بطقسه قائلاً إن كان قسيساً: أسألك يا أبي القسيس اذكرني في صلواتك، لكي الرَّب يغفر لي خطاياي الكثيرة.	وبعد ذلك يعطي البُخور لباقي الكهنة جميعاً. للقس يد واحدة يقول: أسالك يا أبي القس اذكرني في صلاتك.
وإن كان قمصاً فله يدين: اليد الأولى؛ اذكر يارب أبانا القُمُّص آفا فلان. اليد الثانية؛ احفظه في سلام وعدل وقوة.	فللقمص يدان. أول يد يقول: أسألك يا أبي القمص اذكرني في صلاتك. ثاني يد: لكي المسيح إلهنا يغفر لي خطاياي الكثيرة. أو في ثاني يد يقول: الرَّب يحفظك بسلام وبر وقوَّة.
يجاوبه: الرَّب يحفظ كهنوتك مثل هرون وزكريا وسمعان، بطلبات جميع قديسيه.	يجاوبه كل من القُمُّص والقس قائلاً: الرب يحفظ كهنوتك مثل **ملكي صادق** وهرون وزكريا وسمعان كهنة الله العلي آمين.

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
	وفي وقت القدَّاس يجاوبانه هكذا: الله يقبل ذبيحتك مثل ملكي صادق ...
يجاوب بها إن كان قمصاً أو قسيساً للخديم الذي يعطي البُخور.	
وبعد ذلك يمسح البيعة جميعها بالبُخور للرِّجال والنِّساء.	ثم يعطي البُخور للشَّعب جميعه رجالاً ونساء. إذ يبتدئ بالرِّجال من بحري باب الهيكل ويدور يميناً وهو يقول في بخور عشيَّة: بركة بخور المساء بركته المقدَّسة تكون معنا آمين.
	وفي بخور باكر يقول: بركة بخور باكر بركته المقدَّسة تكون معنا آمين.
	وفي بخور البولس يقول: بركة بولس رسول يسوع المسيح، بركته المقدَّسة تكون معنا آمين.
	وفي بخور الإبركسيس يقول: بركة سادتي الآباء الرُّسل أي أبينا بطرس ومعلِّمنا بولس وبقية التَّلاميذ، بركتهم المقدَّسة تكون معنا آمين.
	وعند خروجه إلى الخوروس الثاني يقول هذه الخمسة أرباع الخشوعيَّة تمجيداً للسيِّد المسيح الذي صُلب عنَّا

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
	وفدانا بدمه الكريم: يسوع المسيح أمساً واليوم هو هو وإلى الأبد. بأقنوم واحد نسجد له ونمجِّده.
	يبخِّر شرقاً قائلاً: هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصَّليب عن خلاص جنسنا.
	يبخِّر بحرياً ويقول: فاشتمه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجلة.
	يبخِّر غرباً قائلاً: فتح باب الفردوس وردَّ آدم إلى رياسته مرَّة أخرى.
	يبخِّر قبلياً قائلاً: من قِبَل صليبه وقيامته المقدَّسة ردَّ الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس.
ثم يعود يطلع إلى المذبح، ويعطي البُخور فوق الهيكل عن اعتراف الشَّعب جميعه الذي قبله منهم، وهو واقف للشَّرق. ويقول: يا الله الذي قبل إليه اعتراف اللِّص على الصَّليب المكرَّم، اقبل إليك اعتراف شعبك،	ثم يطلع إلى الهيكل ويعطي البُخور فوق المذبح عن اعتراف الشَّعب جميعه في عشيَّة وباكر والبولس وهو يقول هذا سراً (ويُسمى سر الرَّجعة). وأما في الإبركسيس فإنه يقوله خارج باب الهيكل. وهو هذا: يا الله الذي قَبل إليه اعتراف اللِّص على الصَّليب المكرَّم. اقبل إليك اعتراف شعبك، واغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدُّوس الذي

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
واغفر لهم خطاياهم من أجل اسمك القدُّوس. ورحمتك ولا خطايانا.	دُعي علينا. كرحمتك يارب ولا كخطايانا.
ثم يطوف بعد ذلك المذبح، دورة واحدة ويقبله، ويترل يقف أمام باب المذبح، ويعطي البُخور ثلاثة دفوع كما شرح أولاً. ويقول كالأول، ويجاوبوه كالأوَّل.	ثم يدور حول المذبح دورة واحدة ويقبِّله، ويترل ويقف أمام باب الهيكل ويعطي البُخور قدام بابه ثلاث أياد كما شرحنا أولاً. ويبخِّر إلى جهة بحري وغرباً وقبلياً وشرقاً. ويعطي البُخور لإخوته الكهنة فقط واحداً بعد واحد كالأوَّل ويجاوبونه كالأوَّل. (ولا يعطي بخوراً للشَّعب). وإذا كان الأب البطريرك أو المطران أو الأسقف حاضراً فلا يعط الكهنة ثانية، بل يعطيه البُخور وحده.
ثم يعود إلى باب المذبح، ويلتفت إلى إخوته الكهنة، ويعطيهم البُخور جميعاً دفعة واحدة، وكذلك ناحية الشَّمامسة أيضاً ثم يعلق المجمرة.	ثم يعود إلى باب المذبح ويلتفت إلى إخوته الكهنة ويعطي البُخور للجميع دفعة واحدة، وكذلك لناحية الشَّمامسة، ثم يعلِّق المجمرة.
ويضرب مطانية للمذبح، ويقبل العتبة، ويضرب مطانية للكهنة وللشَّمامسة أيضاً، ثم يقف بجانب	ويسجد لله أمام المذبح. ثم يقف بجانب المذبح ووجهه إلى الغرب إلى نهاية قراءة الذكصولوجيَّات والأمانة

البابا غبريال الخامس	القُمُّص عبد المسيح المسعودي
المذبح ووجهه للغرب إلى فراغ قراءة الأمانة ...	الأرثوذكسيَّة (أي قانون الإيمان).

وإنه من الرَّائع حقاً أن يظل تقليد الكنيسة حافظاً لأصوله القديمة منتقلاً من جيل إلى جيل في تسليم شفاهي، برغم عدم تدوين بعض جوانبه كتابة، وذلك مثل قول البابا غبريال الخامس: "وكل ملاك أو شهيد أو قديس يعطيه (الكاهن) البُخور باسم صاحب القونه (الأيقونة) قائلاً: أطلب من الرب عنَّا ...".

وهو طقس ما زال الآباء الكهنة يمارسونه في كل كنيسة قبطيَّة حتى اليوم. وهو نفس ما يؤكِّده القس شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر حين يقول: "... وإذا فرغ الكاهن من تبخير الشَّعب جميعه، الرِّجال والنِّساء وأماكن الهياكل وأيقونات الشُّهداء والقدِّيسين ...".

ودورة البُخور هذه يصفها ابن كبر بأكثر بساطة في الباب السَّابع عشر تحت عنوان: "فصل في ترتيب رفع البُخور"، فيقول:

"... يرفعه بعد الشبهمات (أي صلاة الشُّكر) ويبخر المذبح دائراً حوله ثلاث دورات، ثم باب الحجاب، ثم البطريرك، ويدعو له بالحفظ والحراسة وكبت الأعداء، ويقبل الصليب من يده، ومن بعده من كان حاضراً من الأساقفة، ويدعو لهم بما يقارب دعاء البطريرك إلاَّ إذا كانوا في كراسيهم فيبجّلون أكثر. ثم من بعدهم القمامصة ثم القسوس ثم الأراخنة ثم الشمامسة. والشمامسة يقبلون يده وهو يباركهم ... وإذا فرغ الكاهن من تبخير الشعب جميعه الرجال والنساء وأماكن الهياكل وأيقونات الشهداء والقديسين يعود إلى الهيكل ويطلع فوق قدس الأقداس

كأنه يرفع خطايا الشعب للإله. ويبخر الهيكل ثم البطريرك فقط، وإن لم يكن حاضراً فالأسقف، وإلاَّ فمن يكون حاضراً من الكهنة، ويومئ بالمجمرة إلى بقية الشعب".

ما يشرحه مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر

أما مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر، فيشرح طقس البُخور عند باب الهيكل بعد انتهاء دورة البُخور حول المذبح، وقبل إعطاء البُخور للكهنة والشعب، فيقول في ذلك ما نصه: "... ويترل يقف مكانه ويعطي البُخور تلاتت امرار[٢٢] كما شرح اولاً تم يعطي البُخور للملايكه وهو يقول Ⲭⲉⲣⲉ Ⲙⲓⲭⲁⲏⲗ Ⲭⲉⲣⲉ Ⲅⲁⲃⲣⲓⲏⲗ Ⲭⲉⲣⲉ ⲣⲁⲫⲁⲏⲗ Ⲭⲉⲣⲉ Ⲥⲟⲩⲣⲓⲏⲗ[٢٣] تم يعطي البُخور للانجيليه[٢٤] وهو يقول .. Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲇ̅ ⲛ̀ⲍⲱⲟⲩⲛ ⲛ̀ⲁⲥⲱⲙⲁⲧⲟⲥ[٢٥] تم يلتفت الى ناحية قبلي[٢٦] وهو يقول .. Ⲭⲉⲣⲉ Ⲓⲱⲁ̅ ⲡⲓⲣⲉϥϯⲱⲙⲥ[٢٧] تم يلتفت الى ناحية الهيكل ويقول .. Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲉⲣⲫⲉⲓ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲫϯ Ⲫⲓⲱⲧ[٢٨] عطية البُخور للعدرى[٢٩] .. Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁ ϯϭⲣⲟⲙⲡⲓ[٣٠] تم يعطي البُخور

٢٢- أي: ثلاث مرَّات.

٢٣- أي: السَّلام لميخائيل، السَّلام لغبريال، السَّلام لرافائيل، السَّلام لسوريال.

٢٤- أي: المنجليَّة حيث يقول: "السَّلام للأربعة حيوانات غير المتجسدين. السَّلام للأربعة وعشرين قسيساً. السَّلام للشاروبيم، السَّلام للسيرافيم. السَّلام لكل صفوف السمائيين".

٢٥- أي: السَّلام للأربعة أحياء غير المتجسِّدين.

٢٦- عند الناحية القبلية يقول: "السَّلام ليوحنا المعمدان. السَّلام للمائة والأربعة والأربعين ألفاً البتوليين. السَّلام لسادتي الآباء الرُّسل، أي أبينا بطرس ومعلِّمنا بولس، وبقية التلاميذ".

٢٧- أي: السَّلام ليوحنا المعمدان.

٢٨- أي: السَّلام لهيكل الله الآب ...

٢٩- عند أيقونة العذراء يقول: "السَّلام لمريم الحمامة الحسنة. نعطيك السَّلام ...

للكهنه كطقوسهم ...".

وبعد العودة من دورة البُخور في الكنيسة يقول المخطوط المذكور ما نصه: "ثمَّ يدور الهيكل دورة واحدة، ويترل يعطي البُخور قدام باب الهيكل تلتة أيادي كما شرح اولاً. وللملايكه. والانجيليه. ولايقونة ستنا السيده. وللقون (أي الأيقونات) والكهنه كما شرح اولاً".

ما يشرحه مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر

أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) المحفوظ بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، وهو يعود إلى القرن التاسع عشر فيقول ما نصهُ: "... ويترل برجله اليسرى ووجهه للشرق. ويعطي البُخور امام بابٌ المذبح ثلاثت ايادي وهو يقول كما شرحنا اولا. ثمَّ بعد ذلك ان كان صورة العدرى قريبه منه يعطيها البُخور ثلاثت أيادي وهو يقول: نعطيك السَّلام مع غبريال ... وكذلك اعطا البُخور للقون. يقول لكل ملاك او شهيد او قديس باسم صاحب الايقونه: اطلبوا للرَّب عنَّا. وان كان الاب البطريرك حاضراً او اسقف يعطيه البُخور ويقول هكذا في اليد الاوله: اذكر يارب المكرم ريس الكهنة ... تاني يد: بالحفظ احفظه لنا ... ثالث يد: واخضع جميع اعداه تحت موطي قدميه ... ثمَّ يعطي البُخور للايغومانس ... وعندما يعطي الشَّعب البُخور يقول: بركة صعيدة المساء تكون معكم آمين ...".

وبعد العودة من دورة البُخور في الكنيسة يقول الكاهن اعتراف الشَّعب جميعه وهو واقف للشرق. ثمَّ يذكر المخطوط المذكور ما نصه:

نسألك اذكرينا ...".

٣٠- أي: السَّلام لك يا مريم الحمامة ...

"ثمَّ يطوف بعد ذلك المذبح دورة واحدة ويقبله ويترل ويقف امام المذبح ويعطي البُخور تلاثت دفوع كما شرح اولاً. ثمَّ يعطي البُخــور لاخوته كالاول واحد بعد واحد ويقول كالاول ويجاوبوه كـــالاول. ثمَّ يعود الى المذبح ويلتفت الى اخوته الكهنة ويعطي البُخور للجميع دفعــة واحدة وكذلك لناحية الشَّمامسة ايضاً. ثمَّ يعلق المجمرة ويضرب مطانوه للكهنه والشمامسه ايضاً. ثمَّ يقف بجانب المذبح ووجهه للغرب الى نهايت قرااة الامانه".

الفَصل السَّادس

طلبة "اللَّهم ارحمنا"

تمهيد

هذا الجزء من الطّقس هو المعروف بطلبة: "اللّهم ارحمنا — Ⲫϯ ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ". وهي الطّلبة التي يصليها الكاهن على عتبة باب الهيكل، حين يتناول الصّليب من الشمّاس، ويلتفت إلى الشّرق ويرفعه بيده اليُمنى، ويده اليُسرى مرفوعة إلى العُلو، ويقول هكذا بدموع وابتهال، عن نفسه وعن شعبه:

اللّهم ارحمنا.
قرِّر لنا رحمة[1].
تراءف علينا.
واسمعنا.
وباركنا.
واحفظنا.
وأعنَّا.
وارفع غضبك عنا.
وافتقدنا بخلاصك.
واغفر لنا خطايانا.

١- تترجم المخطوطات عبارة Ⲑⲉϣⲟⲩⲛⲁⲓ̀ⲉ̀ⲣⲟⲛ إلى: "حدِّد لنا رحمة".

المراحل الطَّقسيَّة التي عبرت عليها الممارسة الطَّقسيَّة لهذه الطِّلبة

وهذه الطِّلبة الخشوعيَّة ذات العشرة توسُّلات هي محور هذا الجــزء من الطَّقس. إلاَّ أن ما يحوط هذه الطلبات من ممارسة طقسيَّة قد عبر على مراحل متتابعة حتى صارت إلى شكلها كما نراه اليوم.

وفي السُّطور القادمة نتتبَّع المراحل الطَّقسيَّة التي عبرتها هذه الجزئيَّــة من الطَّقس في رفع بخور عشيَّة أو باكر.

يقول يوحنا بن أبي زكريا بن سباع في كتابه: "الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة[٢]":

"**يرفع الكاهن الصَّليب** بأعلى ذراعيه ويقول: يا الله ارحمنا واسمعنا وارفع غضبك عنا وتراءف علينا واغفر لنا خطايانا. والعلَّة في رفعه ليــذكر المسيح عند رفعه الصَّليب (و) بارتفاعه هو على الصَّليب، لأنهــا هــي الإشارة التي أوجبت الرَّحمة على الخليقة برفع من رُفع عليها.

ثم يصرخ الشَّعب قائلين: يارب ارحم واحد وأربعين دفعــة[٣]

٢ـ يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٣٣، ١٣٤.
والنص كما يرد في المتن هو نص مُصحَّح، حيث لا يرد في أصله الهمزة، وما بــين القوسين هو من عندي للتَّوضيح.

٣ـ يقول ابن سباع: العلة في كونها واحد وأربعين دفعة لا أقل ولا أكثــر كــون السيِّد له المجد جُلد تسعة وثلاثين جلدة وضُرب بقصبة في رأسه المجيدة ضربة واحدة وطُعن في جنبه طعنة واحدة، فصار تتمة الجملة أحد وأربعين ضربة وهــي العلَّــة في استصراخ الشعب ٤١ كيرياليسون لمساواة العدد في الجلد والطعن.

أما البابا غبريال الخامس فيقول: "٤١ كيرياليسون ولها أصل. وذلك أن المســيح لُطم من عبد رئيس الكهنة لطمة واحدة، وجُلد أربعين جلدة. وبولس شهد عن نفسه أنه جُلد أربعين فبهذا المعنى يقولوا في كل صلاة ٤١ كيرياليسون".

وهي كلها محاولات لتفسير الرقم ٤١، فبينما يغفل أحدهم القصبة التي ضُرب بهــا المخلِّص على رأسه، يغفل الآخر اللَّطمة التي لطم بها على خده. ويقول القديس يوحنا

لمغفرة الخطايا ...".

أما أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فقد أغفل ذكر تلك الطِّلبة، حيث يقول: "ويقال ⲙⲉⲛⲉⲛⲥⲁ ⲁⲙⲟⲩ ⲧⲉⲛⲱⲥⲧ (أي نعظمك) والأمانة وكيرياليسون وصلاة الإنجيل ...".

ويذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م) في كتابه: "التَّرتيب الطَّقسي": "يتناول (أي الكاهن) الصَّليب من الشمَّاس ويلتفت إلى الشَّرق **ويرفعه بيده اليُمنى** ويده اليُسرى مرفوعة إلى العُلو ويقول هكذا بدموع وابتهال عنه وعن شعبه[٤]: يا الله ارحمنا، واكتر لنا الرَّحمة، وتحنَّن علينا، واسمعنا، وباركنا، واحفظنا، وأعنا، وارفع غضبك

الحبيب في بشارته: «وكانوا يلطمونه» (يوحنا ١٩:٣)، أي لطمات كثيرة. والقدِّيس مرقس البشير يذكر أيضاً: «وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة» (مرقس ١٥:١٩). أما القدِّيس متى البشير فقال: «وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه» (متى ٢٧:٣٠) دون تحديد أيضاً لعدد هذه الضربات.

ولكن من الواضح أن التفسير محصور في عدد مرَّات الجلد لا غير، فكل الطقوس الشرقيَّة تقول المرد "كيرياليسون" ٤٠ مرَّة، أما الأقباط فجعلوها ٤١ مرَّة، ذلك لأن عقوبة الجلد كانت بحسب شريعة موسى هي أربعين جلدة إلاَّ واحدة (انظر: تثنية ٢٥:٢، ٣) وهو ما فعلوه في الرَّسول بولس (٢ كورنثوس ١١:٢٤)، لئلا إذا زاد الجلد عن هذا الحد يُحتقر الإنسان الذي يُجلد في عيني من يجلده، لذلك أنقصوها واحدة إشفاقاً. أما الأقباط فيزيدون طلب الرَّحمة واحدة استدراراً لمراحم الرَّب. هم أنقصوا الجلدات الأربعين واحدة شفقة من الإنسان على أخيه الإنسان، ونحن نزيد طلبات الرَّحمة الأربعين واحدة، استجلاباً لشفقة الرَّب ورحمته على الإنسان.

٤- يذكر مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر نفس ما يذكره البابا غبريال الخامس، فيقول المخطوط المذكور ما نصه: "يتناول الصَّليب من الشمَّاس ويلتفت الى الشَّرق ويرفعه بيده اليمنى ويده اليسرى مرفوعه وهو يقول هكذا بدموع غزيره وابتهال عنه وعن شعبه".

أمَّا مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر فيقول ما نصه: "ياخد الكاهن الصليب من الشماس ويرفعه وهو يقول هذا".

عنّا، وافتقدنا بخلاصك، واغفر لنا خطايانا.

يجاوبونه كيرياليسون، إن كان بالكبير بالناقوس ٣ وإن كان بالصغير دمج ١٧ مرّة. وفي ضمن ذلك يقول الكاهن سراً والصّليب مرفوع من قداس غريغوريوس ⲛ̀ⲛⲏⲉⲧϣⲱⲛⲓ ⲟⲩⲟⲩϫⲁⲓ[٥]. **وإذا انتهى ذلك يلتفت الكاهن إلى الغرب، ويرشم الشّعب بالصّليب ويقبّله ويضعه على المذبح**، ثم يأخذ المجمرة ويقول أوشيّة الإنجيل إلى آخرها ...".

أما القُمُّص عبد المسيح المسعودي فيقول: "يأخذ (الكاهن) الصّليب من الشمّاس، **وعليه ثلاث شمعات موقدة**، وعندما يقول الشّعب في آخر الأمانة: ننتظر قيامة الأموات، وحياة الدّهر الآتي. آمين. **يرشم على الشّعب بالصّليب ثلاث مرّات** ثم يلتفت إلى الشّرق ويرفع الصّليب بيده اليُمنى، ويرفع أيضاً يده اليُسرى ويقول هكذا بدموع وابتهال عن نفسه وعن شعبه: اللّهم ارحمنا، أوجد لنا رحمة، وتراءف علينا، واسمعنا، وباركنا، واحفظنا، وأعنّا، وارفع غضبك عنا، وافتقدنا بخلاصك، واغفر لنا خطايانا. يقول الشعب آمين كيرياليسون.

فإن كانت كيرياليسون بالكبير بالناقوس يقولون ثلاث مرّات واثنتين صغيرتين. وفي آخر الصّلاة (أي بعد قراءة تحليل الابن كما سيأتي ذكره) تكمّل الواحد والأربعون (أي يقولون ٣٦ مرّة). وإن كان بالصّغير دمجاً يقولون سبع عشرة مرّة، والبقيّة (أي ٢٤ مرّة) تكون في آخر الصّلاة".

ويذكر أيضاً القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي: "أن الكاهن عندما يقول: "تراءف علينا"، يلتفت الكاهن **عن يمينه** إلى الغرب ويرشم الشّعب بالصّليب ثلاث رشوم. الأوّل وهو يقول "تراءف

٥- أي: شفاء للمرضى.

علينا''، والثاني وهو يقول ''واسمعنا''، والثالث وهو يقول ''وباركنا''. وهذه الرُّشوم الثلاثة لم نجدها مكتوبة في إحدى النُّسخ البتَّة، لكنها مستعملة الآن، فتصير حينما تقال ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ ⲫϯ باللَّحن وتُترك حينما تقال دبحاً[٦] ''.

وفي حاشية أخرى من خولاجي سنة ١٩٠٢م يقول القُمُّص عبد المسيح: ''بعض النُّسخ يتضمَّن أن الكاهن في ضمن ذلك يقول سراً والصَّليب مرفوع من قداس القدِّيس غريغوريوس ''شفاء للمرضى'' بكمالها. لكن أكثر النُّسخ لا يذكر ذلك، فلهذا لن نضعه في المتن، ثم لم نتركه بالكليَّة، بل نبَّهنا عليه في الحاشية''.

ويذكر كتاب ''الثلاثة قداسات'' والذي طبعه دير السيِّدة العذراء (المحرَّق) سنة ١٩٩٣م ما يلي: ''يأخذ (الكاهن) الصَّليب من الشمَّاس وعليه ثلاث شمعات موقدة، وعندما يقول الشَّعب في آخر الأمانة ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين، يرشم الشَّعب بالصَّليب ثلاث مرَّات. ثم يلتفت إلى الشَّرق ويرفع الصَّليب بيده اليُمنى، ويرفع أيضاً يده اليُسرى، ويقول هكذا بدموع وابتهال عن نفسه وعن شعبه: اللَّهم ارحمنا، حُد لنا رحمة ... يقول الشَّعب آمين كيرياليسون. فإن كانت كيرياليسون بالكبير بالناقوس يقولون ثلاث مرَّات وواحدة صغيرة''.

ثم أورد الخولاجي المذكور حاشية تقول: ''أثناء ذلك يقول الكاهن سراً وهو رافع الصَّليب من قدَّاس القدِّيس غريغوريوس ''شفاء للمرضى'' بكمالها''.

---

٦ ـ كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٨٥

الخلاصة

من هذه الخمسة مصادر السَّابق ذكرها، أُوجز هنا في بنود ملخَّصاً لما حواه هذا الجزء من الطَّقس مقارنة بما يُمارس اليوم في كنائسنا.

١ـ نص هذه الطلبة ذات العشرة بنود بشكلها الحالي منقول عن القرن الخامس عشر من كتاب "التَّرتيب الطَّقسي"، كأقدم مصدر معروف لدينا أورد هذا النَّص بكامله. أما ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فقد أغفل ذكر النَّص تماماً، وهو أمر مستغرب ألاَّ يشير ولو إلى الكلمة الأولى منه كما اعتاد أن يفعل مراراً في كثير من النُّصوص الليتورجيَّة التي نوَّه إليها بأوَّل كلمة منها دون ذكرها بالكامل. أما ابن سباع فقد ذكر نص الطلبة في خمسة بنود فقط من العشرة التي نعرفها اليوم.

٢ـ اتفقت كل المصادر السَّابق ذكرها — مع مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر، ومخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر — على أن الكاهن يردِّد هذه الطِّلبة ووجهه إلى الشَّرق رافعاً الصَّليب بيده اليُمنى وباسطاً يده اليُسرى أيضاً إلى العُلو.

وهو نفس ما يشير إليه مخطوط رقم (١٥١ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، وكان في الأصل أحد مخطوطات دير القدِّيس الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر[٧]. وأيضاً مخطوط ترتيب البيعة برقم (١١٨ طقوس) بمكتبة

٧- هذا المخطوط هو خولاجي قبطي فقط لقدَّاس القدِّيس باسيليوس، أمَّا عناوين الصَّلوات والأواشي فيه فهي بالعربيَّة. وكان المهتم به الراهب يوسف أحد رهبان دير أبينا القدِّيس العظيم مار أنطونيوس بدير العُربة عمره الله تعالي... الخ. وكان الفراغ من هذا الخولاجي المقدَّس يوم الأربعاء الموافق خامس عشر يوماً من شهر برمهات سنة ألف وأربعمائة سبعة وثمانين قبطيَّة للشُّهداء (١٧٧١م)، وذلك على يد كاتبه الحقير أطناثيوس بالاسم قس، أحد رهبان دير القدِّيس العظيم مار أنطونيوس بدير العربة بجبل القلزم، أعمره الله تعالى، آمين، آمين.

الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م) الذي يقول: "يرفع الكاهن الصَّليب بيده، ويبسط اليد الأخرى ويقول ⲫϯ ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ بكمالها. يقول الشَّعب كيرياليسون ... ثمَّ يترل الكاهن الصَّليب ويلتفت عن يمينه ويرشم به الشَّعب مرَّة واحدة. ثمَّ يضعه على المذبح بجانب الدُّرج. ومن الكهنة من يعطيه للشمَّاس".

أمَّا مخطوط رقم (١٥٣ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، والذي يعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٩٠٨م، فيذكر ما يلي: "... ثمَّ يعلِّق (الكاهن) المجمرة ويأخذ الصَّليب ويرشم به الشَّعب، ثمَّ يرفعه إلى جهة الشَّرق أمام الهيكل ويقول ⲫϯ ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ". وفي نهايتها يذكر الخولاجي: "ثمَّ يلتفت للغرب ويرشم الشَّعب ثمَّ يقول أوشيَّة الإنجيل".

أما ذكر وجود ثلاث شمعات موقدة على الصَّليب، فقد نقلها القُمُّص عبد المسيح المسعودي إلى خولاجي سنة ١٩٠٢م كواحدة من الممارسات التي وردت في بعض مخطوطاتنا القبطيَّة(٨).

وقد أشارت بعض الكتابات الأخرى الحديثة التي عاينت بالمشاهدة ما يجري في بعض الكنائس وجود شمعة واحدة موقدة على الصَّليب(٩). مما يتَّضح معه أن وجود شموع موقدة على الصَّليب كان إحدى الممارسات الطَّقسيَّة في بعض الجهات أثناء ترديد هذه الطِّلبة. ولكن ظل حمل الكاهن للصَّليب أثناء ترديدها هو الأساس فيها.

٣- ابن سباع هو وحده الذي شرح سبب رفع الصَّليب في يد الكاهن عالياً، مشيراً إلى أن ذبيحة الصَّليب هي التي جلبت الرَّحمة للعالم.

٨- مثل مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م. انظر: الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ٩، ١٤

9_ O.H.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church...*, *op. cit.*, p. 327.

وغني عن التَّنوية أن الصَّليب المرفوع هنا هو صليب المذبح، ولـــيس أي صليب آخر بديلاً عنه.

٤ ـ الرشومات التي تصاحب هذه الطِّلبة تعد من أكثر الممارســـات الطَّقسيَّة تطوراً فيها. فابن سباع لا يذكر أي رشومات، في حين أن البابا غبريال الخامس يشير إلى رشم واحد يرشمه الكاهن على الشَّعب بالصَّليب بعد انتهاء الطلبة[١٠]، وهو في الحقيقة الرَّشم الذي يصاحب قول الكاهن للشَّعب ''السَّلام لجميعكم'' بعد انتهاء مرد الشَّـــعب ''كيرياليســـون'' الذي يعقب هذه الطلبات، وقبل بدء أوشية الإنجيـــل مباشـــرة[١١]. ولا يذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر أي رشومات، وأيضاً مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر. وهكذا يظل تفسير ابن سباع مؤكِّداً أن رفع الصَّليب إلى فوق دون رشومات به هو إشـــارة إلى المسيح الذي رُفع على الصَّليب، فأعطى بذبيحته الرَّحمة للخليقة كلها.

أما القُمُّص عبد المسيح المسعودي فذكر أن الكاهن يرشم الشَّـــعب بالصَّليب ذات الشُّموع الموقدة ثلاث مرَّات قبل أن يصـــلي الطِّلبـــة، ثم ثلاث رشومات أخرى في أثنائهـــا عنـــد قولـــه: ''تـــراءف علينـــا''، و''اسمعنا''، و''باركنا'' حين يلتفت **عن يمينه** إلى الغرب ليرشم الشَّعب. ويتَّضح من كلامه أن ممارسة هذه الرشومات كان شائعاً في أيامـــه دون أن يرد عنها شيءٌ في مخطوطات الخولاجيَّات القديمة. أما خولاجي دير المحرق السَّابق الإشارة إليه فقد أغفلها.

١٠ـ وهو نفس ما يذكره مخطوط ترتيب البيعة بالبطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م.

١١ـ يذكر القمص عبد المسيح المسعودي البراموسي أنه في نســـخ الخولاجيـــات القديمة لا تسبق أوشية الإنجيل قول الكاهن ''إشليل ـ إيريني باســـي'' وجوابهمـــا، ويقول: ''ولكنهما مستعملتان الآن وتُذكران في بعض النسخ الحديثة''، وعلى ذلك فقد ذكرهما خولاجي سنة ١٩٠٢م.

أما اليوم، فحتى هذه الثلاثة رشومات التي يذكرها خولاجي ١٩٠٢م قد تطوَّرت هي الأخرى، سواء من حيث منطوق كلماتها، أو من حيث الممارسة الطَّقسيَّة المصاحبة لها. فيرشم الكاهن بالصَّليب إلى جهة بحري حين يلتفت **عن يساره**، ويقول: "واسمعنا"، ثم يرشم إلى جهة الغرب ناحية الشَّعب عند قوله "وباركنا"، ثم يرشم رشماً ثالثاً جهة قبلي عند قوله "واحفظنا". بينما جعلها آخرون أربعة رشومات حيث يبدأ الرَّشم الأوَّل إلى جهة شرق حين يقول الكاهن: "تراءف علينا"، ويكمل الثلاثة رشومات السَّابق ذكرها مباشرة.

وهكذا أصبح الكاهن يلتفت إلى الشَّعب ـ وعلى مراحل ـ **عن يساره وليس عن يمينه** كما يذكر القُمُّص عبد المسيح المسعودي. ومعروف أن التفات الكاهن إلى ناحية الشَّعب ليرشم بالصَّليب يكون دائماً من جهة يمين الكاهن بلا استثناء، إلاّ في هذه الحالة الفريدة التي نحن بصددها الآن(١٢).

وعلى ذلك فقد بات من المتعذّر تفسير سبب اختيار هذه الثلاث أو الأربع طلبات بالذّات من بين الطلبات العشر لتُقال مصحوبة برشم الصَّليب. ولربما تم اختيارها هي بالذات لتأتي طلبة "وباركنا" حينما يكون الكاهن متَّجهاً إلى الغرب في مواجهة الشَّعب ليرشمه بالصَّليب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأن يتَّجه الكاهن إلى النَّاحيتين البحريَّة والقبليَّة ليرشم بالصَّليب عند قوله "اسمعنا"، و"احفظنا" على التَّتابع فهو استحداث لا يستند على تقليد قديم.

٥ـ المرد الذي يردِّده الخوروس وهو "آمين" عقب كل رشم من

١٢- بعد دورات البُخور حول المذبح، يدور الكاهن بالشورية أمام باب الهيكل من اليسار إلى اليمين، لأنه يبدأ بإعطاء السَّلام لأيقونة العذراء.

هذه الرشومات الحديثة لا ذكر له في أي كتاب طقسي حتى اليـــوم. ومع ذلك فليس كل جديد غير مقبول، وليس كل قديم واجب القبول، ولكن يظل التطوُّر الطَّقسي الذي لا يخل بالأصول هو المعيـــار الـــدَّقيق للرَّفض أو القبول.

٦ـ اتَّفقت كل المصادر على أن المرد الأخير لهـــذه الطلبـــة هـــو "كيرياليسون"، وابن كبر الذي أغفل ذكر الطلبة لم يغفل ذكر مردَّها. ولكن الاختلاف كان بخصوص عدد مرَّات المرد "كيرياليسون". فـــابن سباع ذكر أن المرد هو ٤١ مرَّة، بينما أغفل ابن كبر ذكر الرَّقم. أمَّا البابا غبريال فذكر أنه تُقال "كيرياليسون" بالكبير بالناقوس ثلاث مـــرَّات. وأضاف القُمُّص عبد المسيح المسعودي بقوله: "ثلاث مـــرَّات بـــالكبير واثنتين صغيرتين". ثم عاد خولاجي دير السيِّدة العذراء المحرَّق ليـــذكر "ثلاث مرات بالكبير وواحدة صغيرة". أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر فيذكر: "يجاوبه الشَّـــعب كيرياليصـــون ان كـــان بالناقوس اتنين كبار وان كان بالصغير دمج سبعة وعشرين مرة". أمَّـــا مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر فيذكر: "يجاوبوه الشَّعب كيرياليصون ان كان بالكبيز تلته وان كان بالصغير سبعة وعشرين".

وهناك بعض الكنائس اليوم تردِّد هذا المرد مرَّتين بالكبير وواحـــدة صغيرة ليكون عدد مرَّات المرد ثلاث مرات علـــى حســـب "الترتيـــب الطَّقسي" للبابا غبريال مع بعض التَّعديل. أما أن تُقال لفظة "آمين" قبل المرد "كيرياليسون" فهو ما أورده القُمُّص عبد المسيح المسعودي فقـــط دون غيره.

أما إن كان ترديد المرد "كيرياليسون" دمجاً أي باختصار وبـــدون لحن، فهو ثلاث مرَّات كما تتَّفق كل الكنائس، حيث لم يعد هناك مـــن

يردِّد المرد ١٧ مرَّة كما ذكر كتاب ''الترتيب الطَّقسي'' ونقـل عنـه الخولاجي الذي طُبع سنة ١٩٠٢م. إلاَّ أن هذا الأخير قد أضاف تعليلاً لهذه المرَّات السبع عشرة فذكر أنه تكمَّل تتمتها أي ٢٤ مـرَّة في نهاية الصَّلاة!. أو يقولونها ٣٦ مرَّة إن كانوا قد قالوا خمس مرَّات ''كيرياليسون'' (ثلاث مرات بالكبير واثنتان بالصغير). ولا تمارس الآن أي من الكنائس هذا الأمر الذي بطل استخدامه منذ وقت بعيد.

٧- الطِّلبة التي يقولها الكاهن سراً من قدَّاس القدِّيس غريغوريوس أثناء ترديد الشَّعب للمرد ''كيرياليسون'' والتي ذكرها البابا غبريال الخامس ونقلها عنه من أتي من بعده هي طلبة شاملة عميقة المعنى، تناسب المقام، وردت في كل مخطوطات الخولاجيَّات، وأُوردها فيما يلي كاملة، وهي:

''شفاء للمرضى، راحة للمعوزين. إطلاقاً للذين في السَّبي، قبولاً للأيتام. مساعدة للأرامل، المتضيِّقين أكفهم بالخيرات. السَّاقطين أقمهم، القيام ثبِّتهم. الرَّاقدين اذكرهم، المعترفين اقبل إليك طلباتهم، الخطاة الذين تابوا أحصهم مع مؤمنيك، مؤمنيك أحصهم مع شهدائك. الذين ههنا اجعلهم متشبِّهين بملائكتك. ونحن أيضاً المدعوين بنعمتك إلى خدمتك ونحن بغير استحقاق اقبلنا إليك''.

الفَصل السَّابع

الإنجيـــل المقدَّس

تمهيد

إن قراءة فصل من الإنجيل المقدَّس في خدمتي الصَّباح والمساء هو طقس لا يمارسه سوى الأقباط والسِّريان الأنطاكيين. فإلى جانب إنجيل الصَّباح، يُقال أيضاً فصل من الإنجيل في خدمة المساء. أما باقي الطقوس الأخرى فيُقرأ فيها فصل من الإنجيل في خدمة الصَّباح فقط كما هو الحال عند اليونان الأرثوذكس والأرمن، وكذلك في الخدمات الدَّيريَّة في طقس روما. إلاَّ أن الموقع الذي يحتله فصل الإنجيل في الطقوس المختلفة يتباين تبايناً واضحاً. والحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن قراءة فصل من الإنجيل المقدَّس في الخدمة الكنسيَّة هو تراث انتقل إلينا من الكنيسة المسيحيَّة في عصورها المبكرة.

وفي التَّقليد القديم كان يسبق فصل الإنجيل ترتيل المزمور الأول. فأقدم ممارسة لذلك نجدها في خدمة الصَّباح في كبادوكيا، كما يخبرنا بذلك القدِّيس باسيليوس الكبير[1] (٣٣٠- ٣٧٩م)، بينما كانت هذه الممارسة شائعة في إيطاليا في أيام القدِّيس يوحنا كاسيان[2]، وهي نفس الممارسة الحاليَّة في الطَّقسين البيزنطي والأرمني، وأيضاً في طقس روما في كلا فرعيه الدَّيري والكاتدرائي.

1_ Ep. ccvii (PG 32, C764).

2_ Instituta iii, 6 (PL xlix, c. 136).

أما في الأعياد فإن المزمور الأوَّل كان يُستبدل - ومنـــذ وقـــت مبكِّر جداً – بالمزمور رقم (٩٢)، إلاّ أن موقع فصل الإنجيل مع المزمور الذي يسبقه في خدمة الصَّباح في الطقوس المختلفة قد احتل مواضـــع متباينة من الطَّقس.

فهو في الكنائس التي تتكلَّم اليونانيَّة قبل "القانون - Canon" أي التَّسبحات التِّسع.

وكان قبل تسبحة العهد القديم في طقس روما، ولكنه انتقل إلى ما بعد التَّسبحة السَّادسة في طقس أورشليم وطقس إيطاليا في الكنائس التي تتبنى اليونانيَّة Italo - Greek Rite .

أما الطَّقس اليوناني الحديث فإن قراءة فصل إنجيل الأحد والذي يتبع عادة المزمور الأوَّل فقد أصبح بعد التَّسبحة الثامنة.

وهو يُقرأ عند الأرمن بعد تسبحة العذراء.

وفصل الإنجيل عند السِّريان الأنطاكيين هو ختام كل خدمة الصَّباح كما هو حادث في الطَّقس البيزنطي في يوم السَّبت المقدَّس، حيث يُسبق فصل الإنجيل المقدَّس بنبوة ورسالة، وكما هو حادث حـــتى اليـــوم في الطَّقس القبطي في رفع بخور باكر في سبت الفَرح.

ولكن لا زال الطَّقس القبطي هو الطَّقس الوحيد بين كافة الكنائس قاطبة الذي يقرأ فصل الإنجيل مسبوقاً بمزمور قرب نهاية خدمة الصَّـــباح (رفع بخور باكر) أو خدمة المساء (رفع بخور عشيَّة) حيث لا يعقبه سوى الأواشي الصِّغار فقط.

فالأمر المدهش حقاً ومن دراسة الطَّقس المقارن مع الكنائس الأخرى نجد أن كتاب الإفخولوجيون اليوناني Euchologium الـــذي دُوِّن ســـنة ١١٥٣م، بواسطة كاهن يُسمى أوكسينتيوس Auxentius وهو المخطـــوط رقم (٩٧٣) في مكتبة دير سانت كاترين بصحراء سيناء يحـــوي أقـــدم

نسخة مكتوبة لنظام Ordo صلاة المساء وصلاة السَّحَر. وفي هذه الوثيقة القديمة والتي تتميَّز بصلوات وزِّعت على مدى الخدمة كلها، نجد أن فصل الإنجيل يأخذ مكانه في نهاية الخدمة كلها، يسبقه المزمور الأوَّل ولا يتبعه سوى الطلبات الختاميَّة للخدمة Final Ectene (٣).

وبرغم أنها وثيقة يونانية إلاَّ أنها تشهد بأصالة موقع فصل الإنجيل المقدَّس في خدمتي الصَّباح والمساء في الكنيسة القبطيَّة. وهو ما يعرفه الطَّقس الأرمني في أيام الآحاد فقط. وفي بعض الطقوس الأخرى في الآحاد والأعياد فقط(٤).

الطَّقس القبطي لقراءة الإنجيل المقدَّس

تحتل قراءة فصل من الإنجيل المقدَّس في الطَّقس القبطي موضعاً مهماً في صلوات رفع بخور عشيَّة وباكر، كما في قدَّاس الكلمة أو قدَّاس الموعوظين(٥).

فيسبق قراءة فصل الإنجيل:
- أوشيَّة الإنجيل.

٣ـ Ectene من الكلمة اليونانية ἐκτένεια أي "صلاة بلجاجة" (انظر: أعمال ١٢:٥)، وهي تعني صلاة حارة توسليَّة تحوي طلبات قصيرة يردِّدها الشَّماس ويجيب عليها الشَّعب بـ "يارب ارحم". أي أن الـ Ectene في الكنيسة اليونانيَّة يقابلها الأواشي الصغيرة في الكنيسة القبطيَّة إلى حد بعيد.

4ـ Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, Englished Edition By F.L. Cross, London, 1958.

٥ـ أعرض هنا لطقس قراءة الإنجيل المقدَّس بصورة مبسَّطة، أما التفصيلات الأكثر فتجدها في كتاب "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله"، للمؤلف، وذلك في فصل قدَّاس الموعوظين أو قدَّاس الكلمة.

- دورة الإنجيل حول المذبح.
- آية أو آيتين من المزمور.
- هتاف "هلليلويا".

ويعقب قراءة فصل الإنجيل المقدَّس:

- تقبيل الصَّليب والإنجيل.

يضع الكاهن بخوراً في الشورية، يداً واحدة بدون رشم، قبل أن يبدأ أوشيَّة الإنجيل، وهو ما تمارسه الكنائس الآن، ولكن لم يرد ذكر يد البُخور هذه لا عند البابا غبريال الخامس، ولا عند القُمُّص عبد المسيح المسعودي، ولا في خولاجي دير السيِّدة العذراء (المحرَّق).

وبحسب البابا غبريال الخامس تبدأ أوشيَّة الإنجيل مباشرة دون أن يسبقها مقدِّمة الأواشي المعتادة وهي قول الكاهن "إشليل - إيريني باسي"، ومردَّاتها المعتادة سواء من الشَّماس أو الشَّعب. وقد ذكر القُمُّص عبد المسيح المسعودي أنه لا وجود لهذه المقدِّمة في الخولاجيَّات القديمة، وهي بالفعل لم ترد في مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر، ولا في مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر. وهذا ما يؤكِّد الطَّقس الذي يشير إليه البابا المذكور. إلاَّ أنه في أيام القُمُّص عبد المسيح أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت عادة إضافة مقدِّمة الأواشي إلى أوشيَّة الإنجيل أي أن يبدأ الكاهن الأوشيَّة بقوله "إشليل" قد انتشرت في الكنائس، لذلك أوردها الخولاجي الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، وعنه نقلت كل الخولاجيات التي أتت من بعده.

ولقد اتَّفقت كل المصادر أنه قبل أن تبدأ أوشيَّة الإنجيل يلتفت الكاهن إلى الغرب عن يمينه ويرشم الشَّعب بالصَّليب رشماً واحداً (الآن الصَّليب وعليه الشَّمعات الموقدة). أما أن يرشم الكاهن دُرج البُخور

بالصَّليب وعليه الشُّموع قبل أن يضع يد بخور في الشورية كما يفعل بعض الآباء الكهنة الآن، فهو رشم لا ذكر له في أي خولاجي قديم أو حديث.

يقف الكاهن عند باب الهيكل ويصلي أوشيَّة الإنجيل. وفي هذه الأوشية تصف الكنيسة السيِّد المسيح له المجد أنه هو حياتنا كلّنا، وخلاصنا كلّنا، ورجاؤنا كلّنا، وشفاؤنا كلّنا، وقيامتنا كلّنا. ثم يختم الكاهن الأوشيَّة سراً بقوله: "وأنت الذي نرسل لك إلى فوق المجد والإكرام والسُّجود مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس المحيي، المساوي لك الآن وكل أوان ... الخ".

وهذه الذُّكصا الأخيرة تُقال سراً بحسب التَّقليد المتوارث من جيل إلى جيل، برغم أنه لم يرد عن ذلك أي إشارة في الكتب الطَّقسيَّة سواء قديمها أو حديثها. وهذه مرَّة أخرى يتأكَّد لدينا أن طقس الكنيسة يكون بالتَّسليم الشفاهي دون اعتماد على كتاب مكتوب، إذ تظل الدَّقائق الرفيعة في الطَّقس مسؤوليَّة القدامى الذين ينقلون بكل أمانة ما تسلَّموه من السَّابقين.

وجدير بالذكر أن كل ذُكصا تختتم بها أي صلاة، تُقال هذه الذُّكصا سراً لا جهراً، وهو تقليد قبطي عريق يجعل لاسم الثالوث القدُّوس مهابته وقدسيَّته. وهو التَّقليد الذي تمتد جذوره الأولى إلى الهيكل اليهودي حيث لم يكن يُنطق اسم الله العظيم "يهوه" جهاراً، واستُبدل باسم "أدوناي".

وأوشية الإنجيل الذي نسمعها في كافة كنائس الكرازة المرقسيَّة اليوم هي أوشيَّة الإنجيل التي كانت تُقال في كنائس القاهرة دون الإسكندريَّة. أما كنائس الإسكندريَّة فكانت تصلي.أوشيَّة إنجيل أخرى وهي الأوشيَّة

التي ذكرها كتاب الخولاجي المقدَّس الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، تحت عنوان: "أوشيَّة الإنجيل الثانية تُقال عوض الأولى متى أراد الكاهن". وأضاف القُمُّص عبد المسيح في حاشية بنفس الخولاجي تقول: "في الخولاجي الرُّومي الذي للقبط الحاوي قدَّاس باسيليوس وقداس غريغوريوس باللغة اليونانيَّة حسب ترتيب القبط، قيل أن أوشيَّة الإنجيل الأولى للمصريين والثانية للإسكندريين، وذلك الخولاجي بخط القلم وهو نادر الوجود، وتوجد نسخته في البطركخانة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بمصر (القاهرة) وفي بعض الأديرة دون البعض. وقد يكون فيها باسيليوس وحده أو الاثنان معاً"(٦).

وذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر نص هذه الأوشيَّة الثانية للإنجيل، تحت عنوان: "وهذه غيرها **تقال في الأعياد**". أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التَّاسع عشر فلم يشر إليها.

ففي أوشيَّة الإنجيل الأولى التي للمصريين يطلب الكاهن إلى الرَّب قائلاً: "فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدَّسة، بطلبات قديسيك". وفي أوشيَّة الإنجيل الثانية التي للإسكندرانيين تكون الطلبة: "نسألك يا سيِّدنا، افتح آذان قلوبنا لكي نسمع أناجيلك المقدَّسة ... وافتح حواس نفوسنا، ولنستحق أن نكون ليس سامعين فقط، بل عاملين أيضاً بأوامرك المقدَّسة كمسرَّة الله أبيك الصَّالح".

وما يلفت النَّظر جداً أن أوشيَّة الإنجيل الثانية تنحصر كلها فيما وُضعت لأجله، أي أن يفتح الرَّب آذان قلوبنا لنصغي لصوته، أما أوشيَّة الإنجيل الأولى في نصفها الثاني بعد مرد الشَّماس لم تنهج هذا النهج عينه،

٦- أفردتُ فصلاً كاملاً من كتاب "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله" لحصر المخطوطات اليونانيَّة للقدَّاس القبطي في مكتبات العالم ومصر. فارجع إليه هناك.

حيث يقول الكاهن: ''اذكر أيضاً يا سيِّدنا، كل الذين أمرونا أن نذكرهم في تضرعَّاتنا، وطلباتنا التي نصنعها إليك ... الذين سبقوا فرقدوا يارب نيِّحهم. المرضى اشفهم''. وهي طلبات لا تصب مباشرة فيما يختص بكلمة الرَّب التي نحن مزمعون بعد هنيهة أن نسمعها.

وفي الطَّقس السِّرياني يصلي الكاهن صلاة قبل الإنجيل المقدَّس يقول فيها: ''قدِّسنا بروحك القدُّوس، لنكون سامعين وعاملين بإنجيل مسيحك''، وبعد أن ينبه الشَّماس بقوله: ''تقدَّموا وأصغوا للإنجيل''، يعود الكاهن فيقول: ''كونوا في السُّكوت لأن الإنجيل المقدَّس يتلى الآن عليكم''.

بانتهاء أوشيَّة الإنجيل يبدأ ترتيل المزمور القبطي باللَّحن طبقاً للمناسبة الكنسيَّة، وهناك في الكنيسة القبطيَّة ثلاث طرق لترتيل المزمور:

الأولى: هي الطريقة السنويَّة العاديَّة.

الثانية: هي الطريقة الكيهكيَّة.

الثالثة: هي الطريقة الفرايحيَّة.

إلى جانب نغمتان طويلتان:

الأولى يُرتَّل بها المزمور في أعياد العذراء والقدِّيسين وفي برامون الأعياد السيديَّة الكبرى.

والثانية يُرتَّل بها المزمور في الأعياد السيديَّة، وهذه الأخيرة تُدعي بـ ''اللَّحن السِّنجاري''، نسبة إلى بلدة سنجار، الموطن الذي تم فيه تأليف هذا اللَّحن الشَّجي.

يُرتَّل المزمور، وفي اللغة الطَّقسيَّة في الكنيسة القبطيَّة نقول: ''يُطرح المزمور''، فيلتفت الكاهن بعد انتهائه من أوشيَّة الإنجيل إلى ناحية المنجليَّة

(أي موضع قراءة الإنجيل) التي يُطرح المزمور من عليها، وعند الإستيخون الثالث يعطي البُخور للإنجيل المقدَّس وهو يقول: "اسجدوا لإنجيل ربِّنا يسوع المسيح، بصلوات المرتِّل داود النبي يارب انعم لنا بغفران خطايانا".

ومع الإستيخون الرَّابع يصعد الكاهن إلى المذبح ويقبِّله بفيه[٧]، ويرشم دُرج البُخور مثال الصَّليب، ويضع منه يداً واحدة في المجمرة وهو يقول: " Ογωογ ΝΕΜ ΟΥΤΑΙΟ - مجداً وإكراماً ..." بكمالها[٨].

وفي أثناء ذلك يكون الشَّماس قد أتم الانتهاء من ترتيل المزمور، فيصعد هو نفسه بالإنجيل إلى الهيكل، وهو نفس الإنجيل الذي قرأ منه المزمور للتَّو. وهذا هو السَّبب الذي من أجله ينتظر الكاهن أمام المنجليَّة حتى إلى قرب نهاية طرح المزمور، ليتسنى للشَّماس قارئ المزمور حمل الإنجيل والدخول به إلى الهيكل لتكميل الدورة حول المذبح أمام الكاهن.

فيعطي الكاهن البُخور للإنجيل وهو يدور حول المذبح دورة واحدة، والشَّماس حامل الإنجيل في مواجهته، وأمامه الشَّمامسة بالشُّموع[٩].

٧ـ تقبيل المذبح هنا هو ما ذكره البابا غبريال الخامس، ومخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر، في حين أغفل ذكره القمُّص عبد المسيح المسعودي، ومعه مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر.

٨ـ إن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فهو الذي يرشم دُرج البُخور بالصَّليب رشماً واحداً، ثم يضع الكاهن درج البُخور مكانه على المذبح، ويضع منه يد بخور في المجمرة بدون رشم وهو يقول "مجداً وإكراماً ...الخ" (انظر: القدَّاسات الثلاثة، مرجع سابق، ص ٩٨، خولاجي سنة ١٩٠٢م، مرجع سابق، ص ٩٥، ٩٦).

أما مخطوط ترتيب البيعة برقم (١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م) فيضيف بأن الكاهن يرشم على المجمرة صليباً واحداً أثناء وضعه البُخور في الشورية.

٩ـ لازالت كل كتب الخولاجي تذكر ذلك نقلاً عن البابا غبريال الخامس، ولكنها ممارسة غير مستخدمة الآن إذ يكتفي الطَّقس حالياً أن يحمل الشَّماس البشارة (الإنجيل) بكلتا يديه ممسكاً في يده اليمنى الصَّليب وفي يده اليسرى شمعة موقدة، وكتاب البشارة بينهما. وهو طقس تمارسه كل الكنائس الآن برغم أنه غير مدوَّن

بينما يردِّد الكاهن تسبحة سمعان الشَّيخ: «الآن يا سيِّد تطلق عبدك بسلام كقولك، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام جميع الشعوب، نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل[١٠]» (لوقا ٢:٢٩ـ ٣٢).

وهنا توضِّح لنا الكنيسة أن الخلاص الذي انتظره سمعان الشَّيخ قد تحقَّق في المسيح الذي حمله على ذراعيه في الهيكل، وهو نفسه الخلاص الذي يعلنه الإنجيل المقدَّس الذي هو كلمة الله، عندما انتشرت كلمة البشارة السَّارة في كل أرجاء المسكونة، وهو ما تعبِّر عنه الدَّورة حول المذبح. فالبشارة بالإنجيل هي ميلاد في المسيح، وقبول له، وقيام فيه، وخلاص به.

«لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل» (١كورنثوس ٤:١٤).

«مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بطرس ١:٢٣).

«كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله» (١يوحنا ٥:١).

«من له الابن فله الحياة» (١يوحنا ٥:١٢).

«وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه، وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلصون» (١كورنثوس ١٥:١).

فهذا هو يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود

حتى اليوم في أي كتاب خولاجي مطبوع. وفي الطَّقس البيزنطي أيضاً وفي أثناء الطواف بالإنجيل تكون هناك شمعة مضاءة مصاحبة للبشارة (الإنجيل). وهو تقليد قديم شاع في الكنيسة الأرثوذكسية شيوعاً كبيراً.

١٠ـ لم يذكر البابا غبريال الخامس هذه التسبحة، حيث لا يورد أي نص ليتورجي يقوله الكاهن أثناء دورة الإنجيل حول المذبح، ويتفق معه في ذلك كل من ابن سباع وابن كبر. أما خولاجي ١٩٠٢م فهو وحده الذي ذكر ذلك.

بواسطة الإنجيل[١١].

وأثناء دورة الكاهن مع الشَّماس بالإنجيل حول المذبح، يرتِّل الشَّعب آيات مختارة من المزامير.

ففي رفع بخور عشيَّة يرتِّلون آيتين من المزمور ١٤٠: «يارب إليك صرخت فاسمعني، أنصت إلى صوت تضرعي إذا ما صرخت إليك. لتستقم صلاتي كالبُخور قدَّامك، ليكن رفع يدَيَّ كذبيحة مسائيَّة» (مزمور ١٤٠:١، ٢). هذا ما يذكره البابا غبريال الخامس في كتابه "الترتيب الطَّقسي".

أما في رفع بخور باكر فيرتِّلون: «فلأسمع بالغدوات رحمتك، فإن عليك توكَّلت، عرِّفني يارب الطَّريق التي أسلك فيها، لأني إليك رفعت نفسي، أيها الرَّب إلهي. هلليلويا. ليتراءف الله علينا ويباركنا وليظهر وجهه علينا ويرحمنا. لتُعرف في الأرض طريقك، وفي جميع الأمم خلاصك. هلليلويا» (مزمور ١٤٢:٨، مزمور ٦٦:١، ٢). وهو ما يذكره ابن سباع في القرن الثالث عشر، وأورده القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي في خولاجي سنة ١٩٠٢م.

هذا هو طقس دورة الإنجيل حول المذبح، كما تصفه المصادر الطَّقسيَّة القديمة. أما اليوم فقد استعيض عن الإنجيل - أو القطمارس - الذي يقرأ منه الشَّماس، بإنجيل آخر صغير الحجم محفوظ داخل غلاف معدني ثمين يكون غالباً من الفضة، ويُدعى "كتاب البشارة" - كما سبق أن ذكرتُ منذ قليل - حيث تتم دورة الإنجيل حول المذبح بكتاب البشارة بينما يُرتَّل المزمور خارجاً، لذلك فقد سقط من الطَّقس ترتيل طوافات مزامير الأناجيل ولم يتبق منها سوى نصها

١١- انظر: ٢تيموثاوس ١:١٠

في كتبنا الطَّقسيَّة.

وإن ترتيل المزمور ١٤٠ «يارب إليك صرخت فاستمع لي ... لتستقم صلاتي كالبُخور قدَّامك، وليكن رفع يدَيَّ كذبيحة مسائيَّة» هو تقليد سحيق في القدَم، فهو المزمور الذي ترتِّله كل الكنائس الشرقيَّة في صلاة المساء، ولكنه سقط من الطَّقس القبطي، برغم أنه من المعتقد أن كنيسة مصر هي أول كنيسة استخدمته في صلاة المساء. ذلك لأن المقال الثاني والثلاثين عن الصَّلاة للعلاَّمة المصري أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م) يعتبر أول شاهد على استخدام المزمور ١٤٠ في صلاة المساء، وهو المزمور الذي صار فيما بعد النواة الأولى لصلاة الغروب في الكاتدرائيَّات في كل العالم المسيحي[١٢].

وأُورد فيما يلي ما يذكره البابا غبريال الخامس، عن المرحلة التالية من طقس قراءة الإنجيل المقدَّس في رفع بخور عشيَّة وباكر.

ولينتبه القارئ العزيز إلى دقائق ما يورده هذا البابا المذكور والذي يعود له الفضل الكبير في تدوين جانب كبير من طقس الكنيسة القبطيَّة كما هو عليه حتى اليوم، بعد أن أصبح كتابه "التَّرتيب الطَّقسي" حلقة الوصل الواضحة التي تربط بين طقوس القدَّاس وصلوات رفع البُخور التي ظلت تُتوارث شفاهاً لأحقاب طويلة، وبين تدوينها كتابة بهذا التَّدقيق.

وفيما يلي نص ما ورد في كتاب "الترتيب الطَّقسي" مقسَّماً إلى فقرات، لتسهيل متابعة القارئ، مع ملاحظة ما يلي.

- ما يرد بين قوسين ( ) بالبنط العادي هو من عندي للتَّوضيح.

12_ Robert Taft, S.J., *The Liturgy of the Hours in East and West*, U.S.A., 1986, p. 16.

• الكلمات التي ترد بالبنط الثَّقيل هي ما يذكره القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي إضافة على ما يذكره البابا غبريال الخامس.

• الكلمات التي تحتها خط هي ما أغفل ذكره القُمُّص المذكور.

وقد تفاديتُ أي اختلافات في التَّعبير بينهما طالما تؤدي هذه الاختلافات التعبيريَّة إلى نفس الطَّقس الواحد. والطَّقس التالي هو شرح لما بعد انتهاء دورة الإنجيل حول المذبح.

١ـ "ينزل (الكاهن) من المذبح (الهيكل) برجله اليُسرى ووجهه إلى الشَّرق، **ويقف أمام باب الهيكل والشَّماس حامل الإنجيل واقف داخل باب الهيكل**، ويعطي **الكاهن** البُخور للإنجيل ثلاث مرَّات: أوَّل ذلك يقول **(وهو يقول)**: اسجدوا لإنجيل يسوع المسيح ابن الله الحي الذي له المجد إلى الأبد[١٣].

٢ـ ثم يتناول الإنجيل **من الشَّماس** على يديه، ويلتفت إلى إخوته الكهنة، فيضعوا عكاكيزهم، ويخلعوا طيالسهم، ويمشوا **(ويأتي الكهنة)** إلى عند الإنجيل ويخضعوا برؤوسهم، ويقبِّله كل واحد منهم، وهو يقول كما كتب اولاً: اسجدوا لإنجيل ... ثم يقبِّله هو ايضاً بعدهم[١٤].

١٣ـ هذه العبارة الأخيرة وردت بالقبطيَّة فقط.

ويذكر مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر: "ثمَّ ينزل قدام باب الهيكل ويعطيه البُخور قايلا: اسجدوا لإنجيل ... الخ". أمَّا مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر فيقول: "ثمَّ ينزل من المذبح برجله اليسره ووجهه الى الشَّرق. ويعطي البُخور ثلاثت مرَّات للانجيل اول ذلك يقول الكاهن: اسجدوا ...".

١٤ـ هذا هو نص ما يذكره مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر. أمَّا مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر فيقول ما نصه: "ثمَّ ياخد الانجيل ويلتفت الى الغرب تقبله الكهنه واحد بعد واحد وبعد دلك يقبله هو".

٣- ويناوله للشَّماس **الذي يقرأه** ليتوجَّه يقرأه إما على المنجليَّـــة، وإما على الإنبل، ويشيِّعه بالبُخور. ثم **يعود إلى باب الهيكل**، ويلتفت إلى الشَّرق أمام باب المذبح (الهيكل)[١٥].

٤- وعندما يقول الشَّماس: **ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ قفوا بخوف الله لسماع**[١٦] **الإنجيل المقدَّس**، يقول الكاهن: مبارك الآتي باسم الرَّب[١٧].

٥- ثم عندما يقول الشَّماس **في بدء الإنجيل القبطي**: يارب بـــارك الفَصل من الإنجيل المقدَّس من متىَ.أو غيره (**أو من مرقس أو من لوقا أو من يوحنا**) يعطي الكاهن البُخور للمذبح **إلى الغرب ثلاث أياد** وهـــو يقول مع الشَّماس سراً: بدء الإنجيل المقدَّس من متىَ أو **من** مرقس أو **من** لوقا أو **من** يوحنا. الفَصل من الإنجيل المقدَّس.

٦- وعندما يقولون (**يقول الشَّعب**): **ⲇⲟⲝⲁ ⲥⲓ ⲕⲉ المجد لك يارب**، يقول المفسر **الإنجيل عربيا هذا التنبيه للسَّامعين**: قفوا بخوف الله، وانصـــتوا إلى سماع (**لسماع**) الإنجيل المقدَّس. فصل من إنجيل فلان البشير **بركتـــه علينا آمين**.

٧- وفي ضمن (أثناء) ذلك يتوجَّه الكـــاهن إلى حيـــث الإنجيـــل، ويعطيه (**يعطي الكاهن**) البُخور **للإنجيل** ثلاث أيادي، وهـــو يقـــول:

١٥- هذا هو نص ما يذكره مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاســع عشـــر، باستثناء تعديلات القمُّص عبد المسيح صليب البراموسي. أمَّا مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر، فيقول: "ويعطيه لاحد الكهنه يضعه على الانجيليه"

١٦- بحسب منطوق المرد في اليونانيَّة تكون الترجمة الأدق: "لنسمع".

١٧- بدءاً من هذا البند وكل البنود التالية له، يتَّفق مخطوط رقم (ط ١٣٣) مـــن القرن التاسع عشر مع ما يذكره كتاب الترتيب الطَّقسي للباب غبريـــال الخـــامس، باستثناء التعديلات التي أجراها القمُّص عبد المسيح صليب البراموسي.

اسجدوا لإنجيل ... **بكمالها كما مرَّ.**

٨- وإذا قال الشَّماس **(وعندما يقول القارئ)**: ربُّنا وإلهنا **ومخلِّصنا وملكنا كلّنا يسوع المسيح ابن الله الحي له المجد إلى الأبد.** كاملة، يلتفت الكاهن إلى المذبح **(الشَّرق)** ويعطي البُخور ثلاثة دفوع وهو يقول مع الشَّماس **(مع القارئ)**: ربنا ... كاملة.

٩- ويلتفت **إلى الغرب** إلى إخوته الكهنة وهو **واقف** مكانه ويعطيهم البُخور يداً واحدة وهو يقول: أما أنتم فطوبى لأعينكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع، فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة بطلبات قديسيك.ثم يلتفت **(يعطي البُخور)** إلى ناحية الشَّمامسة، ويعطي البُخور يداً واحدة وهو مكانه ويقول: اسجدوا لإنجيل ... **بكمالها.**

١٠- ثم بعد ذلك يقف مكانه **(بجانب باب الهيكل بهدوء وسكون)** ووجهه للغرب وهو يبخِّر أمام الإنجيل، **(ويحني هامته أمام الإنجيل المقدَّس إلى أن تنتهي قراءة الإنجيل قبطياً)** ويظهر وجهه للشَّعب كمثل العظيم موسى رئيس الأنبياء، لأن وجهه كان مبرقعاً لأجل مجد الرَّب الذي كان متجلياً، لئلا ينظر الشَّعب إلى مجد الرَّب فيموتوا. وكان إذا قرأ على الشَّعب ناموس الرَّب، يكشف وجهه وينزع عنه البرقع، فيخضع الشَّعب كله رؤوسهم لسماع ناموس الرَّب، ولا يستطيعوا النَّظر إلى وجه موسى لعظم مجد الرَّب. فيكون الكاهن الذي للحديثة إذا التفت إلى الشَّعب وقت قراءة الناموس الحديث وظهر لهم، يخضعوا برؤوسهم لسماع قراءة الإنجيل المحيي. ووقاراً من مجد الرَّب الذي أعطاه لخادمه وكاهنه.

١١- وإذا فرغ الشَّماس من قراءة الإنجيل قبطياً. يتوجَّه الكاهن إلى

حيث الإنجيل، ويعطي البُخور ثلاث أيادي **ممجداً السيِّد المسيح صاحب الإنجيل** وهو يقول: وأنت الذي ينبغي لك التَّمجيد بصوت واحد من كل أحد. والمجد والكرامة (**والإكرام**) والعظمة والسُّجود، مع أبيك الصَّالح والروح القدس الحي المحيي، المساوي معك (**لك**)، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

أما القارئ فإنه عند فراغ قراءة الإنجيل قبطياً يقول: المجدُ لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين.

يقول الشَّعب: المجد لك يارب.

وإن كانت قراءة الإنجيل فوق الإنبل فتكون عطية البُخور للإنجيل أولاً وأخيراً على باب الخورس. وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً، فإنه يقرأ الإنجيل وهو متَّجه إلى الغرب في باب الهيكل. ويقف الكاهن بالمجمرة غربي باب الهيكل متجهاً إلى الشَّرق نحو الإنجيل.

١٢- **ثم يفسَّر الإنجيل عربياً** وإذا قال المفسِّر: ربُّنا والهُنا **ومخلِّصُنا وملكُنا كلِّنا يسوع المسيح ابن الله الحي له المجد إلى الأبد**، يلتفت الكاهن إلى المذبح (**الشَّرق**) ويعطي البُخور ثلاث أيادي وهو يقول: ربُّنا وإلهُنا ومخلِّصُنا كاملة. ثم يلتفت إلى ناحية الكهنة والشَّمامسة ويعطي البُخور لكل جهة يداً واحدة وهو يقول: اسجدوا لإنجيل ... كاملة.

وفي آخر الإنجيل العربي يقول القارئ: والمجد لله دائماً.

١٣- وعند فراغ **قراءة** الإنجيل يحضر الشَّماس القارئ الإنجيل إلى عند الكاهن، فيعطيه البُخور قائلاً[١٨]: مبارك الآتي باسم الرَّب. وثم من يقول: اسجدوا لإنجيل ... والاثنان موافقتان.

١٨- يذكر مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر: "وعند فراغ الانجيل يحضنه القاري ويحضر الى عند الكاهن ليعطيه البُخور قايلا".

١٤ـ ثم يحمله الكاهن على ذراعيه ويأتي الكهنة إلى عنده، ويخضعوا برؤوسهم ويخلعوا طيالسهم ويقبِّلوه كحسب طقوسهم، ثم في آخر الجميع يقبِّله هو، ويناوله إلى الشَّماس يضعه على الإنجيلية.

وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فيقدم إليه الكاهن الإنجيل فيقبِّله وحده دون باقي الكهنة[١٩].

١٥ـ ثم يرد (مرد) الإنجيل كالعادة".

الخلاصة

من البنود السَّابق بيانها نخلص إلى القول أنه:

(أ) حتى أواخر القرن التاسع عشر كانت دورة الإنجيل حول المذبح تتم في بعض الكنائس بكتاب الإنجيل نفسه الذي يُقرأ منه فصل الإنجيل، وهو ما استعيض عنه حالياً بكتاب البشارة، فسقط طقس إعطاء البُخور للإنجيل ثلاث أيادي بعد انتهاء الدَّورة مباشرة.

(ب) اقتُصر تقبيل الإنجيل المقدَّس - أو كتاب البشارة حالياً - على الكاهن الخديم فقط، وليس كما يشرح البند (٢). ويذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) عادة تقبيل الإنجيل بعد انتهاء دورته حول المذبح فيقول: "يُطرح المزمور ويبخر الكاهن الإنجيل ويطوف به الشَّماس الهيكل مفتوحاً على يديه ويقبله الكهنة الحاضرون مفتوحاً[٢٠] ". وتقبيل الإنجيل

١٩ـ ويضيف القُمُّص عبد المسيح المسعودي بقوله: وبعد الإنجيل العربي يُقال في صلاة عشيَّة السِّنكسار إذا لم يكن قد صار في ذلك اليوم قدَّاس فقرئ فيه. وفي عشيات آحاد الصَّوم المقدَّس خاصة تُقرأ أيضاً الموعظة قبل السِّنكسار. وأما في باكر فإنه في صوم نينوى والصَّوم المقدَّس خاصة تُقرأ موعظة باكر بعد الإنجيل العربي.

٢٠ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء

يعني قبول كلمة الله.

(ح) يتَّضح من البنود (٣، ٤، ٦) أن نداء الشَّماس: قفوا بخوف الله ...الخ، يكون مرَّتين من على المنجليَّة؛ المرَّة الأولى باليونانيَّة قبل قراءة فصل الإنجيل القبطي، والمرَّة الثانية بالعربيَّة قبل قراءة فصل الإنجيل العربي. أما اليوم فالنداء الأوَّل السَّابق ذكره أصبح ترديده عند عتبة باب الهيكل.

بالإضافة إلى أن عبارة "بركته علينا آمين" التي كان يقولها القارئ أصبحت من نصيب الشَّعب حين يقول: "على جميعنا".

(د) المرد الذي يقوله الشَّماس في البند (٥) أصبح من نصيب الكاهن اليوم.

(هـ) نلاحظ في البند (٨) أنه قد اقتطع الشَّعب كلمة "إلى الأبد" من قول الشَّماس "ربُّنا وإلهُنا ..." ليجعل منها مرداً له.

(و) بالتَّدقيق في قراءة البندين (٨، ٩) يتَّضح أن محل وقوف الكهنة كان حتى القرن الخامس عشر في داخل الهيكل، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى الخوروس خارج الهيكل مما استوجب من القُمُّص عبد المسيح المسعودي أن يضيف عبارة "إلى الغرب" في البند (٩)، ويحذف كلمة "يلتفت" أي الكاهن عند إعطائه البُخور للشَّمامسة. وجدير بالذكر أن خولاجي الدَّير المحرَّق المطبوع سنة ١٩٩٣م، قد نقل نص ما يذكره القُمُّص عبد المسيح المسعودي، وليس نص البابا غبريال الخامس.

(ز) وقوف الكاهن متَّجهاً إلى الغرب وهو يبخّر بالشورية أثناء

الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧.

قراءة الإنجيل ما زال هو الطَّقس الذي نمارسه اليوم كما يذكره بوضوح البابا غبريال الخامس برغم إغفاله في خولاجي سنة ١٩٠٢م.

(ح) الختام التَّقليدي للإنجيل هو في مرد الشَّعب "المجد لك يارب"، وهو مرد موغل في القدم تعرفه الطقوس الشرقيَّة الأخرى، وقد أشار إليه القدِّيس يوحنا ذهبي الفم في واحدة من عظاته.

أما خولاجي سنة ١٩٠٢م، فيذكر أن قارئ فصل الإنجيل القبطي يقول في ختامه "المجد لإلهنا" وهو ما نقرأه مدَّوناً في القطمارسات القبطيَّة المطبوعة في بواكير القرن العشرين.

أما الإضافة التي يذكرها أيضاً القُمُّص عبد المسيح البراموسي في البند (٩) وهي: "إلى أبد الآبدين آمين" فهي الأكثر حداثة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أضاف القُمُّص المذكور في البند (١٢) أن قارئ فصل الإنجيل العربي هو الذي يقول "والمجد لله دائماً"، ذلك لأن مرد الشَّعب يكون دائماً بحسب التَّقليد القديم هو: "المجد لك يارب". أما اليوم فقد صار ختام فصل الإنجيل العربي في قول الشَّعب: "والمجد لله دائماً" بدلاً من القارئ، فسقط المرد القديم "المجد لك يارب" عقب قراءة فصل الإنجيل العربي.

ولدينا إشارة طقسيَّة من القرن الثاني عشر تقول: عند قول الشَّعب "المجد لك يارب" يرشمون الصَّليب، وهم بذلك يستقبلون الإنجيل برشم الصَّليب لأنه ختم الحمل الحي ابن الله، وعلامة شريعة الحياة ... لأننا إن لم نقبل البشارة بالصَّليب لا نقتني الإفراز، ولا نفهم معنى كلمة الإنجيل ... فالصَّليب يعتقنا من عدم الإفراز عندما نصلب أهواء الجسد مع شهواته،

لكي يفتح الرُّوح القدس عيون أفهامنا فنرى السَّماويات وأمجادها[٢١].

(ط) أسقط القُمُّص عبد المسيح المسعودي البند (١٣) من الطَّقس، وبالتالي أصبح لا يُمارس اليوم.

(ي) في البند (١٤) الكهنة هم الذين يمشون إلى عند الإنجيل إكراماً له، لا أن يمر الإنجيل عليهم، كما يفعل البعض الآن، إلاّ أن هذا البند قد سقط من الطَّقس، وتوقَّفت عادة تقبيل الإنجيل بعد قراءته مباشرة. وأول إشارة تصلنا عن زمن سقوط هذا الطَّقس نقرأها عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) قس كنيسة السيِّدة العذراء المعلَّقة في الباب السَّادس عشر من مؤلفه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" فيقول:

"وكانت العادة في المعلَّقة وغيرها أنه عند فراغ قراءة الإنجيل يقبّله الشَّعب، الرِّجال ثم النِّساء، فأشار الأب البطريرك[٢٢] الآن باعتماد عادة الرُّهبان، وهي تأخير تقبيله إلى انتهاء الصَّلاة، فيُقبَّل مع الصَّليب".

وهذه الإشارة بالغة الأهميَّة من وجهة تاريخ الطَّقس، إذ تطلعنا على الزَّمن الذي توقَّفت فيه هذه الممارسة الطَّقسيَّة في كنيسة المعلَّقة بالذَّات، وهي الكنيسة البطريركيَّة في ذلك الوقت، ولم يكن انتشار هذه التَّعليمات الطَّقسيَّة الجديدة سريعاً، إذ استقرَّت زمناً كبيراً حتى تجد مكانها في باقي كنائس الكرازة المرقسيَّة.

لأنه بعد ذلك بما يقرب من مائة سنة، أي في القرن الخامس عشر نقرأ عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ـ ١٤٢٧م) أن طقس تقبيل الإنجيل

٢١ـ معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٦٨.

٢٢ـ هو البابا يؤانس الثامن (١٣٠٠ـ ١٣٢٠) البطريرك الـ ٨٠ من باباوات الكرازة المرقسية.

بعد قراءته مباشرة كان لازال طقساً معمولاً به، إلاّ أنه قد اقتصر على الإكليروس وحدهم دون بقيَّة الشَّعب، حيث أُرجئ تقبيل الشَّعب للإنجيل، الرِّجال والنِّساء، إلى نهاية صلوات رفع البُخور كما سنرى فيما بعد.

أمَّا في حالة حضور الأب البطريرك صلاة عشيَّة من غير خدمة، فلا يقرأ الإنجيل قبطياً متَّجهاً ناحية الغرب كالعادة، ولكنه هو وحده الذي يقبِّله قبل وبعد قراءته، فيقول مخطوط ترتيب البيعة لسنة ١٤٤٤م، المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة ما يلي: "وعند نزول الكاهن (من الهيكل بعد دورة الإنجيل حول المذبح)، يتناوله (أي الإنجيل) من الشمَّاس، ويمضي به إلى الأب البطريرك، فيقبله (هو فقط) لا غير. ويقرأ الشمَّاس الإنجيل قبطياً ويفسره أحد الشَّمامسة، ثمَّ يحمله الكاهن إلى الأب البطريرك ويقبله، ويُرد بما يلائم ..."[٢٣].

ارتباط رفع البُخور بقراءة فصل الإنجيل المقدَّس

كل الطقوس شرقاً وغرباً تمارس رفع البُخور المصاحب لقراءة فصل الإنجيل المقدَّس. وإن ارتباط البُخور بقراءة الإنجيل منذ بداية الأوشيَّة وإلى حين الانتهاء تماماً من قراءة فصل الإنجيل المقدَّس هو طقس يعرفه العهد الجديد فقط، ولم يكن معروفاً في العهد القديم، ونقرأ عنه منذ القرن الخامس الميلادي في قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة، وذلك حينما يقول:

"وكل بخور ترفعونه في الموضع المقدَّس في باكر وعشية، ولاسيَّما في

٢٣- ويذكر نفس المخطوط المذكور أن الشَّعب يقبل الصَّليب والإنجيل في نهاية صلاة عشيَّة أثناء ترديد القانون.
انظر: الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ١٤، ٢٥

الصَّعيدة التي لله قبل الإنجيل، فليأخذ رئيس الشَّمامسة مجمرة بيده، ويملأها جمرا، ويقف قدام المذبح أمام الإنجيل، ويرفعون له فيها البُخور، ويصعده حتى يُقرأ الإنجيل. ثم يمشي بالمجمرة قدام الإنجيل إلى داخل الموضع المقدَّس. ليس لأن الرَّب محتاج إلى بخور، بل ليتذكَّر الإنسان البُخور الذي للدُّهور النُّورانيَّة، حيث ليست هناك رائحة كريهة قدام الرَّب إله الأحياء بل التَّسبحة هناك" (القانون ١٠٦)[٢٤].

الآداب الكنسيَّة التي تُراعى أثناء قراءة الإنجيل المقدَّس

لاحظنا في الصَّلوات والطقوس السَّابقة الممهِّدة والمرافقة لقراءة الإنجيل المقدَّس مقدار التَّوقير الذي تعطيه الكنيسة لكلمة الله، وكيف تمهِّد بتوسُّل وتضرُّع إلى الرَّب أن يجعلنا مستحقين لسماع كلمته المقدَّسة. وفي السُّطور التالية نورد ما يقوله البابا غبريال الخامس في ذلك:

"عندما يقول القارئ قفوا بخوف الله، وأنصتوا لسماع الإنجيل المقدَّس، ينبغي على كل واحد أن يقف ولا يمشي ولا يتكلم، ولا يشغل ذهنه بشئ لأجل سماع كلام الله، ويكونوا منصتين ساجدين خاضعين مطرقين برؤوسهم إلى الأرض بخوف ورعدة وهيبة ووقار لتلاوة قول الإنجيل.

ولا ينبغي لأحد من الشَّعب أن يتكلم ولا يشغل ذاته بصلاة، ولا يمشي من مكان إلى مكان. وإذا عبر أحد من باب البيعة وسمع قراءة الإنجيل يقف ولا يمشي حتى يفرغ الذي يقرأ. لأن القارئ أمر بالوقوف والسكوت والسمع لما يقال، مثالاً لما كان يفعله بنو إسرائيل عندما كان يُقرأ عليهم، إذ كانوا مطرقين رؤوسهم لئلا ينظروا النور الذي على وجه موسى.

٢٤ـ مخطوط (ق ٢) بمكتبة دير القديس أنبا مقار يعود تاريخه إلى سنة ١٥٤٠م.

فإنه كان عند قراءة الناموس يكشف البرقع الذي علـــى وجهـــه، فكانوا يخضعون برؤوسهم حتى لا ينظروا إلى وجهه. فإن كل من كـــان ينظر إلى وجهه يموت لأجل نور الرَّب الذي كان حالاً عليه. والنـــاموس لم يكن يقرأه إلاَّ الكاهن، وكذلك هو الآن عند ساير الطوايف. لا يقرأه إلاَّ الكاهن، فلما وُضع الآن أن الشَّماس يقرأه، صـــار الكـــاهن يقـــف ووجهه إلى الغرب دون الشَّعب كله، حتى أن كل أحد يخضـــع برأســـه حتى لا ينظر الآن الكاهن، ويخضع للإنجيل.

فكذلك ينبغي للكاهن أن يقف ولا يمشي ولا يتكلم ولا يسعى. فإن من تكلم فإنه يصير كمثل داثان وأبيرام لما عاندا موسى وقصـــدا عمـــل الكهنوت، وتعرضا لهرون وبنيه، وصارا يشغلان أذهان الشَّعب عن سماع قول الله لموسى ولهارون، وكانا يمشيان بين الشَّعب ويغلقان قلوبهم على موسى وهارون، ولم يكونا يستحيان من موسى ولا مـــن الله، ولا مـــن الناموس الذي كان يقرأه، فأمر الله الأرض ففتحت فاها وابتلعتهما همـــا وأبناءهما وماشيتهما فكافأهما الله بذلك.

فلهذا السبب أمرنا آباؤنا أن لا يتكلم أحد وقت القداس ولا وقت الصلاة، بل نطرق رؤوسنا إلى الأرض وننصت لســـماع الإنجيـــل. وإن القارئ إذا قال قفوا وانصتوا، فينبغي للكاهن أن لا يـــتكلم ولا يمشـــي والشعب يفعلون كذلك[٢٥] ".

ويُقرأ الإنجيل من مكان مرتفع من فوق الإنبل أو من على المنجليَّة، ويقرأه كبير الكهنة الحاضرين الخدمة، ورأسه مكشوف[٢٦]. تمثلاً بالكهنة

٢٥ـ البابا غبريال الخامس، التَّرتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٧٤، ٧٥

٢٦ـ انظر: القانون السادس من قوانين البابا غبريال بن تريك.

O.H.E. KHS Burmester, *The Canons of Gabriel Ibn Turaik,* (OCP), Vol. 1, P. 49.

السَّمائيين الذين يخلعون تيجانهم في حضرة الرَّب، فكلمة الإنجيل هي حضور الرَّب ذاته.

وتضاء الشُّموع والأنوار وقت قراءة الإنجيل المقدَّس للدلالة على أن نور الإنجيل قد سطع في كل أقطار الأرض (٢ كورنثوس ٤:٤) وأن كلمة الله هي نور العالم «سراج لرجلي كلامك، ونور لسبيلي »(أمثال ٦:٢٣).

ويقبل الإنجيل مفتوحاً قبل وبعد قراءته، فيقبله الكهنة مفتوحاً، أما الشَّعب فيقبلونه مقفولاً، وفي شرح لابن سباع في القرن الثالث عشر يذكر أن الإيبودياكون يحمل الإنجيل ويغطيه بستر من حرير ويدور به على الشَّعب ليقبلوه مقفولاً تصديقاً لما سمعوه وإقتداء بالكهنة.

ودوران الإيبودياكون على الشَّعب بالإنجيل كان هو البديل الأسهل والأوفر وقتاً والحافظ لهدوء الكنيسة، على اعتبار أن الإنجيل في أوَّل الكرازة به سار به الإنجيليون وجميع الرسل إلى كل العالم فآمنوا وخلصوا. وحتى هذه الممارسة الأخيرة بطل استخدامها الآن بعد أن زادت جموع المصلين في الكنيسة زيادة كبيرة، يصعب معها تطبيق هذه الممارسة. وحُفظت هذه الممارسة حتى اليوم في الأديرة القبطيَّة حيث يسير الرُّهبان إلى حيث كتاب البشارة التي يحملها الكاهن واقفاً بها أمام باب الهيكل ليقبلها كل واحد فواحد بحسب طقوسهم.

وعادة الوقوف أثناء قراءة فصل الإنجيل المقدَّس هي عادة تعرفها كافة الكنائس شرقاً وغرباً، وهي تقليد يمتد بجذوره إلى التَّقليد اليهودي القديم. ولدينا إشارة من القرن الخامس الميلادي توضح أن رئيس الشَّمامسة في طقس الإسكندريَّة كان له الحق وحده في قراءة فصل

الإنجيل المقدَّس[٢٧].

الوَضع الطَّقسي القَديم لقراءة السِّنكسار، وعمل التَّمجيد

إن الموضع الطَّقسي القديم لقراءة السِّنكسار لم يكن بعد قراءة فصل الإبركسيس وقبل قراءة فصل إنجيل القدَّاس كما نمارس اليوم، بل عقب فصل إنجيل رفع بخور باكر، وهو ما تذكره مخطوطاتنا الكثيرة.

أمَّا القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي فقد ذكر عادة قراءة السِّنكسار بعد فصل إنجيل عشيَّة، إن لم يكن قد قُرئ في القدَّاس في صباح نفس اليوم[٢٨]. وعنه نقل[٢٩] دكتور بورمستر Burmester والخولاجيَّات التي طُبعت في القرن العشرين. وليس هذا هو الوضع الطَّقسي القديم لقراءة السِّنكسار.

فصلاة عشيَّة تتبع طقس اليوم التالي من حيث القراءات وبالتالي المناسبة الكنسيَّة، سواء كانت عيداً سيدياً أو غيره من أعياد العذراء والشُّهداء والقدِّيسين، فهي تمهيد لقدَّاس اليوم التالي وليست تابعة لليَّوم السَّابق الذي ينتهي بغروب الشَّمس حسب الطَّقس الكنسي[٣٠]. فضلاً عن أن إنجيل رفع بخور عشيَّة يخدم موضوع قراءات اليوم التالي ومناسبته، وحتى ذُكصولوجيَّات القدِّيسين في رفع بخور عشيَّة تتبع

27_ ODCC., (2nd edition), p. 583.

انظر شرحاً مكملاً لذلك في كتاب: "القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله" للمؤلِّف.

٢٨_ كتاب الخولاجي المقدَّس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ١٠٥_ ١٠٧.

29_ O.H.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church..., op. cit.*, p. 44.

٣٠_ لاحظ أن الإبصالية والثيؤطوكية تتبع نفس اليوم الذي يُعمل في مسائه صلاة عشيَّة، ولكن بطقس اليوم التالي. باستثناء الدِّفنار أو الطروحات التي تتبع حتماً المناسبة الكنسيَّة لليَّوم التالي.

اليوم التالي.

والجذور الأولى لقراءة السِّنكسار في صلوات رفع البُخور نجدها عند ابن كبر، إلاَّ أنه يذكر أن السِّنكسار يُقرأ في صلوات رفع بخور باكر بعد قراءة الإنجيل فيقول:

"... ويقرأه (أي الإنجيل) الشَّماس المصلِّي أو البطريرك إن كان حاضراً واختار ذلك أو الأسقف إن كان في كرسيه، ويُفسَّر عربياً ويُقرأ بعد تفسيره باكراً فصل من السِّنكساري وهو دلاَّل التِّذكارات وتاريخها، وتكمل الصَّلاة[٣١]...".

وهذا هو الوضع الطَّقسي الأصيل والقديم لقراءة السِّنكسار في الصَّلوات الليتورجيَّة في الكنيسة القبطيَّة، بل هو التَّرتيب الذي ظل معمولاً به حتى أوائل القرن العشرين، وحتى بعد طباعة كتاب الخولاجي المقدَّس سنة ١٩٠٢م. ففي مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) والمحفوظ في الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والذي يعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٩١٠م، في حديثه عن صلوات رفع بخور باكر يقول ما نصه[٣٢]:

"... وعندما يفرغ الإنجيل العربي يقرأ السِّنكسار وتكمل الصَّلاة. فإن كانت الصَّلاة لا يتلوها قدَّاس فيصرف الشَّعب إلى أماكنهم. وإن كان ذلك النَّهار عيد ستنا السيِّدة أو أحد الملائكة أو الشُّهداء أو القدِّيسين، ويقصدوا أن يقرأوا السيرة كما يجب، فإن كان نهار إفطار فيكون ذلك سياقه. وإن كان نهار أربعاء أو جمعة أو في أحد الصومين الميلاد أو صوم الرُّسل ويقصدوا سياقة السيرة إلى السَّاعة السَّادسة، فيبتدئ الكاهن برفع البُخور لأجل السيرة خمسة أيادي كالعادة،

٣١ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧.

٣٢- مع تصحيح الأخطاء اللفظيَّة فقط.

والشَّمامسة ترتل بلحن الثالوث المقدَّس إلى نهايته، يقال البرلكس بتمامه Ⲭⲉⲣⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁⲙ وضمن ذلك يعطي الكاهن البُخور للمذبح ولأيقونـــة صاحب العيد وللكهنة الحاضرين، ويعلق المجمرة ويجلس. ثمَّ تُقـــال Ⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥⲙⲟⲩ ⲛ̀ϯⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉⲑⲩ الخ. وبعدها يقرأ الكاهن البركة قبطياً ويفسر عربياً. وبعدها يقول الشَّمامسة Ⲁⲙⲏⲛ ⲉⲥⲉ̀ϣⲱⲡⲓ وبعـــدها يرتلـــون باللحن Ⲉϣⲱⲡ ⲛ̀ⲑⲟⲕ وبرلكسه بعده. وبعد ذلك يبتدئوا بقراءة السيرة التي للعيد المعيَّن. وهم عند آخر كل فصل يقـــرأون اللَّحـــن إلى وقـــت استحقاق خدمة القدَّاس. إن كان النَّهار إفطار كما شرح فيكون باختيار مدولب البيعة، وإن كان نهار أربعاء أو جمعة فتكون نهاية خدمة القدَّاس السَّاعة التاسعة كما ذكر القانون المقدَّس. وعند نهاية السيرة يرفع الكاهن الكتاب الذي قرئت فيه السيرة أمام المذبح ويصرخ الشَّعب كيرياليصون بالكبير بالناقوس ثلاث دفوع، ويبتدئوا بخدمة القدَّاس".

حضور الأب البطريرك قراءة السِّيرة

يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس): فـــإن كـــان الأب البطريرك حاضراً السيرة، فهو الذي يرفع البُخور أولاً والكهنة بعد ذلك تعطيه البُخور، ويجلسونه على الكرسي بباب الخوروس البراني، وهو الذي يقرأ البركة ويفسرها، ويبتدئ السيرة. والاختيار له في القعاد أو يعود إلى القلاية بعد أن يبتدئ السيرة ليستريح إلى وقت خدمة القدَّاس. وبعد فراغ السيرة يقولون كيرياليسون. والمجد لله.

تعقيب وشرح

وهكذا تحتفل الكنيسة القبطيَّة بعيد العذراء أو بعيد أحد شهدائها أو قدِّيسيها قبل بداية القدَّاس الإلهي، وذلك بقراءة السيرة ضمن طقس جميل

بديع مصحوب برفع بخور مع ألحان، بحسب ما يورده مخطوط ترتيب البيعة السَّابق ذكره، وليس بمجرد قراءة السيرة قبل فصل إنجيل القدَّاس.

وما يذكره مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) هو الطَّقس القديم جداً، والذي أظنه الطَّقس الذي مارسته الكنيسة قبل القرن الرَّابع عشر الميلادي، لأن العالم الطَّقسي ابن كبر (+ ١٣٢٤م) يذكر أن التمجيد الذي يُعمل للسيدة العذراء أو لأحد الشُّهداء أو القدِّيسين يجري في نهاية رفع بخور عشيَّة قبل قانون ختام الصَّلوات والتسريح. وفي ذلك يقول ابن كبر (+ ١٣٢٤م) قس كنيسة السيِّدة العذراء المعلقة:

"وإن كانت ليلة عيد أحد من الشُّهداء أو القدِّيسين، وأرادوا أن يمدحوه تحت أيقونته، فإذا قال الشمَّاس "ننصت – **ⲡⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ** " يكمل الكاهن التَّحليل، ولا يُقال كيرياليسون، بل يبتدئ المرتِّلون بلحن ذلك اليوم فيما يليق من التَّرتيل بذلك العيد، ويخرج الشَّعب إلى الأيقونة ويُطرح من الدِّفناري ما يختص بذلك التِّذكار. ثم تقال الليلويا ترتيلاً، وبعدها كيرياليسون، والقانون، والبركة".

ومما يذكره كل من مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)، وابن كبر في كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" يتَّضح لنا السَّبب الذي لأجله يقول القُمُّص عبد المسيح البراموسي أن السِّنكسار يُقرأ بعد إنجيل عشيَّة. إذ أن التمجيد الذي يُعمل لأحد القدِّيسين كان يجري بعد قراءة السِّنكسار في نهاية صلوات رفع بخور باكر. ولما انتقل التمجيد إلى نهاية صلوات رفع بخور عشيَّة في القرن الرَّابع عشر انتقل معه بالضرورة قراءة السِّنكسار الذي يسرد سيرة القدِّيس الذي ستحتفل به الكنيسة في الغد، أي أن التمجيد يجري في ليلة عيد الشَّهيد أو القدِّيس.

أمَّا أن السِّنكسار يُقرأ بعد إنجيل عشيَّة إن كان لم يقرأ في صباح

نفس اليوم – كما يذكر القُمُّص عبد المسيح – فهو لبس قد اختلط عليه. أما الوضع الطَّقسي المقصود، فهو أنه قد تحوَّلت قراءة السِّنكسار من بعد إنجيل باكر يوم عيد الشَّهيد أو القدِّيس إلى ما بعد إنجيل عشيَّة ليلة عيد الشَّهيد أو القدِّيس. فهل التحوُّل الأخير الذي طرأ على قراءة السِّنكسار قبل إنجيل القدَّاس، كان سببه انحصار حضور معظم الشَّعب على القدَّاس الإلهي بعد أن ضعف حضوره لصلوات رفع البُخور؟. ولكن تظل ليلة عيد الشَّهيد أو القدِّيس تحتل أهميتها عند الأقباط حتى اليوم.



الفَصل الثّامن

الأواشي الصِّغار وختام الصَّلوات

الأواشي الصِّغار

يكمل الكاهن الصَّلاة وهو واقف أمام باب[1] المذبح (الهيكل)، حيث يصليِّ أواشي السَّلامة (سلام الكنيسة)، والآباء (البابا البطريرك والأساقفة)، وخلاص المسكن (وتُسمى أيضاً أوشيَّة الموضع)، ثم أوشيَّة المياه أو الزُّروع، أو الثِّمار حسب التَّقسيم القبطي للسَّنة، وهو التَّقسيم المنقول عن أصول مصريَّة قديمة، حيث تُقسَّم السَّنة إلى ثلاثة فصول، وليس أربعة كما هو متعارف عليه الآن. وهو تقسيم يرتبط ويعتمد على نهر النيل في مصر مصدر مياهها وخيرها. وهذه الفصول هي:

الفَصل الأول: و يمتد أربعة شهور قبطيَّة وثلاثة أيام (من ١٢ بؤونه/ ١٩يونيو إلى ٩ بابه/ ١٩ أكتوبر)، وتصلي فيه الكنيسة من أجل مياه النَّهر وهو نهر النيل، وهو فصل الفيضان الذي كان يغمر أرض مصر بالخير، ويفرِّح وجه الأرض.

الفَصل الثاني: وهو فصل زراعة الأرض، وتصلي الكنيسة فيه من أجل الزُّروع ونباتات الحقل، لكي تنمو وتكثر وتثمر ثماراً عظيمة. وهو فصل يمتد ثلاثة شهور قبطيَّة ويوماً واحداً (من ١٠ بابه/ ٢٠ أكتوبر إلى

١- لم يذكر لبابا غبريال الخامس كلمة "باب" بل قال: "أمام المذبح". ولكن التَّقليد المتوارَث يذكر أن الأواشي في صلوات رفع البُخور تقال عند عتبة باب الهيكل.

١٠ طوبة/ ١٨ يناير).

الفَصل الثالث: وهو فصل أهوية السَّماء وثمرات الأرض، ونضج الكروم، وأثمار الأشجار، لكي يكملها المسيح فتنمو بغير آفة. وهو يمتد خمسة شهور قبطيَّة ويوماً واحداً (من ١١ طوبة/ ١٩ ينـاير إلى ١١ بؤونه/ ١٨ يونيو).

وفي هذه الأواشي تطلب الكنيسة إلى الرَّب أن يتحنَّن على جبلته التي صنعتها يداه ويعولنا نحن بني البشر، ويغفر لنا خطايانا. والملفت للنَّظر أن الكنيسة تطلب من أجل كل احتياج للإنسان، حتى البهائم أيضاً، لكي يعطيها الرَّب النجاة. انظر ارتباط الكنيسة بأرض مصر وبترابها ونيلها وزرعها وضرعها.

وفي ختام أي من هذه الأواشي أو الطلبات يكمل الكاهن بصلاة كلها عذوبة وعمق، حتى أن أي مساس بتسلسلها يشوِّش روعتها وانسيابها، ننقلها هنا كاملة بلا تعقيب ليتأمَّلها القارئ في هدوء كهدوء النَّسيم في صباح باكر مشرق جميل، لم تعكر صفوه بعد ضوضاء الحياة وحر النَّهار.

"أصعدها كمقدارها كنعمتك.
فرِّح وجه الأرض.
ليرو حرثُها ولتكثر أثمارها.
أعدَّها للزَّرع والحصاد.
ودبِّر حياتنا كما يليق.
بارك إكليل السَّنة بصلاحك.
من أجل فقراء شعبك.
من أجل الأرملة.

واليتيم.
والغريب.
والضَّيف.
ومن أجلنا كلّنا.
نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدُّوس.
لأن أعين الكل تترجَّاك.
لأنك أنت الذي تعطيهم طعامهم في حين حسن.
اصنع معنا حسب صلاحك.
يا معطياً طعاماً لكل ذي جسد.
املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً.
لكي نحن أيضاً إذ يكون لنا الكفاف في كل شئ كل حين نزداد في كل عمل صالح".

ثم يختم الكاهن هذه الأواشي بأوشيَّة الجماعة وهي تُسمى أيضاً أوشيَّة الاجتماعات. وفي بدايتها وعندما يقول: "اذكر يارب اجتماعاتنا ..." يلتفت عن يمينه إلى الغرب ويرشم الشَّعب رشماً واحداً بمثال الصَّليب وهو يقول: "باركها".

وفي نهاية هذه الأوشيَّة وعند قوله: "قم أيها الرَّب الإله ... الخ" يبخِّر شرقاً ثلاث دفوع (أي: مرَّات) ثم يلتفت إلى الغرب ويعطي البُخور للكهنة والشَّمامسة والشَّعب وهو يقول: "أمَّا شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون إرادتك، بالنِّعمة والرأفة ... الخ".

ثم يعود يبخِّر شرقاً ويقول: "هذا الذي من قبله المجد والكرامة ... الخ". ثم يناول المجمرة لأحد الشَّمامسة ليصرفها.

ويقول الشَّعب: "أبانا الذي في السَّموات ...".

وفي نهاية الصلاة الربيَّة يرتِّل الخوروس باللَّحن العبارة الأخيرة من الصَّلاة الربيَّة وهي: "بالمسيح يسوع ربنا".

يقول الشمَّاس: احنوا رؤوسكم للرَّب.
يقول الشَّعب: أمامك يارب.

صلوات التَّحليل للابن

بحسب ترتيب البابا غبريال الخامس (١٤٠٩- ١٤٢٧م)، وكما نقل عنه القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي، يقول الكاهن تحليلين للابن ووجهه للشَّرق رافعاً الصَّليب في يديه وهما:
الأول بدايته: نعم يارب الذي أعطانا السُّلطان ...
والثاني بدايته: أنت يارب الذي طأطأ السَّموات ونزلت ...

وعند كمالهما يقول الشمَّاس: ننصت بخوف الله.

فيلتفت الكاهن إلى ناحية الغرب ويقول: "السَّلام لكم"، وهو يرشم الشَّعب بمثال الصَّليب، فيجيبونه قائلين: "ولروحك".

فيقول الكاهن تحليل الابن (وهو التَّحليل الثالث): "أيها السيِّد الرَّب يسوع المسيح، الابن الوحيد، وكلمة الله الآب ... الخ". وفيه يرشم الشَّعب مرَّتين عند قوله: "آبائي وإخوتي"، ورشماً ثالثاً على ذاته عند قوله: "وضعفي". وهذه الثلاثة رشومات في أثناء التَّحليل يعقبها ثلاثة أخرى عند قول الكاهن: "باركنا" حيث يرشم ذاته، ثم "طهِّرنا. حاللنا" حيث يرشم الخدام، ثم "وحالل سائر شعبك" حيث يرشم الشَّعب.

وهذه السِّتة رشومات قد أوردها القُمُّص عبد المسيح المسعودي في خولاجي سنة ١٩٠٢م، وعنه نقلت كل الخولاجيات التي أتت من بعده، ولكن البابا غبريال الخامس لم يذكر عنها شيئاً.

ويقول القدِّيس كيرلس الكبير (٤١٢- ٤٤٤م) في رسالته إلى يوحنا أسقف أنطاكية، وهي الرسالة التي تُعرف باسم "الدُّستور الأفسسي":

[قد تعلّمنا أن نقول الصَّلاة: "أيها الرب إلهنا امنحنا سلاماً لأنك أعطيتنا كل شئ"] (٢).

ويُعدُّ هذا القول الآبائي أقدم إشارة وصلت إلينا، تشير إلى جانب من نص صلاة التَّحليل للابن في الطَّقس القبطي، والتي لازالت تقال بنفس نطقها حتى اليوم.

قانون ختام الصَّلوات

في ختام التَّحليل حالياً يقول الشَّعب: "آمين"، ثم "كيرياليسون" ثلاث مرَّات، وذلك بحسب ما ذكره البابا غبريال الخامس ونقل عنه القُمُّص عبد المسيح المسعودي. أما عند القس شمس الرِّئاسة أبو البركات، وكثير من مخطوطات الخولاجيَّات(٣)، فلم تكن تُقال "آمين". أما "كيرياليسون" فكانت تُقال ٣٧ مرَّة، أو ٢٤ مرَّة، كما سبق أن أشرتُ إلى ذلك، وذلك لتتمة ٤١ كيرياليسون، والتي قيل جزء منها بعد طلبة

٢- الأرشيمندريت حنانيا كساب، مجموعة الشَّرع الكنسي، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٣٨١

٣- مثل مخطوط رقم (ط ١٤٧) من القرن الثامن عشر، ومخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر، بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار.

"اللَّهم ارحمنا"(٤).

يقول البابا غبريال الخامس: يقبِّل الشَّعب الإنجيل (كتاب البشارة حالياً) وعليه الصَّليب، الرِّجال ومن بعدهم النِّساء، وبعد ذلك يرتِّلون القانون أي قانون ختام الصَّلوات، إلى أن ينتهي حال التَّقبيل، فينهوا أمر القانون ويقرأ الكاهن البركة ويصرف الشَّعب بسلام إلى منازلهم(٥).

أما القُمُّص عبد المسيح المسعودي فقد أسهب كثيراً في طقس ختام الصَّلوات(٦). وما يهمنا في ذلك هو قوله: "يجعل الكاهن الصَّليب على الإنجيل، ويُقبِّل الكهنة الصَّليب والإنجيل، وبعدهم جميع الشَّعب الرِّجال، وبعدهم يتوجَّهون إلى النِّساء فيتباركن. هذا كله والشَّعب يرتِّل في القانون، كلٌّ أوان بأوانه. وإذا انتهي حال التَّقبيل ينهون أمر القانون، ويقول الكاهن البركة الموافقة ذلك اليوم".

وتعبير "القانون"، أو "قانون التَّسريح" هو اصطلاح كنسي قبطي، يعني المرد الذي يُقال في نهاية أي احتفال ليتورجي لأي يوم من

٤- انظر مثلاً: مخطوط رقم (ط ١٣٣) من القرن التاسع عشر.
٥- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٥٩
أمَّا مخطوط ترتيب البيعة برقم (١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (١٩١١م) فيذكر ما يلي: "... ثم يقبل الكهنة الإنجيل والصليب وبعدهم سائر الشَّعب، وهم يرتلون بما يلائم ذلك الوقت. والكاهن يقرأ في البركة الموافقة ذلك الحين. ثمَّ بعد ذلك يقبل هو الإنجيل والصليب، ويصرف الشَّعب بسلام. والسُّبح لله".
٦- يورد كتاب "خدمة الشمَّاس والألحان" جانباً من هذه القوانين الختامية للصَّلوات، وجاءت غير وافية في بعض منها، حيث تعارض نص بعضها مع ما تورده كتب الكنيسة الطَّقسيَّة الأخرى من نصوص، مثل كتاب "دلَّال جمعة الآلام"، وكتاب "اللَّقان والسَّجدة"، وغيرهما. أما ما يورده كتاب "خدمة الشمَّاس والألحان" عن طقس ترتيل بعض من هذه القوانين، مثل قانون ختام الصَّلوات في فترة الصَّوم المقدَّس الكبير، فلي عليه تعقيب سيرد في أوانه.

أيام السَّنة الطَّقسيَّة، وهو معروف في كافة الطقوس الشرقيَّة، ويُسمى في الكنيسة البيزنطيَّة " أبوليتيكون dismissal hymn - ἀπολυτικόν ".

ويُرتَّل هذا المرد أو اللَّحن في الكنيسة الشرقيَّة عموماً في ختام صلاة الغروب Vespers، وختام صلاة السَّحَر Orthros وختام الصَّلاة الإفخارستيَّة (القدَّاس الإلهي)، وكذا كافة الخدمات الكنسيَّة لذلك اليوم، ومن هنا كان اسمه (لحن - أو مرد - التَّسريح). وهو المرد الذي تتغيَّر كلماته مع تغيُّر الأعياد السيديَّة، أو تذكارات الشُّهداء أو القدِّيسين.

وفي الكنيسة القبطيَّة تتغيَّر كلمات مرد التَّسريح ثلاث مرَّات على مدار السَّنة الطَّقسيَّة مع مواسم الزِّراعة، ومياه النيل، وأهوية السَّماء، كما تتغيَّر كلماته أيضاً مع تنوُّع الأعياد السيديَّة بالإضافة إلى عيدي النيروز والصَّليب، وكذلك الصَّوم المقدَّس الكبير وصوم الميلاد، وبرموني الميلاد والغطاس، باستثناء أعياد العذراء والرُّسل وصومهما، وكذلك أعياد الملائكة ويوحنا المعمدان والشُّهداء والقدِّيسين، والتي ليس لها قانون تسريح يختص بها.

لقد استوقفني ما يقوله البابا غبريال الخامس: "يرتِّلون القانون"، وما يقوله القُمُّص عبد المسيح المسعودي البراموسي: "والشَّعب يرتِّل القانون كلُ آن بأوانه"، إذ استشعرتُ أن قوانين التَّسريح في الكنيسة القبطيَّة كانت من قبل أكثر مما نعرفه عنها اليوم. ولما عدتُ إلى القس شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وجدته يذكر في الباب السَّادس عشر من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" أنه كان في زمانه خمسة عشر قانوناً مألوفة، حيث أورد الكلمات الأولى لكل قانون بالعربيَّة والقبطيَّة، إلاَّ أن القانون الخامس عشر والذي دعاه "القوانين المختصَّة بالصَّوم المقدَّس" وعددها ثمانية قوانين، قد أوردها بالقبطيَّة فقط.

فيقول ابن كبر في ذلك: "... ويكمِّل الصَّلاة على ما تقـــدَّم، وفي العشيَّات تقال تفضَّل يارب، وكيرياليسون، والتَّحليل، والبركة، وقانون مختصر الصَّليب، والقوانين المألوفة في البيعة عدَّتها خمسة عشر قانوناً وهي:

١ـ صلواتنا المسائيَّة ...
٢ـ أيها المولود ...
٣ـ تسبيح باكر ...
٤ـ نقدِّم لك أيها المسيح ...
٥ـ بصليبك أيها المسيح ...
٦ـ سُمِّرت على الصَّليب ...
٧ـ ياربُ ياربُ ياربُ ...
٨ـ دانيال يدعوك ...
٩ـ يا إسرائيل القليل العدد ...
١٠ـ الميلاد سبق ...
١١ـ بولس الرَّسول ...
١٢ـ ارحمنا يا ابن الله ...
١٣ـ السَّلام للعروسة ...
١٤ـ يا لهذا الفرح والسُّرور ...
١٥ـ القوانين المختصَّة بالصَّوم المقدَّس:

ـ بالصَّلاة والصَّوم ...
ـ يا لكرامة الصَّوم ...
ـ ارحمنا يا الله ارحمنا ...
ـ يا مخلِّصنا الصَّالح ...
ـ يا محب البشر الصَّالح ...
ـ نشكرك ...
ـ مخلِّصنا ...

ـ كن معنا ...''

وطبقاً لكلام بن كبر السَّابق ذكره يتَّضح لنا أنه كان هناك قانون يُقال في صوم الرُّسل (البند ١١)، وقانون لصوم العذراء (البند ١٣) أيضاً. وعلمتُ أن القُمُّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) كان قد جمع كماً كبيراً من هذه القوانين، وهي لازالت محفوظة في واحد من مخطوطات دير السيِّدة العذراء البراموس بوادي النَّطرون.

ثمّ عثرت على نسخة مصوَّرة من مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) المحفوظ بدار البطريركيَّة بالقاهرة، ويعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٩١٠م، وهالني ما رأيتُ، إذ وجدته يحوي قوانين مطوَّلة[٧] تُقال على مدى أيام الأسبوع، في الأيام السنويَّة، إلى جانب قوانين أخرى تُقال في الصِّيامات والأعياد السيديَّة. حيث يورد قوانين - بالقبطيَّة فقط - تُقال في يوم الاثنين في عشيَّة وباكر، وقانون يوم الثلاثاء بطول السَّنة باكر وعشية، ويُستعمل في ليالي الآحاد السنويَّة، وهكذا لأيام الأربعاء والخميس والجمعة، وقانون باكر يوم السَّبت بطول السَّنة، ويُقرأ أيضاً للعريس في آخر الإكليل ... الخ.

وما يهمنا الآن في هذه القوانين، أنه يوجد قانون يُقال يوم الأحد باكراً من أوَّل توت إلى آخر شهر هاتور، ومن يوم أحد الفصح (القيامة) إلى آخر الأحد الصَّغير (أحد توما)، وهو يبدأ بعبارة Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ أي: ''يارِبُ يارِبُ يارِبُ''، وهو نفس القانون الذي أشار إليه ابن كبر

٧- وبرغم طول هذه القوانين يورد المخطوط في الهامش حاشية تقول بأن هذه القوانين مختصرة على مدى الكتاب (يقصد المخطوط)، لعدم احتمال الكتاب (أي المخطوط) كما في النقلة التي كُتب عنها.

(+ ١٣٢٤م) من قبل في القرن الرَّابع عشر[٨].

وفيما يلي نص هذا القانون:

يارب يارب يارب، وإن كنت وقفت للمحاكمة أمام بيلاطس، مستهزئين بك: لكنك لم تترك عنك عرشك: جالساً مع أبيك: قمت من بين الأموات: وصيَّرت العالم حراً من عبودية العدو: لكي تنقذ نفوسنا.	Ⲡ̇ⲟ̅ⲥ̅ Ⲡ̇ⲟ̅ⲥ̅ Ⲡ̇ⲟ̅ⲥ̅ ⲓⲥϫⲉ ⲁⲕⲟ̀ϩⲓ ⲉⲣⲁⲧⲕ ⲉ̀ⲟⲩⲙⲁⲛϯϩⲁⲡ ⲛⲁϩⲣⲁⲛ Ⲡⲓⲗⲁⲧⲟⲥ ⲉⲩⲥⲱⲃⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⁝ ⲁⲗⲗⲁ ⲙ̀ⲡⲉⲕⲭⲱ ⲛ̀ⲥⲱⲕ ⲙ̀ⲡⲉⲕⲑ̀ⲣⲟⲛⲟⲥ ⁝ ⲉⲕϩⲉⲙⲥⲏⲟⲩⲧ ⲁⲕϩⲉⲙⲥⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲕⲓⲱⲧ ⲁⲕⲧⲱⲛⲕ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑⲙⲱⲟⲩⲧ ⲁⲕⲉⲣ ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲛ̀ⲣⲉⲙϩⲉ ⁝ ⲉ̀ⲃⲟⲗϩⲁ ϯⲙⲉⲧⲃⲱⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϫⲁϫⲓ ⁝ ϫⲉ ϩⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲕⲛⲟϩⲉⲙ ⲛ̀ⲛⲏⲉ̀ⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲯⲩⲭⲏ.
يارب يارب يارب، وإن كنت منحتنا صليبك: فصار سلاحاً ضد إبليس: المرتعد والخائف: وهو لا يستطيع أن يعترف به: لأنه رأى القوَّات التي فيك: لأنك أقمت الأموات، وأبطلت الموت	Ⲡ̇ⲟ̅ⲥ̅ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ Ⲡ̇ⲟ̅ⲥ̅ ⲓⲥϫⲉ ⲁⲕϯ ⲛⲁⲛ ⲙ̀ⲫⲏⲉ̀ⲧⲉ ⲫⲱⲕ ⲛ̀⳩ ⁝ ϥ̀ⲟⲓ ⲛ̀ϩⲟⲡⲗⲟⲛ ⲟⲩⲃⲉ ⲡⲓⲇⲓⲁ̀ⲃⲟ̀ⲗⲟⲥ ⁝ ⲉϥ̀ⲥⲑⲉⲣⲧⲉⲣ ⲟⲩⲟϩ ϥ̀ⲟⲓ ⲛ̀ϩⲟϯ ⁝ ⲛ̀ϥ̀ϣⲟⲩⲱⲛϩ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲁⲛ ϫⲉ ⲁϥⲛⲁⲩ ⲉ̀ⲛⲓϫⲟⲙ ⲉ̀ⲧⲉ ⲛ̀ϧⲏⲧⲕ ⁝ ϫⲉ ⲁⲕⲧⲟⲩⲛⲟⲥ ⲛⲓⲣⲉϥⲙⲱⲟⲩⲧ ⁝ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲕⲕⲱⲣϥ ⲙ̀ⲡⲓⲕⲉⲙⲟⲩ ⁝ ϫⲉ ϩⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲕⲛⲟϩⲉⲙ

٨- لقد توارت هذه القوانين الكثيرة التي تُضيف زخماً ليتورجياً لصلوات الكنيسة القبطيَّة بعد ظهور الطباعة والاكتفاء بالنذر اليسير منها، حتى بات وكأن الكنيسة القبطيَّة قبل ظهور الطباعة كانت أكثر ثراء ليتورجياً مما هي عليه الآن.

أيضاً: لكي تنقذ نفوسنا.

ⲛ̀ⲛⲏⲉ̀ⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲯⲩⲭⲏ.

يارب يارب يــارب، وإن كنتَ صرتَ مثــل مائت: واليهود وضعوك في قبر، وختموه بخـــتم، حارسين القبر: إلاَّ أنك قمتَ من بين الأموات، وصيَّرت العالم حراً مــن عبوديَّة العدو: لكي تنقذ نفوسنا.

Ⲡⲟ̅ⲥ̅ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲓⲥϫⲉ ⲁⲕⲟⲓ ⲙ̀ⲫⲣⲏϯ ⲛ̀ⲟⲩⲣⲉϥⲙⲱⲟⲩⲧ ⲁ̀ ⲛⲓⲟⲩⲇⲁⲓ ϩⲓⲧⲕ̅ ⲉ̀ⲟⲩⲙ̀ϩⲁⲩ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲧⲉⲃⲥ ⲁⲩⲧⲉⲃⲥ ⲉ̀ϫⲱⲕ: ϩⲱⲥ ⲇⲉ ⲉⲩⲣⲱⲓⲥ ⲉ̀ϯϣ̀ϥⲱ: ⲁⲕⲧⲱⲛⲕ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑⲙⲱⲟⲩⲧ: ⲁⲕⲉⲣ ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲛ̀ⲣⲉⲙϩⲉ: ⲉ̀ⲃⲟⲗϩⲁ ϯⲙⲉⲧⲃⲱⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϫⲁϫⲓ: ϫⲉ ϩⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲕⲛⲟϩⲉⲙ ⲛ̀ⲛⲏⲉ̀ⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲯⲩⲭⲏ.

أما قانون ليالي الآحاد السنويَّة، والذي يقال في ختام صلوات عشيَّة الأحد أي مساء السَّبت، فهــو قــانون قصــير، أمَّــا بدايتــه فهــي: Ⲫⲏⲉ̀ⲧⲁⲩⲭ̀ⲫⲟϥ..[٩].

وفيما يلي نصه:

ذاك الذي اقتناه مــن الآب قبل كل الـــدُّهور: الله الكلمة الذي تجسَّــد من العذراء مريم: تعالوا نسجد له: لأنه ...

Ⲫⲏⲉ̀ⲧⲁⲩⲭ̀ⲫⲟϥ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ Ⲫⲓⲱⲧ: ϧⲁϫⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲛⲓⲉⲱⲛ ⲧⲏⲣⲟⲩ: Ⲫϯ ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲉⲧⲁϥϭⲓⲥⲁⲣⲝ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ Ⲙⲁⲣⲓⲁⲙ: ⲁ̀ⲙⲱⲓⲛⲓ ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲙⲟϥ: ϫⲉ .. .. .. ⲁϥⲟ̀ϩⲓ ⲟⲩϯ: ⲟⲩⲟϩ ⲁⲩⲧⲏⲓϥ ⲉⲛⲱϣ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲉⲛϫⲱ ⲙ̀ⲙⲟⲥ..

٩- وهذا القانون يُقال أيضاً يوم الثلاثاء بطول السَّنة في باكر وعشية.

ويقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس): وثمَّ من يقرأ عشيَّة كل أحد .. Ⲱ̀ ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ أي: "أيتها العذراء ...".

وهناك قانون يُقرأ يوم الأحد عشيَّة بطول السَّنة، أي مساء يوم الأحد، بدايته Ⲓⲥϫⲉ ⲛ̀ⲑⲟ ⲡⲉ ϯⲡⲩⲗⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧ̀ⲫⲉ أي: "وإن كنت أنت باب السماء".

صلاة البركة الختاميَّة

أما صلاة البركة الختاميَّة فقد أورد القُمُّص عبد المسيح نصوصاً مختلفة لها تُقال على مدار السَّنة الطَّقسيَّة بكل مناسباتها. فأورد البركة التي تقال في الأيام السنويَّة والتي بدايتها: "الله يتراءف علينا، ويباركنا ...". وهناك صلاة بركة سنويَّة أخرى بدايتها: "ياربي يسوع المسيح إلهنا الإله الحقيقي الذي يجمعنا على ما يرضيه كصلاحه ..." وهذه البركة الأخيرة غير مشهورة في عموم الكنائس.

كما أورد نصوص صلوات بركة تُقال في الأعياد السيديَّة والأصوام ذاكراً بدء البركة التي تقال في صوم الميلاد، وبدء البركة في عيد الميلاد وإلى عيد الغطاس. وفي عيد الغطاس أورد أكثر من صلاة بركة. وكذلك لصوم يونان وعيد البشارة وبدء البركة في الصَّوم الأربعيني المقدَّس، وفي أحد الشَّعانين، وبدء البركة في جمعة البصخة المقدَّسة والتي بدايتها: "يسوع المسيح إلهنا الحقيقي الذي قبل الآلام بإرادته، وصُلب على الصَّليب لأجلنا ...". وبدء البركة في عيد القيامة إلى عيد الصعود، وبدء البركة في عيد الصعود، وفي الخمسين المقدَّسة، وفي صوم آبائنا الرُّسل.

وفي ختام صلاة البركة يرشم الكاهن الشَّعب بالصَّليب وهو يقول:

"المسيح إلهنا"، فيجيب الشَّعب: "آمين يكون". فيقول الكاهن: "يا ملك السَّلام، أعطنا سلامك، قرِّر لنا سلامك، واغفر لنا خطايانا، لأن لك القوَّة والمجد والبركة والعزَّة إلى الأبد. آمين".

التَّسريح

التَّسريح هو النُّطق بعبارة: "امضوا بسلام، سلام الرَّب مع جميعكم"، أو أي صيغة مشابهة لذلك.

وكان طقس التَّسريح بسيطاً في القرون الأولى كما نقرأه مثلاً في المراسيم الرسوليَّة؛ ففي نهاية خدمة إيقاد سراج المساء، نقرأ: وليقل الشمَّاس: امضوا بسلام[١٠] (٧:٣٧:٨)، وفي نهاية كلمة التَّعليم نقرأ: "... بعد نهاية كلمة التَّعليم، ليقف الجميع، وليصعد الشمَّاس إلى موضع مرتفع، ويعلن: لا يقف ههنا واحد من السَّامعين، أو غير مؤمن" (١:٦:٨، ٢). فكان الشمَّاس يأمر بانصراف أو تسريح فئة معيَّنة من فئات الشَّعب المختلفة بعد أن يبارك الأسقف عليها، ففي أوشيَّة الموعوظين نقرأ: "بعد ذلك يقول الشمَّاس: أيها الموعوظون امضوا[١١] بسلام" (١٤:٦:٨). وفي ختام الصَّلاة على طالبي المعموديَّة، وبعد بركة الأسقف لهم نقرأ: "يقول الشمَّاس: امضوا[١٢] أيها المستنيرون" (٦:٨:٨). وهكذا للتَّائبين والمؤمنين ... الخ.

إذاً فقد كان النُّطق بالتَّسريح هو من اختصاص الشمَّاس وليس

١٠ـ هذا المرد يُكتب دائماً προέλθετε ἐν εἰρήνῃ أي (امضوا بسلام أو امضوا في سلام).

١١ـ προέλθετε من الفعل προέρχομαι = يمضي - يذهب.

١٢ـ انظر المراسيم الرسولية ٨:٦:١٤؛ ٨:٧:٩

الكاهن[١٣]. ولكن فيما بعد، وفي مرحلة تالية، تأرجح النُّطق بالتَّسريح ما بين الكاهن والشَّماس، وهو ما نجد آثاره في كتاب الخولاجي الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، حيث نقرأ: "يقول الكاهن: أيها المسيح إلهنا، يا ملك السَّلام ...الخ. امضوا بسلام، الرَّب معكم[١٤]". وبعد ذلك مباشرة نقرأ أيضاً: "يقول الشمَّاس: نعمة ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح مع جميعكم. امضوا بسلام"، فيجيب الشَّعب بعد الكاهن والشَّماس بقولهم: "آمين يكون". أما في الطَّبعة الثانية لنفس هذا الخولاجي[١٥] والتي كانت سنة ١٩٨٤م، بمعرفة لجنة التَّحرير والنَّشر بمطرانيَّة بني سويف والبهنسا، فقد حُذفت صفحة ٤٣٥ التي كانت تحوي قول الشمَّاس "امضوا بسلام"، وبالتالي حُذف ما في باقي هذه الصفحة[١٦]، ليبقى أمر انصراف الشَّعب للكاهن وحده كما هو معروف اليوم.

وأظنُ من مقارنات عديدة أن عبارة "امضوا بسلام"، كانت من

١٣- انظر أيضاً: حنانيا إلياس كساب (أرشيمندريت)، مجموعة الشَّرع الكنسي، منشورات النور، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٢١٦. وكذلك كتاب: المجموع الصَّفوي، باب القربان ٢٨

١٤- كتاب الخولاجي المقدَّس، ١٩٠٢أفرنكية، مرجع سابق، ص ٤٣٤

١٥- هذه الطبعة الثانية لخولاجي سنة ١٩٠٢م هي في الحقيقة إعادة تصوير له، مع حذف أو بالحري طمس بعض فقرات أو صفحات كاملة منه أحياناً بدون أي إشارة لذلك في المقدِّمة. ولقد أعاد دير البراموس العامر طبع الخولاجي المذكور مرَّة ثانية في سنة ٢٠٠٢م.

١٦- وهو: وإذا تكامل ذلك يلتفت الكاهن ويقبِّل المذبح، ويدور دورة واحدة ويقول المزمور السَّادس والأربعين: يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم ... إلى آخره. وإن كان لا يحفظه قبطياً يقوله عربياً. ويترل من المذبح ويخلع ثياب الكهنوت ويفرِّق الأولوجيَّة أي خبز البركة ويصرف الشَّعب بسلام من الرَّب. وعلينا نعمته ورحمته وبركته إلى الأبد. آمين.

وفي حاشية في نهاية الصفحة: وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً، فإنه بعد ما يعطي التَّسريح ويقول البركة كما سبق ذكره يفرق الأولوجيَّة. ويكمل أحد الكهنة تفريقها على الشَّعب. ثم يصعد الأب البطريرك إلى قلايته بسلام.

اختصاص الشمَّاس وحده، حيث يسبق نداء الشمَّاس هذا، قول الكاهن للشَّعب: "سلام الرَّب مع جميعكم" فيجيبه الشَّعب "ومع روحك".

ملحق

حضور الأب البطريرك في البيعة عشيَّة

تمهيد

فيما يلي طقس صلاة عشيَّة في حالة حضور الأب البطريرك صلاة عشيَّة، وهو منقول عن مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، وتاريخ نساخته هو سنة ١٩١٠م. وفيما يلي نص المخطوط المذكور مع تصحيح الأخطاء اللفظيَّة فقط.

نص مخطوط ترتيب البيعة

فإن كان الأب البطريرك حاضراً في البيعة عشيَّة، فقبل بدء الكنيسة يصعدون إليه بالشموع إلى القلاية، ويحضرونه إلى البيعة وهم يرتلون أمامه Ⲕ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ (إكسمارواوت)[١] بلحنها المعروف. والذي يبتدئ الصَّلاة هو كالعادة كما سبق أولاً.

وعند نهاية الثيؤطوكية[٢] يتقدَّم الكاهن الكبير أو أحد الأساقفة إذا كان حاضراً ويأخذ عمامة الأب البطريرك في ستر حرير. ويصعد البطريرك إلى الهيكل وجميع الكهنة مكشوفي الرؤوس معه، ويبتدئ بصلاة الشُّكر، ويرفع البُخور هو أولاً، وبعده يناول بيده لجميع الكهنة

١- ما بين القوسين ( ) هو للتوضيح، وليس من أصل المخطوط.
٢- بحسب المخطوط ''التوضوكيه''.

بطقوسهم. وعند فراغهم يكمل هو رفع البُخور الخمسة أيادي. ويتلـو أوشيَّة البُخور وهو داير المذبح والكهنة حواليه كطقوسهم، وبأيـديهم الشموع موقدة، والشَّمامسة ترتل Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ (تـين أوأوشـت)[٣] باللحن كالعادة بالنواقيس، وينزل من المذبح، فيمضون بـه إلى الغـرب ويجلسونه على الكاتدرا[٤]، ويعطونه البُخور كطقوسهم.

وبعد ذلك يعطي البُخور لمن يختار مـن الكهنـة. ويـدخلون إلى الخوروس ويتلو الكاهن الشريك أوشيَّة الأمـوات إلى عنـد Ⲫⲁⲓ ⲉ̀ⲧⲉ (فاي إيتي)[٥] يقولها الأب البطريرك والكاهن يتلوهـا سـراً. ثمَّ يُقـال Ⲁⲣⲓⲕⲁⲧⲁⲝⲓⲟⲓⲛ (أري كاتاكسين)[٦].

وفي ضمن ذلك يأخذ الكاهن درج البُخور ويمسكه بيده بطـرف البليني، ويحضره إلى الأب البطريرك فيرشمه، ويعطيه البُخور في يده يقبله ويضعه في المجمرة. ثمَّ يصعد إلى المذبح ويضع الدرج مكانه ويرفع البُخور نحو الشَّرق، ويدور دورة واحدة ثمَّ ينزل ويعطي البُخور للمذبح ولأيقونة ستنا السيِّدة، ثمَّ للأب البطريرك ثلاثة أيادي. أول يد[٧] يقول:

Ⲁⲣⲓⲫ̀ⲙⲉⲩ̀ⲓ Ⲡ̅ⲟ̅ⲥ̅ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ ⲛ̀ⲁⲣⲭⲏⲉ̀ⲣⲉⲩⲥ ⲁⲃⲃⲁ ⲛⲓⲙ

ثاني يد[٨] Ϧⲉⲛ ⲟⲩ̀ⲁⲣⲉϩ

ثالث يد[٩] ⲧⲉϥⲑⲉⲃⲓⲟ

٣- وهي مقدِّمة أرباع النَّاقوس الواطس.

٤- بحسب المخطوط "الكاتترا".

٥- أي: "هذا الذي ..."، وهي الذكصا الختاميَّة: "هذا الذي من قبلـه المجـد والكرامة والعز والسجود تليق بك معه ومع الرُّوح القُدُس المحيي المساوي لـك، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين".

٦- أي: تفضَّل يارب ... الخ

٧- ترجمتها: اذكر يارب أبانا الطوباوي رئيس الأساقفة أنبا فلان.

٨- وترجمتها: حفظاً احفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سلامية.

إلى نهايتها يمسح البيعة جميعها كالعادة. ثم يعود يطلع إلى المــذبح، ويقول[١٠] ⲫⲏⲉⲧⲁϥϣⲱⲡ ⲫϯ ثمَّ يترل يعطــي البُخــور للــهيكل ولأيقونة ستنا السيِّدة والأب البطريرك، ثمَّ يعلِّق المجمرة، ويضرب ميطانية للهيكل ثمَّ للبطريرك ويقبل الصَّليب، ثمَّ مطانيــة نحــو الكهنــة ونحــو الشَّمامسة. ويقف متأدباً مطامن الرأس على باب الهيكــل إلى عنــد قراءة الأمانة.

يحمل الصَّليب بثلاثة شمعات ثمَّ يعطيه للأب البطريرك فيرفعه وهــو واقف مكانه وهو يقول[١١] ⲫϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ثمَّ يرتِّل الشَّعب كيرياليصون بالكبير بالناقوس.

وبعد ذلك يصعد الأب البطريرك إلى المذبح ويتلو أوشيَّة الإنجيــل. ويُطرح المزمور كالعادة. وبعده لا يُطاف بالإنجيل المذبح بل يقولون[١٢] Ⲡⲁⲣⲟⲩϭⲁⲥϥ والكاهن الشريك يقول[١٣] Ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ ثمَّ يتلــو الأب البطريرك الإنجيل للغرب، ويفسر عربياً، ويردون.

ثمَّ يترل الأب البطريرك من المذبح ويقف مكانــه، ثمَّ أن الكــاهن الشريك يكمل الصَّلاة والشَّماس يجاوبه من غير أن يمسك الصَّــليب في يده. وعند قول الكاهن[١٤] ⲛⲉⲛϫⲓⲛⲑⲱⲟⲩϯ ⲉ̀ⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲣⲱⲟⲩ لا يلتفــت لا يميناً ولا شمالاً ولا يرشم شيئاً، بل يخضع نحو الهيكل والأب البطريرك

٩- وترجمتها: وأخضع جميع أعدائه تحت قدميه سريعاً.

١٠- يقول سرِّ الرجعة: "يا الله الذي قبل إليه اعتراف اللِّص على الصَّليب ...".

١١- يقول: اللَّهم ارحمنا.

١٢- يقولون: فليرفعوه في كنيسة شعبه ... الخ.

١٣- يقول: قفوا بخوف الله لنسمع الإنجيل المقدَّس.

١٤- قول الكاهن: اجتماعاتنا باركها.

هو الذي يرشم. وعند قوله[١٥] Πεκλαος لا يلتفت إلى الشَّعب بل يكمل الأوشيَّة ووجهه للشرق إلى عند[١٦] Φαι ⲉ̀ⲧⲉ يقولها الأب البطريرك. وفي ضمن قوله يتقدَّم الكاهن إلى عنده ويعطيه البُخور ثلاثة أيادي، ثمَّ يعطي المجمرة لأحد الشَّمامسة فيصرفها. ويقال أبانا.

وفي ضمن ذلك يغطي الأب البطريرك رأسه، ثمَّ يتقدَّم الكاهن إلى عند باب الهيكل ويقول[١٧] Ce Πος Πος إلى قوله[١٨] Πχc وأبينا الأب البطريرك يكملها. يقول الشمَّاس[١٩] Πεννουϯ Ⲕαcκε يضرب الكاهن مطانية للهيكل وللأب البطريرك أيضاً وللكهنة والشَّمامسة، ويقف بجانب البطريرك والأب البطريرك يقول[٢٠] Ⲛ̀θοκ Πος يجاوبه الكاهن[٢١] Ⲡ̀ροcχωμεν ثمَّ يأخذ الكاهن الشريك الصَّليب ويلفه في البلين إلى نهاية التَّحليل، يقبله ويعطيه للبطريرك فيرفعه ويصرخ الشَّعب كيرياليصون كالعادة.

وبعد ذلك يقرأ القانون الملائم للوقت. ثمَّ يجلس الأب البطريرك على الكرسي الحديد والشعب يقبل الإنجيل والصليب، وبعد ذلك يقولون قانون البطريرك[٢٢] Ⲁκϭⲓ̀ⲧχαρις ثمَّ يقول البطريرك البركة، ويمضون إلى القلاية كما نزلوا به أولاً والمجد لله دائماً أبدياً سرمدياً.

١٥- قوله: وأما شعبك ... الخ.
١٦- أي: هذا الذي ... الخ.
١٧- وهو تحليل الابن: نعم يارب يارب.
١٨- أي: المسيح إلهنا.
١٩- أي: احنوا رؤوسكم للرَّب.
٢٠- وهي صلاة خضوع للابن: أنت يارب الذي طأطأت السَّموات ونزلت ... الخ.
٢١- أي: ننصت.
٢٢- وبدايته: نلت نعمة موسي ... الخ.

ملاحظات على النَّص

– حين يبدأ الأب البطريرك صلاة الشُّكر يكشف رأسه أولاً، ومن ثمَّ يكشف جميع الكهنة رؤوسهم أيضاً.

– دورة البُخور حول المذبح تكون بتلاوة الأب البطريرك لأوشيَّة البُخور، والكهنة يدورون معه وفي أيديهم الشموع موقدة. ولا ذكر هنا للأواشي الثلاث الصِّغار. ولكن نفس المخطوط يذكر تحت عنوان: "خدمة الأب البطريرك القدَّاس" ما يلي: "... ويبتدئ بأوشيَّة البولس كالعادة، وبعدها يقول الأواشي كالعادة وهو داير حول المذبح ...".

– بعد دورة البُخور حول المذبح، يعطي الكاهن البُخور للمذبح شرقاً، ولأيقونة السيِّد العذراء شمالاً، ثمَّ للأب البطريرك. ولا ذكر هنا لإعطاء البُخور إلى الجهات الغربيَّة والقبلية.

– بعد انتهاء دورة البُخور في الكنيسة يضرب الكاهن الميطانية ليس للأب البطريرك وحده، بل للكهنة والشَّمامسة أيضاً. والمقصود هنا بالشَّمامسة الذين يحملون رتبة الدياكونية أي الشمَّاسية الكاملة، وهي إحدى الرُّتب الكهنوتيَّة الثَّلاث.

– يقول الأب البطريرك طلبة "اللَّهم ارحمنا" وهو واقف عند كرسيه، وليس أمام باب الهيكل.

– لا وجود لدورة الإنجيل حول المذبح بعد أوشيَّة الإنجيل في وجود الأب البطريرك في صلاة رفع بخور عشيَّة.

– في صلوات التَّحليل، يقول الكاهن تحليل الابن: "نعم يارب ..."، أمَّا الأب البطريرك فيقول صلاة الخضوع للابن: "أنت يارب ...".

المراجع

ـ القدَّاس الإلهي ليوحنا ذهبي الفم، منشورات النُّور، ١٩٦٦م.

ـ حنانيا إلياس كساب (أرشيمندريت)، مجموعة الشَّرع الكنسي، منشورات النُّور، بيروت، ١٩٧٥م.

ـ دائرة المعارف الكتابية، الجزء الثاني، دار الثَّقافة، طبعة أولى، ١٩٩٠م.

ـ سكرتارية المجمع المقدَّس، القرارات المجمعيَّة في عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث (١١٧)، القاهرة، الطَّبعة الأولى، نوفمبر ١٩٩٦م.

ـ سمعان بن كليل (الرَّاهب القس)، معاني رشم الصَّليب في الحياة الروحيَّة وطقوس الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، القرن الثاني عشر.

– صموئيل (الأنبا) أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأوَّل، توت، بابه، هاتور، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ـ صموئيل (الأنبا) أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الثاني، كيهك، طوبة، أمشير، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ـ غبريال الخامس (الأنبا)، الترتيب الطَّقسي، حققه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات المسيحيَّة الشَّرقيَّة، سلسلة دراسات شرقيَّة مسيحيَّة، القاهرة ١٩٦٤م.

ـ كتاب الخولاجي المقدَّس أي كتاب الثلاثة قدَّاسات التي للقدِّيس باسيليوس والقدِّيس غريغوريوس، والقدِّيس كيرلس مع صلوات أخرى مقدَّسة. وهو مصحَّح ومستوفي التَّرتيب عن يد القُمُّص عبد المسيح صليب، طُبع في مصر بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ش/ ١٩٠٢أفرنكية.

ـ مخطوط (ق ٢) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار يعود تاريخه إلى سنة ١٥٤٠م.

– مخطوط ترتيب البيعة، جزءان (١١٧، ١١٨ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (صورة طبق الأصل منه).

ـ مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٣) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار.
ـ مخطوط خولاجي رقم (ط ١٤٧) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار.
ـ مخطوط خولاجي رقم (ط ١٥١) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار.
ـ مخطوط خولاجي رقم (ط ١٥٣) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار.
ـ معوض داود عبد النُّور، قاموس اللغة القبطيَّة، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠٠م.
ـ يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حقّقه ونقله إلى اللاّتينيَّة الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مؤلّفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, Englished Edition By F.L. Cross, London, 1958.

- Brakmann, H., *Alexandreia und die Kanons des Hippolyt, Jahrbuch für Antike und Christentum, 22,* 1979.

- Brightman, F.E., *The Sacramentary of Serapion of Thmuis,* The Journal of Theological Studies, Vol. 1, London, 1900.

- Burmester, O.H.E. KHS, *The Canons of Gabriel Ibn Turaik, LXX Patriarch of Alexandria*, in Orien. Christ. Periodica (OCP), Vol.1, 1935.

- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments,* Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.

- Burmester, O.H.E. KHS, *Vesting Prayers And Ceremonies Of The Coptic Church*, in Orien. Christ. Periodica (OCP), Vol.1, 1935.

- Chevetogne, *La prière des Heures des 'Eglises de rite byzantin*, Chevetogne, 1975.

- Coquin, R.G., *Les Canons d'Hippolyte*, dans Patrologia orientalis (PO), tome 31, fasicule 2, Paris 1966.

- Cross, F.L., & Livingstone, E.A., The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988.

- Mateos, J., S.J., *La Synaxe Monastique des Vêpres Byzantines*, dans Orien. Chr. Per.(OCP), 36, 1970.

- Mateos, J., S.J., *Lelya - Sapra, Les Offices Chaldéens de La Nuit et du Matin*. dans OCP 156, Rome, 1976.

- Mateos, J., S.J., *Office de minuit et office du matin chez St. Athanase*, dans Orien. Chr. Per. (OCP), 28, 1962.

- Mateos, J., S.J., *Quelques anciens documents sur l'office du soir*, dans Orien. Chr. Per.(OCP), 25, 1969.

- Mateos, J., S.J., *Quelques Problèmes de L'Orthros Byzantin*, dans Orien. Chr. Per.(OCP), 11, 1961.

- Robert Taft, S.J., *The Liturgy of the Hours in East and West*, U.S.A., 1986.

- Robert Taft, *The Byzantine Office in the Prayer Book of the New Skete*, in , in Orien. Chr. Per.(OCP), 48, 1982.

- Ugo Zanetti, *Horologion Copte et Vêpres Byzantines*, dans Le Muséon, Revue d'etudes Orientales, tome 102, fasc. 3- 4, 1989.

- Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church, cited by Bulletin de la Société d'Archéologie Copte (B S A C),* t. IV, 1938, ; t. V, 1939, ; t. VI, 1940.

الدُّرَّة الطَّقسيَّة للكنيسة القبطيَّة
بين الكنائس الشَّرقيَّة

للرَّاهب القس أثناسيوس المقاري
www. Athanase. net

◆ السِّلسِلة الأولى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
١/١	الدِّيداخي أي تعليم الرُّسل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦م
١/٢	التَّقليد الرَّسولي	مايو ٢٠٠٠م
١/٣	المراسيم الرسوليَّة، دارسة موجزة - نص الكتاب الثامن	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة، الكتابات اليونانيَّة.	يناير ٢٠٠٣م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة، الكتابات القبطيَّة	يوليو ٢٠٠٦م
١/١٠	قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة	يناير ٢٠٠٣م
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤م

◆ السِّلسِلة الثانية: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٢/١	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الأول: رؤية عامة — كنيسة المشرق الأشوريَّة	يناير ٢٠٠٠م
٢/٢	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثاني: كنيسة مصر	لم يصدر بعد
٢/٣	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثالث: الكنائس الشرقيَّة القديمة	مايو ٢٠٠٠م
٢/٤	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الرابع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥م
٢/٥	الكنيسة، مبناها ومعناها	يناير ٢٠٠٤م

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٢/٦	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤م
٢/٧	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الثاني (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥م
٢/٨	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الثالث	نوفمبر ٢٠٠٣م

- **السِّلسِّلة الثالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة**

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٣/١	معموديَّة الماء والرُّوح	يناير ٢٠٠٣م
٣/٢	سرّ الرُّوح القُدُس والميرون المقدَّس	لم يصدر بعد
٣/٣	تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر	نوفمبر ٢٠٠٥م
٣/٤	صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر	يناير ٢٠٠٦م
٣/٧	الدِّبلة والإكليل	مارس ٢٠٠٥م
٣/٨	الأجبية أي صلوات السَّواعي	إبريل ٢٠٠٦م

يُطلب من

مكتبة مجلَّة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندريَّة: ٨ شارع جرين من محرَّم بك ت/ ٤٩٥٢٧٤٠

والمكتبات المسيحيَّة والكنسيَّة

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب **مينا سمير أنطون** ت/ ٠١٠١١١٦٦١٨

E-mail: minasas2001@yahoo.com

ثمن النسخة ١٢ جنيهاً



لوحة من الزجاج عليها رسم لحمام من قطع الفسيفساء - ايطاليا - القرن التاسع عشر الميلادي

رفع البخور

في الكنيسة هو تعبير عن كل مضمون الخدمة المقدَّسة التي نقدِّمها لله فيها لمسرَّة إرادته. وهو رمز الصَّلاة الصَّاعدة أمام الله. وكل التَّقدمات والعطايا والنُّذور والبُّكور والعشور التي تقدَّم لله في كنيسته المقدَّسة مع الشُّكر، هي رائحة بخور يشتَّمها الله بالرِّضى والسُّرور.

وطقس رفع البُخور في كل عشيَّة وبُكرة، هو طقس تعود أصوله إلى البُخور الذي كان يُرفع في كل مساء وكل صباح أمام مذبح البُخور في كنيسة العهد القديم. أما في كنيسة العهد الجديد، فلا زال هذا الطقس هو بعينه الذي يُمارس، ولكن أمام مذبح قد انتقل إلى قدس الأقداس نفسه، ليُرفع من هناك بخوراً روحانياً يدخل إلى السَّماء عينها، بعد أن زال حجاب العداوة القديمة التي حجبت الله عن النَّاس، بذبيحة المسيح وبدم نفسه.

